جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسيّة
كلية التربية
قسم اللغة العربيّة

فنُّ الخبَرِ فِي كُتُبِ أخْبارِ الشعراء

رسالة قدّمها الطالب

عليّ جبر عبّود

إلى مجلس كلية التربية ـ جامعة القادسية
وهي من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

بإشراف

الأستاذ الدكتور

سرحان جفّــات سلمان

1438هـ **2017م**

∏

{ كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا }

طه : **99**

إقرار المشرف

أشهد أنّ إعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(فنّ الخبر في كُتب أخبار الشعراء) التي قدّمها الطالب(علي جبر عبّود) قد جرى بإشرافي في قسم اللغة العربية – كلية التربية ، وهي من متطلبات شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

الإمضاء

الأستاذ الدكتور

سرحان جهات سلمان

التاريخ: / / ٢٠١٧م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشّح هذه الرسالة للمناقشة .

الإمضاء

الأستاذ الدكتور

عبد الله حبيب كاظم التميمي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: / / ٢٠١٧م

جامعة القادسية
كلية التربية
قسم اللغة العربية

إقرار لجنة المناقشة

نحن أعضاء لجنة المناقشة نشهد بأننا اطلعنا على رسالة الماجستير الموسومة بـ (فن الخبر في كتاب أخبار الشعراء)، التي قدمها الطالب (علي جبر عبود عطية)، وقد ناقشناه في محتوياتها وفي ما له علاقة بها، ونعتقد بأنها جديرة بالقبول لنيل شهادة الماجستير في اللغة العربية وآدابها/ أدب، بتقدير (جيد جداً عالٍ).

رئيس اللجنة

الإمضاء:

أ.د. كامل عبد ربه حمدان

التاريخ: / /٢٠١٧م

عضو اللجنة

الإمضاء:

أ.د. إسماعيل عباس حمادي

التاريخ: ٢٠١٧/٤/٢٤م.

عضو اللجنة

الإمضاء:

أ.م.د. إحسان محمد جواد

التاريخ: / /٢٠١٧م.

عضو اللجنة المشرف

الإمضاء:

أ.د. سرحان جطلت سلمان

التاريخ: / /٢٠١٧م.

صدقت من قبل عمادة كلية التربية في جامعة القادسية

الإمضاء

أ.د. خالد جواد العادلي

عميد كلية التربية

التاريخ: ٢٠/٤/٢٠١٧م

الإهداء..

إليكما..

- يا أبتِ .. والذكرى لو غَبرَتْ تتهرّأ ..

إلّا ذِكراكَ بقلبي تخضرُّ كَنبْتِ الصبّار

يا حَنجَرَة الفجرِ.. لقد بُحَّ العُمرُ..

وعادتْ أيّامي مركنةً في

رفّ وقوع الأقدار

فتقبّل منّي..

- أُمّاهُ وأمّا أنتِ .. فيا بُقيا الروحِ

بعطركِ مازلتُ بليل

ما زالَ دُعاؤكِ يرقبُني ..في

الصرقات

وصبركِ يمتدُّ يقيناً.. فإليكِ مغ

الوردِ عليّ

المقدمة

الحمدُ لله الأوّل قبل الإنشاء والإحياء, والآخِر بعد فناءِ الأشياء, والصلاةُ على المبعوثِ بالحقِّ رحمةً للعالمين, وعلى آله الهُداة الميامين وصحبه المُنتجبين.

أمّا بعد..

فمازال تراثُنا النثري مورداً عذباً ينهلُ من معينهِ الباحثون؛ فقد امتدّت إليه أيدي المحقّقين منذ عقودٍ خلت, وعكفَ عليه الدارسون واحتفلوا به, فابتدرت إليه أقلامُهم, وجالت به عقولُهم, وتلوّنت به أمزجتُهم الأدبيّة. وكان الإلتفات إلى فنّ الخبر مصداقاً من مصاديقِ هذه الحفاوة وهذا الاهتمام, ولعلّ دِراستَي الدكتور محمد القاضي الموسومة بـ(الخبر في السرد العربيّ, دراسة في السرديّة العربيّة), والدكتور سعيد يقطين الموسومة بـ(الكلام والخبر, مقدّمة لدراسة السرد العربي)؛ من أوائل الدراسات التي فتحت الآفاق أمام دارسِي الخبر.

وقد كان هذا الإلتفاتُ إلى الخبر في دراساتنا المعاصرة أمراً تُحتِّمُه سعةُ المدوّنةِ النثريّة العربيّة, وثراؤها بالفضاءات المعرفيّة والأدبيّة المتنوّعة, وهو ما يُبقي البابَ مفتوحاً أمام البحث والاستقصاء المعرفي.

وإدراكاً لِقيمة هذا التراث العربي وانفتاحهِ المعرفي؛ فقد توالت الدراسات في الآونة الأخيرة للخبر بوصفه جنساً من أجناس السرد, وكان جُلُّ هذه الدراسات يُعنى بعناصر بنائه السردي, تبعاً لِتنوّع المتون الخبريّة المدروسة.

إنّ اكتناز حقيبة التراث النثريّ بجملةٍ وفيرة من المتون الخبريّة التي لم تختبرْها يدُ البحث بعدُ؛ هو ما حدا بنا صوبَ دراستها دراسةً تستجلي فنَّ الخبر تأليفاً وتشكّلاً فنّياً, وترصدُ عناصر بنائهِ السرديّ, وتتحرّى لغة سرده وما يُرافقُ ذلك من مظاهرَ دلاليّة ولغويّة؛ لِيكونَ بحثُنا (فنّ الخبر في كتب أخبار الشعراء) موزّعاً على أربعةِ فصول, فكان الفصل الأوّل (الخبر وحركة التأليف في أخبار الشعراء), وإذ يمثّلُ في إطاره العام تمهيداً نظريّاً فقد توزّع على ثلاثةِ مباحث, تناولنا في المبحث الأوّل مفهوم الخبر في اللغة والاصطلاح, وتابعنا رؤية الباحثين للخبر, ومفهومه لديهم, ثمّ صرنا إلى الحديث عن التأليف في أخبار الشعراء قديماً, فأحصينا واحداً

وسبعينَ مؤلّفاً أخباريّاً, ليستقرّ البحث على اثني عشر متناً أخباريّاً مُحقّقاً, ثمّ كان الحديث في المبحث الثاني عن دوافع التأليف الأخباري فالتمسنا من هذه الدوافع ما كان ذاتيّاً, وما كان موضوعيّاً, وما كان آخذاً بالاثنينِ معاً, تبعاً للمتون الأخباريّة المختلفة وأغراض مؤلِّفيها. أما المبحث الثالث فكان محطّ الحديث فيه عند دور المؤلّف في كتب أخبار الشعراء, ليكونَ ذلك الدور على ثلاثةِ أوجه, الأوّل: روايةُ الأخبار, إذ اقتصرَ عليه اشتغالُ قسمٍ من الأخباريّين, والثاني: تبويب الأخبار, فقد عمدَ فريقٌ من المؤلّفين إلى تبويب كتبهم الأخباريّة لِتكونَ على أبوابٍ أو فصولٍ أو نحو هذا, والثالث: التعليقُ على الأخبار, إذ دأبَ جملةٌ من أولئك المؤلِّفين الأخباريّين على إتباعِ بعض أخبارهم بتعليقاتٍ أدبيّة أو لغويّة, تقفُ عند معنى لفظٍ, أو توجّهُ إعراباً نحويّاً, أو تُصحّحُ روايةً أدبيّة, وما إلى ذلك ممّا وقفنا عنده.

وكان الفصل الثاني موسوماً بعنوان (تشكّلات الخبر) عرضنا فيه لِتشكّلات الخبر البنائيّة والفنيّة, فكان مآله إلى مبحثين, الأوّل: التشكّل البنائيّ, إذ نُلفي الأخبار في حدود متوننا المدروسة متوزّعةً بنائيّاً على قسمين: أخبار مفردة, وأُخرى مركّبة. والمبحث الثاني: التشكّل الفنّي, وقد لاحظنا من خلاله أنّ الخبر في كُتب أخبار الشعراء قد تشكّل على صورتين, إحداهما: الخبر الواقعي المألوف, وهو النمط السائد والأعم, والأُخرى: الخبر غير الواقعي أو غير المألوف, وقد فصّلنا القول في صورتيهما ومصاديقهما.

وكان الحديث في الفصل الثالث عن (عناصر السرد الخبريّ), وقد لاحظنا أنّ السرد الخبري في كتب أخبار الشعراء قد تهيّأ له أن يكون على وفق الأسلوبين السرديّين: الموضوعي والذاتي, وكان السرد الموضوعي الأُسلوبَ الغالب على متون أخبار الشعراء, غير أنّ تداخل الأسلوبين في بناء الخبر سرديّاً حاضرٌ في هذه المتون, وقد وقفنا عند كلّ ذلك في تمهيد هذا الفصل. وقد تآزرت عناصر السرد من زمانٍ ومكانٍ وشخصيّةٍ وحدث؛ لِتشكيلِ بناء الخبر السرديّ, إذ إنّها عناصر متداخلة ومتواشجة في بنية النصّ لا يمكن فصلها إلّا على سبيل الفرز الدراسيّ التحليلي, فكانت تلكم العناصر موزّعةً على أربعةِ مباحث, تناولنا في المبحث الأوّل (الزمن),

عنصراً أساساً من عناصر السرد, والمظلّة الكبرى التي تجري تحت هيمنتها مجمل عناصر السرد الأخرى, فلمّا كان الزمن موازياً لحركة السرد, فقد ألقى بظلاله على باقي عناصر السرد الأخرى, وهو على هذا يتّبعُ تقاناتٍ ينتظمُ على وفقها السرد, وأهمّ هذه التقانات المتّبعة على مستوى الخبر – بعدِّه جنساً سرديّاً– هو الترتيب الزمني, من حيث الاستباق والاسترجاع, وحركة السرد, من حيث الإبطاء والتسريع. ووقفنا في المبحث الثاني عند (المكان) الذي يُشكّلُ ركناً آخر من أركان السرد الخبري, وبالنظر إلى طبيعة البناء السردي في أخبار الشعراء فإنّ بالإمكان رصدَ نمطين من الأمكنة, هما المكان المألوف, والمكان غير المألوف. وكان الحديثُ عن (الشخصيّة) عنصراً من عناصر السرد مدار المبحث الثالث, فكانت دراستها بلحاظ أمرين, الأوّل: من حيث الدور, إذ أمكن تقسيمها على وجهتين, إحداهما الشخصيّةُ الرئيسة, والأخرى الشخصيّة الثانويّة, والثاني: من حيث الوجود, إذ قُسِّمت على قسمين, أحدهما الشخصيّة الواقعيّة, والأخرى الشخصيّة غير الواقعيّة . أمّا (الحدث) فكان محطّ دراسة المبحث الرابع من هذا الفصل, وقد وقف بنا النظرُ في متوننا الخبريّة على أنساقٍ بنائيّة بُنيَ على وفاقها الحدث, وكان وقوفنا عند أكثرها اطّراداً في هذه المتون, وهي أربعة أنساقٍ, أوّلها النسقُ المتتابع, وثانيها النسق المتداخل, وثالثها نسقُ التضمين, ورابعها النسقُ الدائريّ.

ثم جاء الفصل الرابع الموسوم بـ(لغة سرد الخبر), وقد حاولنا من خلاله النظر في لغة السرد الخبريّ فكان أن وقعَ على مبحثين, تناولنا في المبحث الأوّل (دلالات ألفاظ الخبر) سنداً ومتناً, إذ تنوّعت الدلالات اللغويّة لألفاظ السند والمتن, تبعاً لِتنوّع الأخبار صياغةً وأداءً. ولمّا كان الخبر ميّالاً إلى الإيجاز والاختزال, فإنّه قد اتّسمَ بالاقتصاد لغةً, فكان (الاقتصاد اللغوي في الخبر) موضع عناية المبحث الثاني من هذا الفصل, وقد تحقّقَ هذا الاقتصاد عبر أساليب بلاغيّة كان من أجلاها, الإيجاز, والاعتراض, والكناية, لينتهي البحث بالخاتمة التي أودعتُها أهمّ النتائج.

المقدمة

لقد كانَ البحثُ رحلةً طيّبةً طافتْ بنا في رحابِ تراثنا السرديّ الغزير, وفاضت علينا بالمعرفة الأدبيّة التي مازال هذا التراث الجمّ يُغدِقُ بها على جمهور القارئين له, والباحثين فيه.

ولا يفوتني هنا أن اتقدّمَ بالشكر الجزيل, والامتنان والعرفان لِأساتذتي الفضلاء في السنة التحضيريّة, الذين تلمذتُ لهم, ونهلتُ من فيض علمهم, وهم أهلٌ للشكرِ والعرفان.

ولا يسعني في الختام إلّا أن أتقدّمَ بخالص الشكر, وجزيل الامتنان لِأُستاذنا المشرف, الأستاذ الدكتور سرحان جفات سلمان, الذي اقترحَ عليَّ موضوعَ هذه الدراسةِ, ثمّ أكرمني بالإشراف عليه, وأخذ بأيدينا والبحث صوبَ ساحل السلامة, وما كان للبحث أن يستقيمَ على صورتهِ التي بين يدي القارئ الكريم لولا ملاحظاته السديدة, وتوجيهاته القيّمة, فجزاهُ الله عنّا خيراً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين, والصلاة والسلام على سيّد المرسلين, محمّدٍ وعلى آله الهُداة الميامين.

عليّ جبر عبّود

الموضـــــــــــــــوع	الصفحـــــة
المقدمة	أ- ث
الفصل الأوّل: الخبر وحركة التأليف في أخبار الشعراء	57-2
المبحث الأوّل: الخبر والتأليف فيه	29-2
أوّلاً: مفهوم الخبر	13-2
ثانياً: التأليف في "أخبار الشعراء"	29-13
المبحث الثاني: دوافع التأليف في "أخبار الشعراء"	36-30
المبحث الثالث: دور المؤلّف في كتب "أخبار الشعراء"	57-37
1- رواية الأخبار	39-38
2- تبويب الأخبار	45-39
3- التعليق على الأخبار	57-45
• التعليق الأدبيّ	52-46
• التعليق اللغوي	57-52
الفصل الثاني: تشكّلات الخبر	111-59
توطئة	63-59
المبحث الأوّل: التشكّل البنائيّ	83-64
أوّلاً: الخبر المفرد	71-64
ثانياً: الخبر المركّب	83-71
المبحث الثاني: التشكّل الفنّيّ	111-84
أوّلاً: الخبر الواقعي/ المألوف	91-85
ثانياً: الخبر غير الواقعي/ غير المألوف	111-91
الفصل الثالث: عناصر السرد الخبري	168-113

توطئة	121-113
المبحث الأوّل: الزمان	142-122
أوّلاً : الترتيب السرديّ	132-125
ثانياً: الحركة السرديّة أو الديمومة أو المدّة	141-132
ثالثاً: التواتر أو التكرار	142-141
المبحث الثاني: المكان	149-143
أوّلاً: المكان المألوف	148-145
ثانياً: المكان غير المألوف	149-148
المبحث الثالث: الشخصيّة	159-150
أوّلاً: من حيث الدور	155-152
1- الشخصيّة الرئيسة	154-153
2- الشخصيّة الثانويّة	155-154
ثانياً: من حيث الوجود	159-156
1- الشخصيّة الواقعيّة	157-156
2- الشخصيّة غير الواقعيّة	159 -157
المبحث الرابع: الحدث	169-160
أوّلاً: النسق المتتابع	164-161
ثانياً: النسق المتداخل	165-164
ثالثاً: نسق التضمين	166-165
رابعاً: النسق الدائري	168-166
الفصل الرابع: لغة سرد الخبر	226-170

توطئة	171-170
المبحث الأوّل: البنية الدلاليّة لألفاظ الخبر	201-172
أوّلاً: دلالات ألفاظ السند	193-173
ثانياً: دلالات ألفاظ المتن	201-193
المبحث الثاني: الاقتصاد اللغوي في لغة الخبر	226-202
أوّلاً: الإيجاز	216-204
1- إيجاز الحذف	212-207
2- إيجاز القِصَر	217-212
ثانياً: الاعتراض	221-217
ثالثاً: الكناية	226-222
الخاتمة	233-228
المصادر والمراجع	262-235
Abstract:	A-E

المبحث الأوّل: الخبر والتأليف فيه

أوّلاً: مفهوم الخبر

تُشير معاجيم اللغة إلى أنّ الخبر هو النبأ[1], أو العلم بالشيء[2], والخَبَر أو الخُبر[3] يجمع على أخبار[4], ((والاستخبار: السؤال عن الخبر))[5].

وقد رادفَ الخبر بعض المصطلحات كالنبأ والحديث والقصص, فقيل: إنّ ((الخبر : هو القول الذي يصحّ وصفه بالصدق والكذب, ويكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك,.. والحديث في الأصل هو ما تخبر به عن نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك , وسُمّي حديثاً لأنه لا تقدّمَ له وإنّما هو شيء حدث لك فحدّثت به , ثم كثر استعمال اللفظين حتّى سُمّيَ كلّ واحدٍ منهما باسم الآخر, فقيل للحديث خبر, وللخبر حديث))[6]؛ وعلى هذا فإنّ الخبر والحديث مترادفان في الاستعمال.

وقيل إنّ ((الحديث: ماعن النبيّ – صلى الله عليه وسلم–, والخبر : ماعن غيره))[7]. وذهب بعضهم إلى أنّ القصة هي الخبر, والخبر هو الحديث[8].

---

[1] – يُنظر: العين, الفراهيدي(ت:170هـ), تح: د.مهدي المخزومي, د.إبراهيم السامرائي,258/4,دار ومكتبة الهلال, ط1, بيروت–1999م.

[2] – يُنظر: معجم مقاييس اللغة ,ابن فارس(ت:395هـ) , تح:عبد السلام هارون,239/2, ط1, دار الفكر, بيروت–1979م.

[3] – يُنظر : تاج اللغة وصحاح العربيَّة, أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت:393هـ), تح: أحمد عبد الغفور عطار,641/2, دار العلم للملايين, ط4,بيروت,1987م.

[4] – يُنظر: تهذيب اللغة, الأزهري(ت:370هـ), تح: محمد عوض, 157/7, دار إحياء التراث العربي, ط1, بيروت, 2007.

[5] – تاج اللغة وصحاح العربيَة,641/2.

[6] – الفروق اللغوية, أبو هلال العسكري(ت: في حدود 400هـ), تح: محمد إبراهيم سليم,40–41, دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع, ط1, القاهرة–1998م.

[7] – تاج العروس من جواهر القاموس, محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزَّبيدي(ت:1205هـ), عبد الكريم العزباوي, 125/11, دار الهداية, ط1, الكويت– 1984.

[8] – يُنظر: المخصص, ابن سيدة (ت:456هـ), تح: خليل إبراهيم الجفال, 474/3, دار إحياء التراث العربي, ط1, بيروت,1996.

وقيل: إنّ ((النبأ لا يكون إلّا للإخبار بما لا يعلمه المُخبَر, ويجوز أن يكون الخبر بما يعلمه, وبما لا يعلمه,.. وفي القرآن(... فَسَيَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)[1], وإنّما استهزأوا به لأنّهم لم يعلموا حقيقته, ولو علموا ذلك لتوقّوه))[2].

والقصص ((ما كان طويلاً من الأحاديث, متحدثاً به عن السلف, ومنه قوله تعالى: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...)[3], وقال:(وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ...)[4], ...وإذا استطال السامع الحديث قال: هذا قصص, والحديث يكون عمّن سلف وعمّن حضر, ويكون طويلاً وقصيراً, ويجوز أن يُقال: القصص هو الخبر عن الأمور التي يتلو بعضها بعضاً, والحديث يكون عن ذلك وعن غيره))[5].

وإذا ما نظرنا إلى التراث النقدي القديم ((نجد النقّاد القدامى لا يهتمّون بالخبر مصطلحاً نقدياً, على الرغم من انتشاره الواسع في الثقافة العربيّة, سواءٌ في متون أو عنوانات الكتب, مثل: عيون الأخبار لابن قتيبة, والأخبار الطوال للدينوري, وأخبار أبي تمام للصولي, وأخبار العقلاء لابن الجوزي, وغيرها الكثير...))[6].

فكان جُلّ إلتفات النقّاد العرب للخبر ((على أنّه إطار عام لفنونٍ بلاغية خاصة, فكان اهتمامهم بالخطاب في تقنيّاته اللغويّة ودلالته البلاغيّة أكثر من اهتمامهم بالوعاء الفنّي الذي حوى هذا الخطاب,... مع أنّ مصطلح الخبر كان من أكثر المصطلحات شيوعاً بوصفه شكلاً من أشكال الكلام...))[7].

---

[1] – الشعراء: 6.

[2] – الفروق اللغوية, 41.

[3] – يوسف:3.

[4] – هود:120.

[5]– الفروق اللغوية, 42.

[6] – الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري, د.ركان الصفدي, 177, منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب, وزارة الثقافة, ط1, دمشق–2011.

[7] – م. ن: 175.

لكن هذا لم يمنع من وجود إشاراتٍ في مقدمات بعض الكتب تُشير إلى كون الخبر فنّاً مجاوراً لضروبٍ فنّيّة أخرى, كالشعر , والأمثال, والسير , والأنساب, وما إلى ذلك, فنجد القالي في مقدمة الأمالي يقول متحدِّثاً عن سبيل التأليف لديه: ((...وأودعته فنوناً من الأخبار, وضروباً من الأشعار, وأنواعاً من الأمثال, وغرائب من اللغات, على أنّي لم أذكر فيه باباً في اللغة إلّا أشبعته, ولا ضرباً من الشعر إلّا اخترته, ولافنّاً من الخبر إلّا انتخلته,...))[1].

أمّا ابن عبد ربّه الأندلسي, فقد جعل عدم تصرّف بعض الكتب في فنون الأخبار, وعدم جامعيّتها لجمل الآثار سبباً من أسباب تأليفه "العقد الفريد" , إذ يقول: ((...ونظرت في بعض الكتب الموضوعة فوجدتها غير متصرّفة في فنون الأخبار, ولا جامعة لجمل الآثار...))[2]. مع أنّ الخبر عند ابن عبد ربّه اسم جامع ودالّ على جملة من الأجناس والأنواع الأدبيّة, يقول: ((فتطلّبت نظائر الكلام , وأشكال المعاني, وجواهر الحكم, وضروب الأدب, ونوادر الأمثال, ثم قرنت كلّ جنسٍ منها إلى جنسه, فجعلته باباً على حِدَتِه؛ ليستدلّ الطالب للخبر على موضعه من الكتاب, ونظيره في كل باب))[3].

ويحدّثنا ابن النديم عن خطّة عمله في "الفهرست" , فيقرر أنّ كتابه هذا يحتوي على عشر مقالاتٍ, وكلّ مقالةٍ مقسّمة على فنونٍ عمدَ إلى شرحها , حتّى يصلَ إلى المقالة الثالثة فيقول: ((...وهي على ثلاثة فنون, في الأخبار, والآداب, والسير والأنساب. الفن الأوّل: في أخبار الإخباريّين والرواة والنسابين وأصحاب السير والأحداث وأسماء كتبهم. الفن الثاني: في أخبار الملوك والكتّاب والمترسّلين وعمّال الخراج وأصحاب الدواوين وكتبهم. الفن الثالث: في أخبار الندماء والجلساء والمغنين ...))[4].

---

[1] – الأمالي, أبو علي القالي(ت:356هـ), دار الكتب العلمية ,5/1, بيروت, 1978.

[2] – العقد الفريد, ابن عبد ربّه الأندلسيّ(ت: 328هـ), دار الكتب العلميّة, 6/1, ط1, بيروت–1404هـ.

[3] – م. ن: 6/1.

[4] – الفهرست, ابن النديم (ت: 438هـ), تح: إبراهيم رمضان, 9–10, دار المعرفة, ط2, بيروت –1997م.

وقد نال الخبر عنايةَ المُحدَثين, وشغل حيّزاً كبيراً من اهتمامهم, فالتفتوا إلى أهمّيّته البالغة في التراث النثري العربي القديم, ومثال ذلك ما كتبته الدكتورة نبيلة إبراهيم في مجلة فصول عام (1982م), وإن كانت قد عدّت الخبر والمقامة والسيرة (أنماطاً) من القص[1], فهي ((لاتعدّ "الخبر" جنساً أدبيّاً له سمات مميّزة))[2].

ونجد الدكتور شكري عيّاد من أوائل الذين تحدّثوا عن الخبر فنّاً سرديّاً, فكتب بحثاً لمجلة فصول عام (1982م), بعنوان: ((فن الخبر في تراثنا القصصي))[3], عامداً إلى دراسة تطبيقية لفن الخبر مقتصراً على كتاب "المكافأة" لابن الداية[4]؛ متناً لدراسته المختصرة هذه.

وهو في الوقت الذي يُثير الانتباه فيه مبكّراً على "فن الخبر"؛ لا يضع تعريفاً, أو مفهوماً واضحاً لهذا الفن مكتفياً بالتنبيه عليه, والتحفيز إليه, قائلاً: ((...أمّا نحن فنتحدّث عن جنسٍ أدبيٍّ لانعرف بالضبط كيف تطوّر , لأنّنا لم ندرسْه قط دراسةً عميقة, ولكنّنا نعرف أنّه صحب حضارتنا العربيّة القديمة منذ بدايتها الأولى, ثم سار مع تعقدها أشواطاً, وبقيت صورته الفطرية, مع ذلك, محفوظة (وربما حيّة أيضاً)))[5].

لكنّ عيّاداً لاحظ ((أنّ هذا الفن استقلّ عن التاريخ، واكتسب قيمة أدبيّة خالصة عندما عرفت الحضارة العربية طبقة من التجّار وأصحاب الحِرف اهتمّت بالسمات الفرديّة للبشر , فوجدت من النماذج الغريبة التي قدّمها الجاحظ في أخباره طرافةً ومتعةً))[6].

وتطالعنا دراسة مفصّلة للدكتور محمد القاضي, عنوانها (الخبر في الأدب العربي – دراسة في السرديّة العربيّة)؛ فقد درس فيها الخبر في الأدب العربي, متتبّعاً نشأته, وانتقاله

---

(1) – يُنظر: لغة القص في التراث العربي القديم, د. نبيلة إبراهيم، 11– 20, مجلة فصول, المجلد الثاني, ع2, مارس, مصر–1982م.

(2) – فن الخبر في تراثنا القصصي, شكري عيّاد, 11, مجلّة فصول, المجلّد الثاني , ع4, سبتمبر, مصر–1982م.

(3) – م. ن: 11.

(4) – المكافأة وحسن العقبى, ابن الداية(ت:340هـ), تح: محمود محمد شاكر, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت– 1359هـ.

(5) – فن الخبر في تراثنا القصصي, 13.

(6)– م. ن , 14.

مشافهةً وتدويناً, والمراحل التي مرّ بها, ملاحظاً بناء الخبر من جهة إسناده ومتنه, وما يتعالق مع هذه الأخبار ويسهم في بنائها كالشعر, الذي بدا من أهمّ ما أثّر في هذا البناء.

وعرّف القاضي الخبر بأنّه ((وحده سرديّة مستقلّة))[1], ذلك الخبر بأيسر صوره البنائيّة القائمة على ثنائيّة الاستخبار والإخبار؛ ولذا يقلُّ حظ هذه الأخبار من السرديّة – كما يرى– فهي أخبار بسيطة , يكاد يقتصر دور الراوي فيها على إسناد الحديث إلى قائل[2].

ونرى القاضي يتحدّث عن معنًى مخصوص لمصطلح الخبر, وهو ((مجموع الأحداث والشخصيّات التي تمثّل ضرباً من المادة الخام التي بها قوام السرديّة قبل أنْ تتجسّد في النص))[3]. وبحسب ما يراه القاضي فإنّ التأليف بين البنى البسيطة للأخبار منشأٌ للبنية المركبة لها[4].

بيدَ أنّ القاضي يخلُص إلى صعوبة أن يعدّ الخبر جنساً من أجناس الأدب؛ ((لأنّه من جهة ضمّ في أحنائه أجناساً متعدّدة, فالأقرب إلى حقيقة الأمور أن نعدّه شكلاً؛ ولأنّه من جهة أخرى لم يتمخّض للأدب, بل كان مشتركاً بينه وبين مجالاتٍ معرفيّة أُخرى لعلّ أهمّها التاريخ))[5].

وإذ عرّفت الدكتورة فدوى مالطى– دوجلاس الحكايةَ بأنّها ((وحدة سرديّة مستقلّة بذاتها))[6], فإنّ القاضي عدَّ هذا تعريفاً للخبر, مستدلّاً على ذلك بكون (دوجلاس) قد وضعت

---

(1) – الخبر في الأدب العربي, دراسة في السردية العربية. د.محمد القاضي,352, دار الغرب الاسلامي, ط1, بيروت,1998م.

(2) – يُنظر: م. ن, 355– 356.

(3) – م. ن, 353.

(4) – يُنظر: م. ن, 362.

(5) – الخبر في الأدب العربي,591– 592.

(6) – بناء النص التراثي, د. فدوى مالطى _ دوجلاس,22, الهيئة المصرية العامة للكتاب, ط1, مصر– 1985.

مصطلح الحكاية ((للإشارة إلى مدوّنة محدودة قوامها النصوص القصصيّة الموجودة في (كتاب البخلاء), ولاشكّ في انتمائها إلى مجال الأخبار))[1].

ويرى الدكتور سعيد يقطين أنّ الخبر أصغر وحدة حكائيّة, وأنّ الأنواع الخبريّة الأصول هي (الخبر), و(الحكاية), و(والقصة), و(السيرة), وهي أنواعٌ ثابتة موجودة بصورة مستمرّة , وإثبات طابعها وترتيبها يخضع لمبدأين ,الأوّل: تراكمي, من الخبر إلى السيرة, ((فإذا كان الخبر أصغر وحدة حكائية, فإنّ الحكاية تراكم لمجموعة من الأخبار المتصلة , والقصة تراكم لمجموعة من الحكايات , والسيرة تراكمٌ لمجموعة من القصص))[2]. والآخر: تكاملي, ((ويتجلّى هذا المبدأ من خلال ارتباط النوعين الأوّل والثاني [الخبر والحكاية] على أساس "الحدث" في حين يتصل النوعان الآخران [القصة والسيرة] بـ"الشخصيّة", فالخبر والحكاية يتركزان بشكلٍ خاص حول أحداث معيّنة, لكنّنا في القصّة والسيرة نجد التركيز ينصبّ على شخصيّة معيّنة, ومن خلال التراكم يتحقق نوعٌ من التكامل بين هذه الأنواع الأربعة))[3].

ويذهب يقطين إلى أنّ الأجناس في الكلام العربي ثلاثة: الخبر , والحديث, والشعر[4]. فهو بهذا لا يجعل الخبر مرادفاً للحديث, بل يُفرِّق بينهما على أساس أنّ ((الحديث يتصل بقول الشيخ, وأنّ الخبر يتعلّق بما يرويه الشيخ, أي أنّ الحديث قولٌ مباشر يضطلع به المتكلّم, في حين نجد الخبر يقوم به الراوي, وتبعاً لذلك نجد الخبر يختلف عن الحديث, اختلاف المتكلّم عن الراوي))[5]. وهذا ما سبق ذكره في التفريق بين الحديث والخبر في اللغة؛ إذ رأينا أنّ أبا هلال العسكري يقول عن "الخبر": ((هو القول الذي يصحّ وصفه بالصدق والكذب, ويكون الإخبار به عن نفسك وعن غيرك.., والحديث في الأصل هو ما تخبر به عن

---

(1) – الخبر في الأدب العربي, 115.

(2) – الكلام والخبر, مقدمة في السرد العربي, د. سعيد يقطين,195,المركز الثقافي العربي, ط1, بيروت–1997.

(3) – م. ن, 195– 196.

(4) – يُنظر: م. ن, 193.

(5) – م. ن, 193.

نفسك من غير أن تسنده إلى غيرك, وسُمّي حديثاً لأنّه لا تقدمَ له, وإنّما هو شيء حدث لك فحدّثت به ثم كثر استعمال اللفظين حتّى سُمّيَ كلُّ واحدٍ منهما باسم الآخر, فقيل للحديث خبر وللخبر حديث))[1].

ويذهب الدكتور سعيد جبار إلى أن الخبر نوع سردي بسيط يتمركز بالأساس حول الحدث الواحد والبسيط, وهو سرد منفتح وقابل للترهين في كل لحظة وقابل للتحوّل, إلّا أنّ حيوية الخبر- كما يرى- قد تنفتح من البسيط إلى المركّب, إذ إنّ ((الترهينات المتواترة للخبر الواحد, وعبر أصوات سرديّة مختلفة, تحكمها بنيات سوسيو- ثقافيّة مختلفة, تساهم كثيراً في المرور من الخبر إلى الحكاية أو القصّة أو السيرة))[2].

وهو بهذا يوافق سعيد يقطين في ما ذهب إليه -كما مرّ - عند حديثه عن المبدأ التراكمي للأنواع الخبريّة, من الخبر وصولاً إلى السيرة[3]. ويوسّع من رؤية القاضي من قبلُ, عندما تحدّثَ عن قدرة الأخبار على التوالد والتجدّد[4].

وعلى وفق هذا فإنّ الأخبار ((وحداتٌ سرديّة قادرة على التنقُّل من موضعٍ إلى آخر, وهي في تنقّلها ذلك, تحافظُ على استقلالها من جهة, ومن جهة أخرى تنشأ بينها وبين أخبارٍ أخرى علاقاتٌ جديدة))[5].

وإذ نتحدّث عن الخبر فإنّنا نعني به "الخبر الأدبي" الذي أصبح فنّاً سرديّاً قائماً على الصياغة الأدبيّة التي يكونُ همُّ صاحبِها ليس الإيصال والتوثيق فحسب, بل السعي إلى الإمتاع والتأثير أيضاً.

---

[1]- الفروق اللغوية, 40- 41.

[2] - الخبر في السرد العربي (الثوابت والمتغيّرات), سعيد جبار, 163, شركة المدارس للنشر والتوزيع, ط1, المغرب- 2004م.

[3] - يُنظر: الكلام والخبر, 195.

[4] - يُنظر: الخبر في الأدب العربي, 47.

[5] - موسوعة السرد العربي, د. عبد الله إبراهيم, 413, المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر,ط1, بيروت-2005م.

والخبر إذا ما اقتصر على نقل الحوادث وتوثيقها فإنّه (خبرٌ تاريخي) محضٌ, همّ صاحبه نقل ((أحداث الماضين وأفعالهم وما طرأ على حياتهم وأوضاعهم حسبما يتناقله الرواة, ويتحدّث به اللاحقون عن السابقين, ممّن شهدوا ذلك الخبر أو سمعوه))[1].

وبمثل هذا التعريف عرّفه الدكتور ركان الصفدي؛ عندما قال: ((الخبر نوعٌ من توثيق الحوادث التي تجري في التاريخ السابق أو الراهن عن طريق الراوي ناقل الخبر))[2].

وقد لاحظ شكري عيّاد – كما تقدّم– أنّ "فن الخبر" استقلّ عن التاريخ واكتسب قيمةً أدبيّة خالصة قوامها الطرافة, والمتعة, كما يُلحظ ذلك في فنّ الجاحظ[3].

ويشر القاضي إلى ((أنّ منطلق الخبر الأدبي كثيراً ما يكون سردنةً لكلامٍ سابقٍ له جيء به في سياقٍ مخصوص, فعُدِلَ به عن مقصده الأصلي, واتُّخِذَ مهاداً لعلاقاتٍ جديدة, ووظائف جديدة, وشخصيّاتٍ جديدة))[4]. فالسياق المخصوص, والعدول عن المقصد الأصلي للخبر, المتضمّن لوظيفة الإعلام؛ من خصائص الخبر الأدبي.

وقد استمدّت الأخبار الأدبيّة – وهي تسعى لتحقيق هذا العدول– صبغتَها في القرون الهجريّة الأربعة الأولى من رواياتٍ شعبيّة كانت تتعاورها الألسن, فعمد إليها الرواة المحترفون كالجاحظ (ت:255هـ), وابن قتيبة (ت:276هـ) , والمبرّد (ت:285هـ), وابن عبد ربّه (ت:328هـ), والقالي (ت:356هـ) , والأصفهاني (356هـ), وغيرهم, فحذفوا منها, وأضافوا إليها, وتناقلها عنهم تلامذتهم آخذين على عاتقهم توثيقها – روايةً – بالكتابة[5].

---

(1) – البنية السرديّة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني, ميّادة عبد الأمير كريم العامري,15, رسالة ماجستير, جامعة ذي قار, كلّيّة التربيّة, 2011م.

(2) – الفن القصصي في النثر العربي, 176.

(3) – يُنظر: فن الخبر في تراثنا القصصي, 11.

(4) – الخبر في الأدب العربي, 376.

(5) – يُنظر: م. ن , 201.

إنّ الأخبار في مختلف أبعادها تخاطب في المتلقّي, شفاهيّاً أو كتابيّاً, حاسّة من حواسّه الظاهرة أو الباطنة, فالإخبار والتدبّر والمفاكهة واللّذة ومجمل هذه العلاقات تُحقِّق الانبناء الواقعي والتخييلي, والتخيّلي للأخبار[1] , وذلك ما يعطي الأخبار صبغةً أدبيّةً تتفوّق على مجرّد الإعلام الذي يتّسم به الخبر التاريخي.

ويُقسمُ الخبر عند بعضهم – بوصفه مجالاً سرديّاً مستوعباً لجملة من الفعاليات الإخباريّة– على قسمين: خبرٌ عام, وخبرٌ خاص, فأمّا العام فيتمثّل بأشكاله السرديّة الأساسيّة, كأيّام العرب, وقصص الشخصيّات, والحيوان. وأمّا الخبر الخاص فيتجلّى بما توفّره مساحته النصّيّة من مجالٍ حكائي يعتمد الاختزال والتركيز والاستقلاليّة, ويتجلّى بالأمثال بوصفها (فاعليّة إخباريّة)[2].

إنّ بنية الخبر في تراثنا العربي– بصورة عامّة– تتشكّل من مكونين أساسيّين هما: السند والمتن, لكن الإسناد ((كان بدائيّاً, لا قانون له, ولا قواعد ثابتة يخضع لها. فمتن الخبر مقدّم على إسناده, ولكن القرن الثالث وما أصابه من تبلورٍ لمصطلحات الإسناد في الحديث النبوي, شهد حركةً في إسناد الأخبار الأدبيّة, إلّا أنّها حركةٌ غير صارمة ولا منتظمة. أمّا القرن الرابع, فقد كان للإسناد فيه تطوّرٌ حاسمٌ كمّاً وكيفاً))[3], لكونه آليّة من الآليّات التي تتعلّق بالسرد العربي وطرائقه وأبنيته, وبالدواعي الباعثة على تحريك النفوس[4].

---

[1] – يُنظر: الكلام والخبر,201.

[2] – يُنظر: سرد الأمثال, دراسة في البنية السرديّة لكتب الأمثال العربية مع عناية بكتاب المفضّل الضبي(أمثال العرب), د. لؤي حمزة عباس,208–209, منشورات اتحاد الكتاب العرب, ط1, دمشق–2003م.

[3] – الخبر في الأدب العربي,300.

[4] – يُنظر: جماليّات النثر العربي–الفني, طراد الكبيسي,66, الموسوعة الصغيرة(442), دار الشؤون الثقافيّة العامة, بغداد–2000م.

إلّا أنّ ((حركة الإسناد في الأخبار الأدبيّة تعايش فيها اتّجاهان: أولهما لا يولي الإسناد أهمّيّةً تذكر, وينطلق أصحابه من خصوصيّة الخطاب الأدبي وتميّزه من الخطاب التاريخي أو الديني. وثانيهما يتمسّك بالإسناد ويعتمده ركناً أساسيّاً من أركان أدب الأخبار))[1].

ولذا فإنّ النثر الفنّي في القرن الرابع الهجري – ولا سيما الخبر الأدبي – أصبح قائماً على الإبداع, وإحكام صناعة الكلام, وشهد هذا القرن ضرباً من الثنائيّة في التأليف, يمكن أن يصطلح عليها بأدب الإبداع , وأدب الاتّباع[2].

ولمّا كان الإسناد في الخبر ناشئاً في أحضان الدين وفي بيئة الفقهاء والمحدِّثين[3], وبارزاً بوصفه وسيلةً من وسائل التثبّت من صحّة الحديث النبوي وسلامته؛ كان من الطبيعي أن تكون وظيفته الأولى القيام بدور الشاهد على أنّ المروي غير مخترع[4], أضف إلى ذلك أنّ من وظائفه ((إلقاء المؤلِّف عهدةَ الحديث على غيره))[5].

وإذا ما قيل بأنّ (المتن الحكائي) هو مجمل الأحداث التي تكوّن المادة الأوليّة للحكاية, أو ((هو الحكاية كما يُفترض أنّها جرت في الواقع))[6], و(المبنى الحكائي) هو البناء الجديد للحكاية على ((وفق نظامٍ تأليفي تخييلي, يتبنّاه السرد بطريقة فنّيّة إبداعيّة))[7]؛ فإنّ (الخبر) – فنّاً – تحوّلٌ في البناء السردي للخبر بصورته الأوّليّة من متنه الحكائي إلى مبناه الحكائي بصورةٍ فنّيّة, قد تنزع صوب التخلّي عن السند الحديثي, عاملة على إعادة صياغة الخبر فنّيّاً,

---

(1) – الخبر في الأدب العربي,300, وإلى مثل هذا أشار النجدي من قبل, يُنظر: أثر علماء الحديث في منهج البحث الأدبي, أحمد جاسم النجدي,132, مجلة المورد, المجلد (7), ع2, بغداد– 1978م.

(2) – يُنظر: الخبر في الأدب العربي,229.

(3) – يُنظر: مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخيّة, د. ناصر الدين الأسد, 259, دار المعارف, ط5, القاهرة– 1978م.

(4) – يُنظر: الخبر في الأدب العربي, 327.

(5) – يُنظر: م. ن, 328.

(6) – البنية السرديّة والخطاب السردي, د.سحر شبيب,3, مجلة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها,ع14, دمشق, 2013م.

(7) – م. ن, 3.

بعيداً عن قيد الالتزام بمجرّد النقل التوثيقي, وهو نزوعٌ نجده عند بعض من ألّف في أخبار الشعراء, كابن زولاق, وابن منظور, ونحوهما, كما سنرى لاحقاً.

إنّ تحقّق الخبر بصيغته الفنيّة تطلّب مهارة كتابيّة انبرى لها كتبةٌ بارعون, تسلّحوا بوسائلهم الفنّيّة التي قد يكون منها التخلّي عن السند الخبري, أو اختزاله أو إجماله؛ ولذا ((نلاحظ في كتب الأدب الأولى, خصوصاً كتب الجاحظ والمبرّد وابن قتيبة, أنّ أصحابها لم يلتزموا بالإسناد على نحوٍ ثابت متّصل, وإنّما كانوا يوردونه حيناً, ويهملونه حيناً, وكانوا يفصّلون القول فيه تارةً, ويختزلونه أو يجملونه مكتفين بالإشارة عن التصريح تارة أخرى))[1].

وإذ تكون نسبة المسرود إلى أشخاصٍ آخرين حقيقيّين أو خياليّين؛ وظيفة من وظائف الإسناد, فإنّه وسيلة من وسائل المؤلّف ((في تحقيق مقاصد كثيرة, منها سرد الأخبار وتوثيقها, والإيحاء بأهميّة الأخبار, وشدّ انتباه المتلقّي لها وجذبه لمتابعتها))[2], وهو إضافة إلى هذا قناةٌ اتّصاليّة بين السارد والمسرود له, تتمثّل في تكوين خيطٍ واصل بينهما [3].

إنّ التزام السند في الأخبار تحتّمه غاية الخبر , أدبيّة كانت أم تاريخيّة أم دينيّة, فالخبر الأدبي وإن تضمّن أحياناً الغاية التأريخيّة؛ يسعى لبثّ عناصر المتعة الفنيّة, عامداً إلى الصياغة الفنيّة التي قد تتخلّى عن السند أحياناً.

وإذا كان الحديث النبوي الذي يلتزم السلسلة السنديّة مكوناً أساسيّاً من مكوّناته, يروى لترسيخ العقيدة أو الإيمان أو تقويم السلوك؛ فإنّ ((الخبر الأدبيّ يُروى للإمتاع في لحظة معيّنة))[4]. ولهذا فإنّ التثبّت من صحّة المتن الخبريّ مهمّة من أوضح مهام السند, نشأت في رحاب المروي من الأثر النبوي, فكانت سلسلة السند, بما تضمّ من رواة, ممّا يُحتجُّ به في

---

[1] – الخبر في الأدب العربي, 173.

[2] – الاستهلال السردي في كتاب أخبار النساء لابن قيّم الجوزيّة, د. نادية الونسة , 23, مجلّة جامعة تكريت للعلوم, المجلّد 18, العدد(5), تمّوز, 2011م.

[3] – يُنظر: الخبر في الأدب العربي,227.

[4] – م. ن, 309.

تصديق الحديث النبويّ أو تكذيبه أو تضعيفه, ورافقت هذه الوسيلة مجمل المروي الخبري, تأثّراً بالحرص التوثيقي التثبّتي للمأثور النبوي, وإن حاول بعض الأخباريّين التحرّر من قيد السند كليّاً أو جزئيّاً كما فعلَ – مثلاً– ابن منظور في (أخبار أبي نواس), وابن زولاق في (أخبار سيبويه المصريّ).

ثانياً: التأليف في أخبار الشعراء

لعلّ الوازع الديني من أهمّ عوامل التأليف العربي ودوافعه قديماً, لكون التأليف صدقةً جارية لا ينقطع أجرها بعد موت المؤلّف, وهذا ما حدا بالسيوطي إلى أن يؤلّف كتاباً يُعرّف بأهمّيّة التأليف وآدابه ومنافعه الدينيّة, بوصفه صدقة جارية يتركها المؤلّف, فيما يترك بعده, خالداً بها بين الناس, فلا يخلو وقت إلّا والتأليف عقد جواهره[1].

وكان تصنيف الكتب مرحلةً سابقةً على مرحلة التأليف, إذ ((اهتمّ العلماء بجمع العلم, وكان العلم يُطلق على النصّ أو على الحديث النبوي بالذات. ولكنّنا لانقصد سائر النصوص, حيث أنّهم جمعوا الحديث والشعر والحكايات والأخبار, جمعوها تحت عناوين, وفرّقوها في فصول, ووزّعوها على أقسام, فكان ذلك عمل المصنّف, يقتصر على الجمع دون التعليل والتعليق والربط والتأليف))[2]. ولذا يمكن أن نميّز نوعين من التأليف, أحدهما: ((التأليف الإبداعي))[3] القائم على الابتكار والخلق الإبداعي بعيداً عن المصدرة التوثيقيّة لما يمكن أن يُقتبس من النصوص غالباً, ولذا فإنّ ((الإنتاج الإبداعي في النهاية, لا يلتزم بالإشارة إلى

---

[1] – يُنظر: التعريف بآداب التأليف, السيوطي (ت:911), تح: مرزوق علي إبراهيم, 18–19, مكتبة التراث الإسلامي, ط1, مصر–1989م.

[2] – الأربعون في أسباب التأليف وأسرار التصنيف, د.زيد الرماني,7, مدار الوطن للنشر, ط1, الرياض–2003م.

[3] – يُنظر: العلاقات بين النصوص في التأليف العربي, دراسة تفارع النصوص في التأليف العربي, د.كمال عرفات نبهان,11, العربي للنشر والتأليف, القاهرة–1993م.

مصادر الأفكار والمعلومات, كما تلتزم أنواع أخرى من التأليف))[1], وأمثلته كثيرة في تراثنا الأدبيّ منها ((منهاج البلغاء وسراج الأدباء))[2] لحازم القرطاجنّي (ت:684هـ). والآخر: ((التأليف التوثيقي))[3], وهو قائمٌ على توثيق المصادر التي يُقتبس منها, سواءٌ أكانت تلك المصادر كتباً بعينها, أم أشخاصاً يُروى عنهم على وفق سندٍ حديثي, وهذا شائعٌ في التأليف الأدبي القديم, ومثاله كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الأصفهاني (ت:356هـ), فهو يشير إلى مصادر أخباره, ومظان نقوله, معتمداً في ذلك غالباً, سلسلةَ السند مصدراً يُلقي على عاتقه الخبر المنقول؛ ((إذ جمعَ فيه ما حضره وأمكنه جمعه من الأغاني وحديثها, ونسب كلّ ما ذُكر منها إلى قائل شعره, وصانع لحنه))[4].

والتأليف في الأدب العربي قد بدأ منذ وقتٍ مبكّرٍ, وهو مرحلة تأتي عقب مرحلة الرواية والسماع والتدوين, التي لم تلبث طويلاً حتّى أُلّفت العلوم العربيّة المختلفة, التي منها المؤلّفات الأدبيّة[5].

وازدهر التأليف الأدبي وبلغ مبلغاً كريماً على أيدي علماء أفذاذ, أمثال الأصمعي, وابن الأعرابي, والجاحظ, والصوليّ والمرزباني وغيرهم, فقد قدّم أولئك عصارة أفكارهم, وينابيع أفهامهم, وكانت مرحلة السموّ الفكري تلك من دواعي ازدهار التأليف الأدبي, وناهيك بإخلاص العلماء للعلم, إذ لم تشغلهم الأوضاع السياسيّة وتقلباتها, وليس ذلك وحده, وإنّما كان جوهر العقول, والمثل الخُلقية في إتقان العمل, واحترام عقل الإنسان في ظلال الحضارة الإسلاميّة؛ سنداً للعلماء كي يُخلصوا لنداء العلم, ويتفرّغوا له[6].

---

(1) – العلاقات بين النصوص في التأليف العربي, 11.

(2) – منهاج البلغاء وسراج الأدباء, القرطاجنّي (ت:684هـ), تح: محمد الحبيب بن الخوجة, ط1, دار الغرب الإسلامي, بيروت–1981م.

(3) – العلاقات بين النصوص في التأليف العربي, 11.

(4) – الأغاني, أبو الفرج الاصفهاني (ت:356هـ), تح: إحسان عبّاس, وآخرَين,23, دار صادر,ط3, بيروت–2008م.

(5) – منهج التأليف عند العلماء العرب, د. مصطفى الشكعه, 101, دار العلم للملايين, ط6, بيروت– 1991م.

(6) – يُنظر: منهج التأليف عند العلماء العرب, 104.

وإذا ما نظرنا إلى حركة التأليف في كتب أخبار الشعراء وطبقاتهم لوجدناها نشطة منذ وقتٍ مبكّر ((ففي القرن الثاني الهجري ألّف أبو دعامة[1] كتاباً عن " الشعر والشعراء", وكان المذكور ممّن انقطع إلى البرامكة, وكتابه مفقودٌ في زمننا))[2].

وقد أحصى الدكتور هلال ناجي خمسة وعشرين مصدراً عُنيَ بالشعر والشعراء وأخبارهم وطبقاتهم حتّى أواخر القرن الرابع للهجرة, ما بين محقّقٍ, ومفقود[3].

وإنّ رجوعاً إلى المصادر القديمة من كتبِ أدبٍ وتراجم وتأريخٍ ؛ يقفُ بنا على جملة وفيرة من كتب الأخبار, أحصيناها متسلسلةً بحسب وفيات مصنِّفيها, وجميعها في أخبار الشعراء, وهي – باستثناء خمسة مصنّفات سنشير إليها في مواضعها– غير تلك التي أحصاها الدكتور هلال ناجي.

ولمّا كانت المصنّفات الأخباريّة التي تحدّثت عن الشعراء وأخبارهم كثيرة ومتعدّدة, فإنّنا قصدنا ببحثنا هذا إلى كتب الأخبار التي تحدّثت عن أخبار الشعراء دون سواهم, فُرادى أو مجموعين, وحملت في عتبة عنوانها كلمة (أخبار). وفيما يأتي ثبتٌ بهذه الكتب الأخباريّة:

1– أخبار الشعراء[4], لابن السائب الكلبي (ت:204هـ أو 206هـ)[5], وهو مفقود.

2– أخبار الشعراء[6], للمدائني (ت:224هـ)[7], وهو مفقود, وقد ذكره هلال ناجي في الذي أحصاه[8].

---

(1) – علي بن يزيد, أبو دعامة القيسي, صاحب أدب ورواية للشعر, روى عن أبي نواس, وأبي العتاهية, وغيرهما, يُنظر: تاريخ بغداد, الخطيب البغدادي (ت:463هـ), تح: د. بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي , ط1, بيروت–2002 م

(2) – أبو هفّان, حياته وشعره وبقايا كتابه (الأربعة في أخبار الشعراء), تح:هلال ناجي, 201, مجلّة المورد (8), ع4, بغداد– 1979م.

(3) – يُنظر: أبو هفّان, حياته وشعره وبقايا كتابه (الأربعة في أخبار الشعراء), 202–201.

(4) – يُنظر: الوافي بالوفيات, الصفدي (ت: 764هـ), تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى,88/8, 27, 213, ط1, دار إحياء التراث, بيروت– 2000م

(5) – هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي , النسّابة العلامة, والأخباري الحافظ, توفي سنة (204هـ أو 206هـ), يُنظر الوافي بالوفيات, 212/27.

(6) – يُنظر: سير أعلام النبلاء, الذهبي (ت: 748هـ),8/ 447, ط9, دار الحديث, القاهرة –2006م, وينظر: الوافي بالوفيات,31/22.

(7) – أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني, المتوفّى سنة (224هـ), يُنظر: سير أعلام النبلاء,8/ 447.

(8) – يُنظر: أبو هفّان حياته وشعره, 202.

3- المُـذهّب فـي أخبـار الشـعراء وطبقـاتهم[1], لمحمـد بـن حبيـب (ت:245هـ)[2] وقيـل:(ت:250هـ)[3], وهـو فـي الـوافي بالوفيـات - ولعلّـه تحريـف - (المهـذّب فـي أخبار الشعراء وطبقاتهم)[4], وفي الأعلام (أخبار الشعراء وطبقاتهم)[5], وهو مفقود.

4- أخبـار الشـعراء[6], لـدعبل الخزاعـي (ت:246هـ)[7], وهـو مفقـود, ويسـمى أحيانـاً بـ(طبقات الشـعراء), وقـد حقّـق محمـد جبـار المعيبـد مـا سـمّاه (نصـوص مـن كتـاب "طبقـات الشـعراء"), وهـو جمـعٌ لشُـتات مـن أخبـار الشـعراء المنسـوبة لـدعبل الخزاعي, فخمّن أنّها من كتابه هذا[8].

5- أخبار عمر بن أبي ربيعة[9], للزبير بن بكّار (ت:256هـ)[10], وهومفقود.

6- أخبار ابن ميّادة, للزبير بن بكّار[11], وهو مفقود.

7- أخبار حسّان, للزبير بن بكّار[1], وهو مفقود.

---

(1) - يُنظر: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب), ياقوت الحموي (ت:626هـ), تح: إحسان عباس, 2482/6, دار الغرب الإسلامي, ط1, بيروت-1993م, ويُنظر: الوافي بالوفيات,241/2.

(2) - أبو جعفر محمد بن حبيب, من علماء بغداد, عالم باللغة والشعر والأخبار والانساب, وله مصنّفات في الأخبار, توفي في سامراء سنة (245هـ), في أيام المتوكل, ينظر: معجم الأدباء,2480/6.

(3) - يُنظر: الوافي بالوفيات,241/2.

(4) - يُنظر: م. ن, 241/2.

(5) - يُنظر: الأعلام, للزركلي (ت: 1396هـ), 6/ 78, دار العلم للملايين, ط15, بيروت-2002 م.

(6) - يُنظر: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي, أبو عبيد الله البكري (ت:487هـ), تح: عبد العزيز الميمني, 52/2, ط1, مطبعة لجنة التألف والنشر, القاهرة-1936.

(7) - دعبل بن علي بن رُزين بن عثمان بن عبد الله بن بديل الخزاعي, الشاعر المشهور, وقد توفي سنة (246هـ), يُنظر: تاريخ دمشق, 268/17 .

(8) - يُنظر: نصوص من كتاب (طبقات الشعراء) لدعبل الخزاعي, محمد جبار المعيبد, 111, مجلة المورد, المجلد السادس, ع2, بغداد-1977.

(9) - يُنظر: معجم الأدباء, 1326/3

(10) - الزبير بن بكّار بن عبد الله بن مصعب القريشي المكي, من أحفاد الزبير بن العوام, عالم بالأنساب وأخبار العرب, يُنظر: الوافي بالوفيات,125/14.

(11) - يُنظر: معجم الأدباء, 1325/3.

8- أخبار جميل, للزبير بن بكّار[2], وهو مفقود.

9- أخبار نُصيب, للزبير بن بكّار[3], وهو مفقود.

10- أخبار كُثيّر, للزبير بن بكّار[4], وهو مفقود.

11- أخبار المجنون, للزبير بن بكّار[5], وهو مفقود.

12- أخبار ابن هرمة, للزبير بن بكّار[6], وهو مفقود.

13- أخبار أميّة بن أبي الصلت, للزبير بن بكّار[7], وهو مفقود.

14- أخبار ابن قيس الرقيات, للزبير بن بكّار[8], وهو مفقود.

15- أخبار الأحوص, للزبير بن بكّار[9], وهو مفقود.

16- أخبار توبة بن الحُميّر[10] وليلى الأخيليّة, للزبير بن بكّار[11], وهو مفقود.

17- أخبار ابن الدمينة[12], للزبير بن بكّار[13], وهو مفقود.

18- أخبار أبي دهبل الجمحي[1], للزبير بن بكّار[2], وهو مفقود.

---

[1] - يُنظر: م. ن, 1326/3.

[2] - يُنظر: م. ن, 1326/3.

[3] - يُنظر: م. ن, 1326/3.

[4] - يُنظر: م. ن, 1326/3.

[5] - يُنظر: م. ن, 3/ 1326.

[6] - يُنظر: م. ن, 3/ 1326.

[7] - يُنظر: م. ن, 1326/3

[8] - يُنظر: م. ن, 3/ 1325.

[9] - يُنظر: م. ن, 1325/3.

[10]- توبة بن الحُميّر الخفاجي، أحد المتيمين، صاحب ليلى الأخيلية, يُنظر: فوات الوفيات, 259/1.

[11] - يُنظر: معجم الأدباء 3/ 1326.

[12]- عبد الله بن عبيد الله بن أحمد بن الدمينة شاعر من بني عامر بن تيم الله من خثعم توفي نحو سنة (130هـ), يُنظر: معجم المؤلفين, عمر رضا كحالة, 81/6, دار إحياء التراث العربي, بيروت - 1957م.

[13] - يُنظر: م. ن, 1326/3.

19- أخبار هُدبة بن خشرم وزيادة[3], للزبير بن بكّار[4], وهو مفقود.

20- أخبار الشعراء[5], أبو هَفّان المهزمي (ت:257هـ)[6], وهو مفقود, ولعله كتاب (الأربعة في أخبار الشعراء)[7] نفسه, الذي حقق هلال ناجي نصوصاً منه على سبيل الترجيح[8].

21- أخبار أبي نواس, للمهزمي, وهو كتابٌ محقّق[9].

22- أخبار الشعراء[10], لابن خيثمة (ت:279هـ)[11], وهو مفقود, وقد ذكره هلال ناجي فيما أحصاه من كتب الأخبار[12].

23- الجامع في الشعراء وأخبارهم[13], لأبي الفضل بن أبي الطاهر (ت:280هـ)[14], وهو مفقود.

---

(1) – هو وهب بن زمعة بن أسيد بن أحيحة بن خلف , أبو دهبل الجمحي الشاعر, يُنظر: تاريخ دمشق, 355/63.

(2) – يُنظر: م. ن: 1326/3.

(3) – هُدبة بن خَشرَم بن كرز القُضاعي ثمّ الأسلَميّ كان شاعرًا فصيحاً وهو راوية الحُطيئة , وكان جميل راوية هُدبة , وكان بين هدبة وبين زيادة بن زيد مُلاحاة وأَهاجٍ وزاد ذلك إلى أَن قَتَل هدبةُ زيادَة ثمّ هرب وذلك في عهد معاوية, يُنظر: الوافي بالوفيات, 196/27.

(4) – يُنظر: معجم الأدباء, 1326/3.

(5) – يُنظر: الوافي بالوفيات,18/17, وينظر: بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة, السيوطي (ت:911هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, 31/2, دار الفكر, ط2, بيروت- 1979م.

(6) – هو عبد الله بن أحمد بن حرب المهزمي, راوية وعالم بالشعر والأدب وشاعر من أهل البصرة, سكن بغداد, وكان متهتّكاً وصحب أبا نواس وروى عنه كثيراً, توفي سنة (257هـ), يُنظر: الأعلام,64/4.

(7) – يُنظر: الفهرست, 178.

(8) – أبو هفّان, حياته وشعره وبقايا كتابه (الأربعة في أخبار الشعراء).

(9) – أخبار أبي نواس, للمهزمي (ت:257هـ), تح: عبد الستار أحمد فرّاج, دار مصر للطباعة, ط1,القاهرة-1953م, وحقّقه أحدُهم مؤخّراً, وقد عزفنا عن اعتماد تحقيقه؛ لِكثرة الأخطاء الإملائيّة والوزنيّة فيه, وليس في هذا التحقيق زيادة على تحقيق عبد الستار فرّاج سوى أنّ محققه – كما يشير إلى ذلك – حصلَ على مخطوطةٍ مصوّرة عن المخطوطة المحفوظة بالمكتبة الوطنيّة التونسيّة, فحقّقها, مع أنّ أخباره تنقصُ بخبر واحد عن تحقيق فرّاج المتقدّم, يُنظر: أخبار أبي نواس, المهزمي, تح: فرج الحوار, منشورات الجمل, ط1, بيروت- 2011م .

(10) – يُنظر: الفهرست, 282.

(11) – أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب من المحدّثين والأخباريّين , وكان فقيهاً, توفي سنة (279هـ), يُنظر: الفهرست, 282.

(12) – يُنظر: أبو هفّان, حياته وشعر وبقايا كتابه (الأربعة في أخبار الشعراء), 202.

(13) – يُنظر: الوافي بالوفيات, 8/7.

(14) – أحمد بن طيفور, أو الفضل بن أبي الطاهر, أحد البلغاء الشعراء الرواة, توفي سنة, (280هـ), الوافي بالوفيات, 8/7.

24- اختيار بشّار وأخباره[1],لأبي الفضل بن أبي الطاهر, وهو مفقود.

25- أخبار ابن قيس الرقيّات وشعره[2],لأبي الفضل بن أبي الطاهر, وهو مفقود.

26- أخبار الشعراء المولدين[3], لهارون بن علي بن يحيى المنجّم (288هـ)[4], ويُسمى أحياناً (البارع في أخبار الشعراء المولدين)[5], وقد ذكره هلال ناجي في ما أحصاه[6], وهو مفقود.

27- أخبار الشعراء[7], لمحمد بن يحيى المنجّم, ووفاته في القرن الثالث للهجرة[8], وهو مفقود.

28- الورقة, لأبي عبد الله محمد بن داود بن الجرّاح (296هـ), وهو كتابٌ محقّق[9], وقد ذكره هلال ناجي في ما أحصاه[10].

29- أخبار الشعراء[11], ليحيى بن علي بن أبي منصور المنجم (ت:300هـ)[12], وهو مفقود.

30- الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين[13], ليحيى بن علي المنجم (ت:300هـ), وهو مفقود, وقد ذكره هلال ناجي فيما أحصى[1], ويُسمّى أحياناً بـ(أخبار الشعراء المخضرمين)[2].

---

[1] – يُنظر: الوافي بالوفيات, 8/7.

[2] – يُنظر: م. ن, 8/7.

[3] – يُنظر: م. ن, 61/1.

[4] – أبو عبد الله, هارون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم البغدادي, توفي (288هـ), يُنظر: وفيات الأعيان, ابن خلكان البرمكي الإربلي(ت:681هـ), تح: إحسان عباس, 78/6-79, ط1, دار صادر – بيروت, م1977.

[5] – يُنظر: معجم الأدباء, 2763/6, وينظر: وفيا ت الأعيان, 353/3, وينظر: الوافي بالوفيات, 117/27, وينظر: الأعلام, 61/8.

[6] – يُنظر: أبو هفان حياته وشعره وبقايا كتابه (الاربعة في اخبار الشعراء), 202.

[7] – يُنظر: الوافي بالوفيات, 136/5.

[8] – محمد بن يحيى بن أبي منصور المنجّم, أكبر ولد يحيى ووفاته في القرن الثالث للهجرة, يُنظر:الوافي بالوفيات, 137/5.

[9] – يُنظر: الورقة, لابن الجراح (ت: 296هـ), تح: د.عبد الوهاب عزام, عبد الستار أحمد فراج, دار المعارف, ط3, مصر- 1986م.

[10] – أبو هفّان, حياته وشعر وبقايا كتابه (الأربعة في أخبار الشعراء), 201.

[11] – يُنظر: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان, عفيف الدين اليافعي (ت:768هـ), تح: خليل منصور, 32/2, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت-1997م, وينظر: الوافي بالوفيات,160/8.

[12] – يحيى بن علي بن منصور المعروف بابن المنجم النديم, نادم الخليفة المعتضد, والمكتفي من بعده, توفي سنة (300هـ), يُنظر: معجم الأدباء, 1826/6.

[13] – يُنظر: معجم الأدباء,2826/6, وينظر: وفيات الأعيان, 198/6, وينظر: سير أعلام النبلاء, 405/13.

31- الإشارة في أخبار الشعراء[3], لعُبيد الله بن طاهر (ت:300هـ)[4], وهو مفقود.

32- أخبار السيّد الحميريّ[5], لأبي بشر العمّي[6], ولم تُذكر سنة وفاته, ويبدو أنّه توفي في القرن الرابع للهجرة؛ إذ كان مستملي أبي أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودي (ت:332هـ), وروى كثيراً عن محمد بن زكريا الغلابي (ت:298هـ)[7], وكتابه مفقود.

33- أخبار عمر بن أبي ربيعة[8], لابن بسّام الشاعر (ت:302هـ)[9], وهو مفقود.

34- أخبار الأحوص, لابن بسّام الشاعر[10], وهو مفقود.

35- أخبار الشعراء[11], لابن المرزبان (ت:309هـ)[1], وهو مفقود.

---

(1) – يُنظر: أبو هفان حياته وشعره وبقايا كتابه (الاربعة في اخبار الشعراء), 202.

(2) – يُنظر: معجم الأدباء, 554/2.

(3) – يُنظر: الوافي بالوفيات,61/1, 251/19, وينظر: وفيات الأعيان, 122/3, وينظر: سير أعلام النبلاء, 41/11, وينظر: الأعلام, 195/4.

(4) – عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن حسين بن مصعب بن زُريق بن سعد بن باذان الخزاعي, ولِيَ الشرطة في خلافة المعتز, توفي سنة (300هـ), يُنظر: وفيات الأعيان, 120/3-122, وينظر: الوافي بالوفيات, 178/24.

(5) – معجم الأدباء,174/1, وينظر: الوافي بالوفيات: 134/6.

(6) – أبو بشر, أحمد بن إبراهيم بن مُعلّى بن أسد العمّي البصري, له تصانيف كثيرة في التاريخ والأدب ومناقب علي (ع), وغير هذا, ولم تُذكر سنة وفاته, ينظر: الوافي بالوفيات, 134/6, وينظر: الأعلام, 85/1.

(7) – يُنظر: طبقات أعلام الشيعة, الشيخ آغا بزرك الطهراني (ت:1389هـ), تح: علي تقي فنروي, 17, دار الكتاب العربي, ط1, بيروت- 1971م.

(8) – يُنظر: الفهرست, 184/1, وينظر: معجم الأدباء,1860/4, وينظر: وفيات الأعيان, 365/3, وينظر: فوات الوفيات, صلاح الدين , محمد بن شاكر بن أحمد (ت:764هـ), تح: إحسان عباس, 92/3,ط1, دار صادر, بيروت- 1974م, وينظر: الوافي بالوفيات, 94/22.

(9) – علي بن محمد بن نصر بن منصور بن بسّام, كان شاعراً وأديباً, وهو ابن أخت ابن حمدون النديم, توفي سنة (302هـ), ينظر: يُنظر: فوات الوفيات, 92/3.

(10) – يُنظر: الفهرست, 92/3, وينظر: الوافي بالوفيات,94/22.

(11) – يُنظر: سمط اللآلي في شرح أمالي القالي, 197/1, وينظر: سير أعلام النبلاء,163/11.

36- أخبار عبد الله بن قيس الرقيات ومختار شعره, لابن المرزبان[2], وهو مفقود.

37- أخبار حجر بن عدي[3], لابن عماد الثقفي (ت:314هـ)[4], وهو مفقود.

38- أخبار أبي نواس, لابن عماد الثقفي[5], وهو مفقود.

39- أخبار ابن الرومي ومختار شعره, لابن عماد الثقفي[6], وهو مفقود.

40- أخبار أبي العتاهية, لابن عماد الثقفي[7], وهو مفقود.

41- أخبار البحتري, للصوليّ(ت:335هـ)[8], وهو مُحقّق[9].

42- أخبار ابن هرمة, للصوليّ[10], وهو مفقود.

43- أخبار السيّد الحميري , للصوليّ[11], وهو مفقود.

44- أخبار أبي نواس, للصولي[12], وهو مفقود.

45- أخبار إسحاق بن إبراهيم , للصولي[13], وهو مفقود.

---

(1) – أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان بن بسّام المُحوَّلي البغدادي توفي سنة (309هـ), يُنظر: سير أعلام النبلاء, 163/11, ينظر: الوافي بالوفيات,37/3.

(2) – يُنظر: الوافي بالوفيات, 38/3.

(3) – يُنظر: م. ن, 114/7, وينظر: الفهرست,166/1, وينظر: الأعلام, 166/1.

(4)– ابن عماد الثقفي, أحمد بن عبيد الله بن محمد, أبو العباس الثقفي الكاتب, المعروف بحمار العُزير الكاتب, وكان يتشيّع, توفي سنة (314هـ), يُنظر: الوافي بالوفيات, 114/7- 115.

(5) – يُنظر: الوافي بالوفيات, 114/7, وينظر: الفهرست,166.

(6) – يُنظر: الوافي بالوفيات, 144/7, وينظر: الفهرست,166.

(7) – يُنظر: الوافي بالوفيات,114/7, وينظر: الفهرست:182.

(8) – محمد بن يحيى بن عبد الله بن العبّاس بن محمد بن صول الشطرنجي, أحد الأدباء المتقدّمين في الآداب والأخبار والشعر والتاريخ, نادم عدداً من الخلفاء, وتوفي (335هـ), يُنظر: الوافي بالوفيات, 125/5.

(9) – أخبار البحتري, للصولي , تح: د.صالح الأشتر, مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق, ط1, دمشق- 1958م.

(10) – يُنظر: وفيات الأعيان, 4/ 356, وينظر: الفهرست,185.

(11) – يُنظر: وفيات الأعيان,356/4, وينظر: الفهرست,185.

(12) – يُنظر: الوافي بالوفيات, 125/5.

(13) – يُنظر: وفيات الأعيان, 356/4, وينظر: الفهرست, 185.

46- أخبار أبي تمّام, للصولي , وهو محقّق[1].

47- أخبار الفرزدق, للصوليّ[2], وهو مفقود.

48- أخبار الشعراء[3], للصوليّ, ولعلّ المقصود به ذلك الجزء من كتاب الأوراق[4] الذي سنذكره.

49- الأوراق: قسم أشعار أولاد الخلفاء, للصولي, وهو محقّق[5].

50- الأوراق, قسم أخبار الشعراء, للصولي , وهو محقّق[6].

51- أخبار الشعراء[7], لأبي جعفر النحّاس (ت:338هـ)[8], وهو مفقود.

52- أخبار الشعراء بالأندلس[9], لسعد الخير (ت:350هـ)[10], وهو مفقود.

---

[1] – يُنظر: أخبار أبي تمّام, للصولي (ت:335هـ), تح: خليل محمود عساكر, محمد عبدُه عزام, نظير الإسلام الهندي, لجنة التأليف والترجمة والنشر, مصر–1973م.

[2] – وقد ذكره الصولي في ضمن رسالته إلى مزاحم بن فاتك, يُنظر: أخبار أبي تمام, 12.

[3] – يُنظر: الوافي بالوفيات, 61/1, وينظر: وفيات الأعيان, 360/4.

[4] – وقد احتمل ذلك الدكتور صالح الأشتر, يُنظر: أخبار البحتري, مقدمة المحقق/24.

[5] – الأوراق, قسم أشعار أولاد الخلفاء, للصولي, تح:ج. هيورث دن, مطبعة الصاوي, ط1, القاهرة–1936م.

[6] – الأوراق, قسم أخبار الشعراء, للصولي, تح:ج.هيورث دن, مطبعة الصاوي, ط1, القاهرة–1934م.

[7] – يُنظر: طبقات النحويين واللغويين, أبو بكر الأشبيلي (ت:379هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, 221/1, ط2, دار المعارف, القاهرة– 1984م, وينظر: معجم الأُدباء, 468/1, وينظر: البلغة في تراجم أئمّة النحو واللغة, الفيروز آبادي (ت:817هـ), 84, تح: محمد المصري, دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع, ط1, القاهرة–2000م, وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها, السيوطي (ت:911هـ), تح: فؤاد علي منصور, 314/2, دار الكتب العلميّة, ط1, بيروت–1998م.

[8] – أبو جعفر أحمد بن إسماعيل النحّاس, النحوي المشهور, توفي سنة (338هـ), يُنظر: الوافي بالوفيات, 237/7.

[9] – يُنظر: الوافي بالوفيات, 110/5, وينظر: جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس, أبو عبد الله بن أبي نصر الحميدي (ت:488هـ), 96, دار الكتب المصريّة للتأليف والنشر, ط1, القاهرة –1966, ويُنظر: بُغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس, أبو جعفر الضبي (599هـ), 139, دار الكتاب المصري, دار الكتاب اللبناني, ط1, القاهرة– 1998م, وينظر: الأعلام, 121/7, وينظر: نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب, الشيخ أحمد بن محمد المقرّي (ت:1041هـ), تح: إحسان عبّاس, 3/ 573, دار صادر, ط1, بيروت–1997.

[10] – أبو بكر محمد بن هشام بن عبد العزيز بن محمد بن سعد الخير بن الأمير الحكم بن هشام, أديبٌ مشهور بالتقدّم بالأدب, يُنظر: الوافي بالوفيات, 110/5.

53- أخبار الشعراء, للمرزباني(ت:384هـ أو385هـ)[1], وقيل هو في خمسة آلاف ورقة[2], ولعلّ المعني بذلك كتابه معجم الشعراء[3].

54- أخبار السيد الحميري, للمرزباني, وهو محقّق[4].

55- أخبار شعراء الشيعة, للمرزباني, وهو محقق[5]

56- أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدَثين وأنسابهم وأزمانهم للمرزباني[6], وهو مفقود.

57- المفيد في أخبار الشعراء وأحوالهم في الجاهليّة والإسلام وديانـاتهم ونحلهم, للمرزباني[7], وهو مفقود.

58- الموثق في أخبار الشعراء المشهورين من الجاهليّة والمخضرمين والإسلاميّين إلى الدولة العباسيّة, للمرزباني[8], وهو مفقود.

59- المستنير في أخبار الشعراء المحدثين المشهورين, للمرزباني, في عشرة آلاف ورقة[9], وهو مفقود. وذُكر أنّ المرزباني ألّف كتباً كثيرة في أخبار الشعراء المتقدمين وطبقاتهم[1].

---

(1) – محمد بن عمران بن موسى بن عبيد الله الكاتب, المعروف بالمرزباني, عالم جليل, ومصنّف بارع, وراوية أديب, توفي سنة (384هـ), يُنظر: تاريخ بغداد 227/4.

(2) – يُنظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:478هـ), تح: عمر عبد السلام القدميري,27/ 87, دار الكتاب العربي, ط2, بيروت–1993م, وينظر: لسان الميزان, العسقلاني(ت:852هـ), 327/5, تح: دائرة المعارف النظامية الهندية, مؤسسة الأعلمي, ط2, بيروت–1971م.

(3) – معجم الشعراء, الإمام أبو عبيد الله المرزباني, تح: د. ف . كرنكو, مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، ط2, لبنان – 1982م.

(4) – أخبار السيّد الحميري, للمرزباني (ت: 385هـ), تح: محمد هادي الأميني, مطبعة النعمان, ط1, النجف–1965م.

(5) – أخبار شعراء الشيعة, للمرزباني, تح: محمد هادي الأميني, شركة الكتبي للطباعة والنشر والتوزيع, ط2, بيروت– 1993م.

(6) – يُنظر: معجم الأدباء, 2583/6.

(7) – يُنظر: م. ن, 2583/6.

(8) – يُنظر: إنباه الرواة على أنباه النحاة, علي بن يوسف القفطي (ت:646هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, 3/ 182, دار الفكر العربي, ط1, القاهرة–1982م.

(9) – يُنظر: م. ن, 182/3.

60- أخبار سيبويه المصري, لابن زولاق المصري (ت:387هـ أو386هـ)[2], وهو محقّق[3].

61- أخبار الشعراء[4], للوزير أبي سعد محمد بن الحسين (ت: 439هـ)[5], وهو مفقود.

62- أخبار أبي نواس[6], أبو الحسن السميساطي (ت:453هـ)[7], وهو مفقود.

63- أخبار الشعراء[8],لابن القطّاع (ت:515هـ)[9], وهو مفقود.

64- أخبار المتنبّي[10], لأبي الفتح البلطي (ت:599هـ)[11], وهو مفقود.

65- أخبار الشعراء, لياقوتٍ الحموي (ت:623هـ)[12], ذكرهُ هو في كتابه (معجم الأدباء), وقال إنّه نقله من كتاب (الأغاني) لأبي الفرج الاصفهاني[13], وهو مفقود. وأشارَ

---

(1) – يُنظر: الأنساب, للسمعاني (ت: 562هـ), تح: عبد الله عمر البارودي, 189/12, دار الجنان, ط1, لبنان-1988م.

(2) – الحسن بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن بن علي بن خلف بن راشد بن عبد الله بن سليمان بن زولاق المصري الليثي، من أعيان علماء أهل مصر ووجوه أهل العلم فيهم، وله عدة تصانيف في التواريخ المصرية. مات سنة ست وثمانين وثلاث مائة، وقيل: سنة سبع وثمانين وثلاث مائة , يُنظر: معجم الأدباء, 807/2- 808.

(3) – أخبار سيبويه المصري, ابن زولاق المصري (ت:387هـ), تح: محمد إبراهيم سعد, حسين الدين, مكتبة الأبحاث العلميّة, ط1, مصر-1933م.

(4) – الوافي بالوفيات, 36/5.

(5) – الوزير أبو سعد, عميد الدولة محمد بن الحسين بن علي بن عبد الرحيم, وزير جلال الدولة لستٍّ سنين, توفي في جزيرة ابن عمر بعد خروجه من بغداد بعد مضايقات الترك له سنة (439هـ), يُنظر: الوافي بالوفيات,9/3.

(6) – يُنظر: الفهرست, 196.

(7) – علي بن محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الله بن محمد بن زكريا, أبو القاسم السلّمي الحبيشي, المعروف بالسميساطي, (ت:453هـ), يُنظر: تاريخ دمشق, ابن عساكر (ت: 571هـ), تح: عمرو بن غرامة العمروي, 215/43-216, دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت-1995م.

(8) – يُنظر: سير أعلام النبلاء, 14/ 325.

(9) – أبو القاسم علي بن جعفر بن علي السعدي الصقلّي, المعروف بابن القطّاع (ت:515هـ), يُنظر: سير أعلام النبلاء, 325/14.

(10) – يُنظر: فوات الوفيات, 443/2, الوافي بالوفيات, 327/19, الأعلام,212/4.

(11) – عثمان بن عيسى بن هيجون, أبو الفتح البلطي, المُتوفّى سنة (599هـ), أديبٌ نحوي له مجاميع في الأدب, يُنظر:فوات الوفيات, 2/ 443, وينظر: الوافي بالوفيات, 327/19, وقد حُرّف في الأعلام فقيل: البُليطي, ينظر: الأعلام, 212/4.

(12) – أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي, الملقب بشهاب الدين, توفي سنة (623هـ), وله تصانيف كثيرة, ينظر: وفيات الأعيان: 127/6.

(13) – يُنظر: معجم الأدباء,1708/4, 2243/5.

مرجليوث مُحَقِّق (إرشاد الإريب) أوّل مرّة في سبعة أجزاء تمّت بين عامي (1907م) و(1926م)؛ أشار إلى أنّ الجزأين (الرابع) و(السابع)هما من كتابٍ آخر هو (أخبار الشعراء) للحموي(ت:623هـ)[1].

66- أخبار المتنبّي[2], للحموي, وهو مفقود, وذكر إحسان عبّاس أنّه يمكن إلحاقه بـ(معجم الأدباء) للحموي[3].

67- أخبار شعراء الشيعة[4], لابن أبي طي (ت:630هـ)[5], وهو مفقود.

68- أخبار الحلّاج, لابن الساعي البغدادي (ت:674هـ)[6], وهو محقّق[7].

69- أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء, للملك المنصور الأيّوبي (ت:617هـ)[8], وهو محقّق[9].

70- أخبار أبي نواس, لابن منظور(ت: 711هـ)[10], وهو محقّق[11].

---

[1] – يُنظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي, د. عوض محمد أسعد الدوري,19, بحث منشور في ضمن مجلّة سُرّ من رأى, المجلّد4, ع11, السنة الرابعة,2008م.

[2] – يُنظر: وفيات الأعيان, 129/6, وينظر: الأعلام, 131/8.

[3] – يُنظر: معجم الأدباء, 2913/7.

[4] – يُنظر: فوات الوفيات:270/4, وينظر: الأعلام,144/8.

[5] – يحيى بن جميد بن ظافر بن النجار بن علي, المعروف بابن أبي طي, من العلماء الفقهاء الذين ألّفوا في أنواع العلوم, وكان إماميّاً, توفي سنة (630هـ), يُنظر, فوات الوفيات,369/4-370.

[6] – علي بن أنجب, تاج الدين بن الساعي البغدادي, من كبار المصنفين في التاريخ, توفي في بغداد, يُنظر: الأعلام, 265/4.

[7] – أخبار الحلاج, لعلي بن أنجب الساعي البغدادي (ت:674هـ), تح: موفق فوزي الجبر, دار الطليعة الجديدة, ط2, دمشق-1997م.

[8] – الملك المنصور, ناصر الدين, محمد بن الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب بن شاذي, صاحب حماة, وكان قائداً شجاعاً هزم الفرنج مرتين, ودامت دولته ثلاثين عاماً, وتوفي سنة (617هـ), ينظر: سير أعلام النبلاء, 146/22.

[9] – أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء, للملك المنصور, محمد بن عمر الأيوبي (ت:617هـ), تح: ناظم رشيد, دار الشؤون الثقافية العامة, ط1, بغداد- 2001م.

[10] – محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، صاحب (لسان العرب) : الإمام اللغوي الحجة. من نسل رويفع بن ثابت الأنصاري. ولد بمصر (وقيل: في طرابلس الغرب) وخدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة. ثم ولي القضاء في طرابلس, وعاد إلى مصر فتوفي فيها سنة (711هـ), يُنظر: الأعلام, 108/7.

[11]– أخبار أبي نواس, لابن منظور, تح: محمد عبد الرسول إبراهيم, عباس الشربيني, جزآن, مطبعة الاعتماد, ط1, مصر-1924.

71- نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, لابن المِبْرد الحنبلي (ت:909هـ)[1], وهو محقّق[2].

ممّا تقدّمَ يتّضح أنّنا سنكون في بحثنا هذا, برفقة اثني عشر متناً أخباريّاً مُحقّقاً, هي على التوالي:

- أخبار أبي نواس, لأبي هَفّان المهزمي (ت:257هـ).
- الورقة, لابن الجرّاح (ت:296هـ).
- أخبار أبي تمّام, للصولي (ت:335هـ).
- الأوراق: قسم أخبار الشعراء, للصولي.
- الأوراق: أشعار أولاد الخلفاء, للصولي.
- أخبار البحتري, للصولي.
- أخبار السيّد الحميري, للمرزباني (ت:385هـ).
- أخبار سيبويه المصري, لابن زولاق (ت: 387هـ).
- أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء, للملك المنصور الأيّوبي(ت:617هـ).
- أخبار الحلّاج, لابن الساعي البغدادي (ت: 674هـ).
- أخبار أبي نواس, لابن منظور(ت: 711هـ).
- نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, لابن المِبْرد الحنبلي (ت:909هـ).

---

[1] – يوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي، الشيخ الإمام العلامة، المصنف، المحدث جمال الدين الشهير بابن المبرد الصالحي، الحنبلي, توفي عام (909هـ), ينظر: الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة, نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: 1061هـ), ت: خليل المنصور, 317/1, دار الكتب العلمية، بيروت – ط1,بيروت–1997م.

[2] – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, لابن المِبرد يوسف بن الحسن الحنبلي (ت:909هـ), تح: د. محمد التونجي,19,عالم الكتب, ط1, بيروت–1994م.

ونشير إلى أنّنا استبعدنا من متون الدراسة كتاب (أخبار شعراء الشيعة) بتحقيق الشيخ محمد هادي الأميني؛ ذلك لأنّ هذا الكتاب لا يمثِّلُ المُؤلَّف الأخباري الذي وضعه المرزباني في الأصل, فقد عثر عليه السيد الأمين العاملي – رحمه الله – وقام باختصاره, وتلخيصه وتهذيبه, حتّى وقع بيد الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني فحقّقه على حاله الذي وجد[1], وهو ما يُفسدُ علينا متابعة بنية الخبر الإفراديّة والتركيبيّة, وبنائه السرديّ, ويُفوّت علينا متابعة بناه اللغويّة والدلاليّة أيضاً.

واستبعدنا كذلك كتاب (أبو الطيّب المتنبّي وأخباره), للثعالبي (ت:429هـ), الذي حقّقه محمد محيي الدين عبد الحميد[2], والذي نشره المحقّق من قبلُ بعنوان (المتنبّي وماله وما عليه)[3]؛ ذلك أنّه ليس بكتابٍ مستقلٍّ في أخبار المتنبّي, إنّما هو بابٌ من (يتيمة الدهر للثعالبي)[4], ويبدو من خلال مقدّمته المطولة أنّه أُعِدَّ لمؤتمرٍ حول المتنبّي شارك فيه محمد محيي الدين عبد الحميد, وقد عاد المُحقِّق فيما بعد إلى إرجاعه باباً من أبواب اليتيمة عندما حقّقها عام (1947)[5].

ونشيرُ – أيضاً – إلى أنّنا اعتمدنا كتاب الورقة, لابن الجرّاح (ت:296هـ), على الرغم من عدم اشتمال عتبة عنوانه على كلمة (أخبار) – وهو ما اشترطناه ابتداءً– ؛ وذلك راجعٌ إلى سببين, أحدهما: أنّه كتابٌ أخباري محض تحدّث فيه ابن الجرّاح عن الشعراء وأخبارهم

---

[1] – يُنظر: أخبار شعراء الشيعة, للمرزباني, 20.

[2] – أبو الطيب المتنبي وأخباره, الثعالبي, تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, مطبعة التوفيق الأدبي, ط2, مصر–1925م.

[3] – المتنبّي وما له وما عليه, للثعالبي (429هـ), تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, مكتبة الحسين التجاريّة. د.ت.

[4] – يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر, للثعالبي (ت:429هـ), تح: مفيد محمد قميحة,[خمسة أجزاء] دار الكتب العلميّة,ط1, بيروت–1983م.

[5] – يُنظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر, للثعالبي, تح: محمد محيي الدين عبد الحميد[أربعة أجزاء], ط1, مكتبة الحسين التجاريّة, القاهرة– 1947.

فحسب, والآخر: أنّ كثيراً من المصادر القديمة تُشير إلى أنّ عنوانه (الورقة في أخبار الشعراء)[1], أو (الورقة في أخبار الشعراء المحدثين)[2].

وأمّا اعتمادنا لكتاب (الأوراق- قسم أشعار أولاد الخلفاء), فقد قضى به كون هذا الجزء يتحدّث عن أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم فقط, وقد أشار مؤلّفه الصولي في أولى صفحاته إلى أنّه في أخبار أولاد الخلفاء وأشعارهم, قال: ((وهذه أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم, ثم نتبعهم بأشعار سائر بني العباس...))[3].

ومثل ذلك يُقالُ أيضاً مع كتاب الملك المنصور الأيّوبي(ت:617), (أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء)؛ ذلك لأنّه تحدّث عن أخبار الشعراء وشعرهم فحسب, كما أنّ هذا العنوان هو مختصرٌ لعنوانٍ أكبر -كما في الورقة الأولى من المخطوطة- ذكره المُحقّق على الوجه الآتي: ((أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء المتقدمين من الجاهليّة والمخضرمين والإسلاميّين والمحدَثين, وذكر مختصر أخبارهم, ومختار أشعارهم, ومن تلاهم من الشعراء إلى هذا الزمان والأوان))[4], وهو على ما يظهر متنٌ أخباريٌّ ضخم, وهذا الكتاب المحقّق شيءٌ يسير منه, وهو في أخبار الشعراء وطبقاتهم فحسب.

---

(1) - يُنظر: وفيات الأعيان, 427/3, وينظر: الوافي بالوفيات, 173/4, ويُنظر: الفهرست, 161, ويُنظر: بغية الطلب في تاريخ حلب, كمال الدين بن العديم (660هـ), تح: د.سهيل زكار, 3182/7, دار الفكر, ط1, بيروت-1996م, وينظر: المحاضرات والمحاورات, السيوطي(ت:911هـ), 234, دار الغرب الاسلامي, ط1, بيروت-1424هـ, وينظر: سير أعلام النبلاء, 12/ 413.

(2) - يُنظر: تاريخ بغداد, 156/18, وينظر: الوافي بالوفيات, 188/6, 100/13.

(3) - الأوراق- قسم أشعار أولاد الخلفاء,1.

(4) - يُنظر: أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء, 11.

المبحث الثاني: دوافع التأليف في "أخبار الشعراء"

يُعزى التأليف الأدبي القديم – في الغالب – إلى دواعٍ معيّنة, ودوافع محدّدة, دفعت المؤلفين القدماء إليه, وحفّزتهم عليه, ((والمقصود بدواعي التأليف أن يحرصَ المؤلِّف على تعداد الأسباب الماديّة والمعنويّة, الذاتيّة, وأيضاً الموضوعيّة التي حفّزته على تأليف الكتاب))[1]. ومن المؤلّفين من يمزج بين الدافع الذاتي والدافع الموضوعي, وعلى أيّة حال فإنّ ما يمكن قوله أنّ هذه التآليف لها أسبابٌ معيّنة , دفعت أصحابها إلى النظر والتفكير في ما ألّفوه من كتب[2].

---

[1] – المقدمات النقديّة في الشعريّة القديمة, دراسة وتحليل, نبيلة أعبش,42, رسالة ماجستير, الجمهوريّة الجزائريّة, جامعة العقيد الحاج لخضر – باتنة, كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة,2010م.

[2] – يُنظر: م. ن, 41.

إنّ الذات بوصفها دافعاً من دوافع التأليف ودواعيه, قد يُقصَدُ بها الذات الخارجيّة, وليست ذات المؤلّف فحسب, فقد يذكر المؤلّف أنّ سلطاناً أو حاكماً أو صاحباً, أو جماعة من المتأدِّبين قد حثّوه على هذا التأليف, ودفعوه إليه[1]. ولعلّ ما يمثّل هذا المعنى أبو حيّان التوحيدي (ت:400هـ), في كتابه "الإمتاع والمؤانسة" وكان ألّفه لأبي الوفاء المهندس – بطلبٍ منه–, نقلَ من خلاله التوحيدي ما دار بينه وبين ابن سعدان من حديثٍ وأسمار, دامت سبعاً وسبعين ليلة[2].

ويتجلّى الدافع الموضوعي عند ابن رشيق القيرواني في تأليفه لـ"العمدة في محاسن الشعر وآدابه", بقوله – في المقدمة – متحدِّثاً عن الشعر: ((...ووجدتُ الناس مختلفين فيه, متخلِّفين عن كثيرٍ منه: يقدّمون ويؤخِّرون, ويُقِلّون ويُكثرون, قد بوّبوه أبواباً مبهمة, ولقّبوه ألقاباً متّهمة, وكلّ واحدٍ منهم قد ضرب في جهةٍ , وانتحل مذهباً هو فيه إمام نفسه, وشاهد دعواه, فجمعتُ أحسن ما قاله كلّ واحدٍ منهم في كتابه؛ ليكون "العمدة في محاسن الشعر وآدابه"))[3]. لكنّ هذا الدافع لم يمنع من وجود دافعٍ ذاتي لدى المؤلِّف, تمثّل بإهدائه الكتاب إلى أبي الحسن علي بن أبي الرجال[4], تقرّباً منه, وتواضعاً له[5]. ويأتي الصراع بين القديم والجديد في الشعر لِيكون دافعاً موضوعيّاً آخر من دوافع التأليف وأسبابه, فينبري الصولي(ت:335هـ) إزاء ذلك ليؤلِّف كتابه "أخبار أبي تمّام", مبيّناً بذلك فضل أبي تمام في شعره, محتجّاً له, ورادّاً على عائبه[6], ومنتصراً له. وعلى هذا النحو ينتصر التبريزي

---

(1) – يُنظر: م. ن, 42.

(2) – يُنظر: الإمتاع والمؤانسة, أبو حيّان التوحيدي, تح: أحمد أمين, وأحمد الزين,1/المقدمة, دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع, مصر– 1942.

(3) – العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: 463 هـ), تح: محمد محيي الدين عبد الحميد,16/1, دار الجيل, ط5, مصر– 1981م.

(4) – علي بن أبي الرجال الشيباني القيرواني, عالم فلكي, ومنجّمٌ رياضي, يُنظر: الأعلام, 288/4.

(5) – يُنظر: العمدة في محاسن الشعر, المقدمة.

(6) – يُنظر: المنهج البلاغي في قراءة النص الشعري, د.مزاحم مطر حسين, 14–15, دار الينابيع, ط1, بيروت–2010م.

(ت:502هـ), لأبـي تمّـام فـي شـرحه لديوانـه, بعـد أن رأى النـاس مختلفـين حولـه, ليكـونَ ذلـك دافعاً من دوافع التأليف الموضوعيّة لديه[1].

إن النظـر فـي كتـب أخبـار الشـعراء – موضـع بحثنـا– يضـعنا أمـام دوافـعَ ذاتيّـة, وأخـرى موضـوعيّة, حـدَثْ بعلمائنـا صـوب هـذه التـآليف. وفـي الوقـت الـذي يحضـر فيـه الـدافع الموضوعي أو يغيب, فإنّ الدافع الذاتي يكاد يحضر في جُلّ كتب أخبار الشعراء .

ومـن الحقيـق بالـذكر أنّ غيـاب بعـض المقـدمات فـي هـذه الكتـب قـد حرمنـا مـن التثبّـت مـن دوافـع التـأليف ونوازعـه, التـي غالبـاً مـا يبـوح بهـا المؤلِّفـون فـي مثـل هـذه المقـدّمات والخطـب الافتتاحيّـة, لكـنّ معرفـة الشخصـيّة المؤلِّفـة, ومتابعـة اهتماماتهـا الأدبيّـة, ونشـأتها العلميّـة والأُسريّة, قد تقودنا إلى الوقوف على شيءٍ من دوافع التأليف ودواعيه.

وإذا مـا نظرنـا فـي كتـاب (أخبـار إبـي نـواس), للمهزمـي, وجـدناه خاليـاً مـن المقدمـة التـي يمكـن أن نهتـديَ مـن خلالهـا إلـى دوافـع التـأليف لديـه, لكـنّ الـذي يبـدو أنّ الـدافع الـذاتي المتمثّـل بحبّـه للعلـم, وترعرعـه فـي أسـرةٍ اهتمّـت بالاتجـاه الأخبـاري, واشـتهرت بـه, هـو مـا دفعـه إلـى مثـل هـذا التـأليف؛ فقـد كـان لـه عمّـان راويتـان للأخبـار, روى عنهمـا أخبـاراً فـي كتابـه هـذا, همـا: (محمـد بـن حـرب), و(علـيّ بـن حـرب)[2], وكانـت (ولّادة المهزميّـة) مـن شـواعر أُسـرته, ((وقـد روى عنهـا أخباراً وأشعاراً))[3].

وعلـى هـذا النحـو نجـد كتـاب "الورقـة", لابـن الجـرّاح قـد خـلا مـن المقدمـة التأليفيّـة التـي تُفصـح أحيانـاً عـن دواعـي التـأليف وبواعثـه, بيـد أنّ الـدافع الـذاتي المتمثّـل بإهدائـه كتابـه هـذا إلـى يحيـى بـن علـي بـن المـنجم[4], كـان عـاملاً مـن عوامـل التـأليف لديـه, كـذلك فـإنّ رغبـة ابـن الجـراح فـي

---

[1] – يُنظر: م. ن, 15.

[2] – يُنظر: أخبار أبي نواس, للمهزمي, 49, 108.

[3] – يُنظر: أبو هفّان حياته وشعره, 192.

[4] – يُنظر: الفهرست, 61.

العِلم ومحبّة نشرهِ قد تكون دافعاً ذاتيّاً آخر للتأليف لديه, شأنه في ذلك شأن العلماء الكبار الذين سعَوا جاهدين لخدمة لغتهم وأمّتهم, رغبةً منهم في تزكية علمهم بنشره, فقد كان محمد بن داود بن الجراح عالماً جليلاً , لم يُرَ في زمانه أفضل منه, وقد كتبَ ما لا يُحصى من الكُتب, نحو: كتاب الورقة في أخبار الشعراء, وكتاب الشعر والشعراء, وكتاب من سُمِّي من الشعراء بعَمْرٍو في الجاهلية والإسلام, وكتاب الوزراء, وكتاب الأربعة على مثال كتاب أبي هفان المهزميّ, وغير هذا[1].

وإذا ما انتقلنا إلى أبي بكرٍ الصوليّ, وجدنا الدافع الذاتي والدافع الموضوعي يتماشيان في تأليفه "أخبار أبي تمام", وقد أعرب عن هذين الدافعين في رسالته إلى أبي الليث مزاحم بن فاتك التي تصدّرت أخباره. إذ تمثّل الدافع الذاتي برغبة الصولي في إهداء كتابه هذا إلى مزاحم بن فاتك, بعد مجاراةٍ بينهما طال عهدها حول أبي تمام, يقول الصولي: ((...أمّا بعد,... فإنّك قد جاريتني آخر لقائنا فيما أفضنا فيه من العلوم, أمرَ أبي تمّام, حبيب بن أوس الطائيّ, وعجبتَ من افتراق آراء الناس فيه,... فعرّفتُكَ أنّ السبب كما ذكرتُ, وتضمّنتُ لكَ شرح ما وصفتُ, حتّى لا يعارضك شكٌّ فيه, ولا يخامرك ريبٌ منه. فرأيت من سرورك بذلك, وارتياحك إليه, وصبابتك به, ما حداني على استقصائه لك, والتعجيل به عليك, وإهدائهِ في رسالةٍ إليك, تتبعها أخباره,... ثمّ أرتني عين الرأي بقيّةً في نفسك منه, لم يُطلعْها لسانُك, إمّا كراهةً منك لِتعبي, أو إشفاقاً من الزيادة لِشُغلي, مع ما يقتسمني من جور الزمان, وجفاء السلطان, وتغيّر الإخوان. فسألتُكَ إبانته, وتكليفي جميع ماتريد منه, فعرّفتني أنّ تكميل ذلك لك, وبلوغي فيه أقصى إرادتك, وإتباعي أخباره بعمل شعره كلّه معرّباً مفسّراً,... فأسرعت بذلك إجابتي,...))[2]. فالخلاف حول أبي تمّام, وافتراق آراء الناس فيه دافعٌ موضوعي لدى الصولي في تأليفه هذا, فضلاً عن الدافع الذاتي المتمثّل برغبته في إهداء هذا الكتاب لابن

---

[1] – يُنظر: م. ن, 161.

[2] – أخبار أبي تمّام, 4–6.

فاتك. وعلى وفق ما تقدّم فإنّ الدافع الذاتي والدافع الموضوعي أهمُّ عاملين في التأليف الأخباري لدى الصولي, لاسيما في مؤلّفاته الأخرى, كالأوراق, وأخبار البحتري, وغير هذا.

وقد يتمثّل الدافع الموضوعي في إكمال الفائدة المعرفيّة وتوفيرها, كما يتبيّن ذلك عند المرزباني, في (أخبار السيّد الحميري), جاء في مقدمته: ((... والمراد – إن شاء الله – ذكر نسب السيد محمّد – رحمة الله عليه – ومحاسنه وفضائله؛ لِتكمل الفائدة وتتوفّر, ونحنُ لذلك فاعلون – إن شاء الله –))[1] .

أضف إلى ذلك أنّ الدافع الذاتي لن يغيبَ في جُل تصانيف المرزباني الأخباريّة, فقد كان عالماً مصنّفاً, وراوية بارعاً صنّف العشرات من الكتب الأدبية, كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

وللدوافع الذاتيّة والموضوعيّة نفسُها يضع ابن زولاق كتابه "أخبار سيبويه المصري", فقد كان ابن زولاق مؤرّخ مصر المقدّم في القرن الرابع للهجرة, وهو عالمٌ من أعيانها, ووجوه أهل العلم فيها, وله تصانيف عديدة في تواريخ مصر, ((وكان لمحبّته للتواريخ, والحرص على جمعها كثيراً ما يُنشد: (البسيط)

ما زلتَ تكتبُ في التاريخ مجتهداً حتّى رأيتُك في التاريخ مكتوبا))[2]

ولذا سُئِلَ ابن زولاق جمع ما حفظ عن المجنون, وما سمع من أخباره, يقول: ((سُئِلتُ أن أجمع من كلامه ما أقدر عليه, ممّا حفظتُه عنه, وما بلغني عنه, فعملتُ كتابي هذا بصفته, وما كان لحُسنه, ما قدرتُ عليه, وبالله التوفيق))[3]. ويتّضح الدافع الموضوعي عند ابن زلاق من خلال ما جاء في مقدمته, فبعد أن يذكر من ألّفَ في أخبار المجانين, أمثال: المدائني (ت:224هـ), وابن أبي الدنيا (ت:281هـ)[4], وابن دُحيم (351هـ)[1], يتحدّثُ عن صاحبه –

---

[1] – أخبار السيد الحميري, 1.

[2] – معجم الأدباء, 807/2.

[3] – أخبار سيبويه المصري, 17.

[4] – أبو بكر بن عبد الله بن أحمد بن سفيان القرشي, المعروف بابن أبي الدنيا, له العشرات من المصنفات, منها الفرج بعد الشدة, ينظر: سير أعلام النبلاء, 440/10.

سيبويه المصريّ – , فيذهب إلى أنّه فوق أولئك الذين ذُكرت أخبارهم, ((ولو كان بالعراق لَجُمِعَ كلامه, ونُقِلت ألفاظه, ولو عرف المصريّون قدره لَجمعوا عنه أكثر ممّا حفظوه))[2]. وكأنّه بعمله هذا ينتصرُ لسيبويه المصري, وينتصف له.

وإذا كان إهداء بعض المؤلّفات والمصنّفات لبعض الخلفاء والأمراء, سعياً للقربى والزُلفى والتكسّب؛ يطعنُ أحياناً في خلوص الدافع الذاتي أو الموضوعي, وتجرّد المؤلِّفين لهما, فإنّنا نجد الملك الشاعر الأديب المنصور محمد بن عمر الأيّوبي, قد انبرى بدوافع ذاتيّة للتأليف الأدبي, فألّفَ – فيما ألّف – "أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء", اهتمّ من خلاله بالتعريف بنحو (432) شاعراً من القرنين الخامس والسادس للهجرة, واختار لهم من شعرهم ما يُنبئ عن طبقتهم, وهو إمامٌ عظيم ((في علمَي الكلام وأصول الفقه, وعلم المنطق وسائر العلوم الحكميّة,... وصنّفَ التصانيف البديعة في جميع هذه العلوم))[3], وكان مكثراً من مراجعة الكتب واستحضار العلماء والتباحث معهم[4].

ولم يفتأ الدافع الذاتي سرّ اهتمام علي بن أنجب الساعي البغدادي في تأليف كتاب (أخبار الحلاج), الذي لم تتصدّره مقدمة؛ ذلك أن ابن الساعي عُرِفَ بأنّه من كبار المصنّفين في التاريخ, وكان من المولعين بالتأليف والتصنيف, وكان خازن كتب المستنصريّة, ومن تصانيفه: الجامع المختصر في عنوان التاريخ وعيون السير, وهو بخمسة وعشرين مجلّداً, وتاريخ الشعراء, وأخبار قضاة بغداد, وأخبار الوزراء, وذيل تاريخ بغداد, وطبقات الفقهاء,

---

(1) – أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني الكوفي, ينظر: سير أعلام النبلاء,147/12.

(2) – أخبار سيبويه المصريّ, 17.

(3) – مفرج الكروب في أخبار بني أيّوب, جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت:697هـ), تح: د. حسنين محمد ربيع, 78/4–79, مركز تحقيق التراث, ط1, القاهرة– 1975م.

(4) – يُنظر: م. ن, 80.

وغـرر المحاضـرة, وأخبـار المصـنّفين, ومناقـب الخلفـاء العباسـيين, وإرشـاد الطالـب إلـى معرفـة المذاهب, وغير هذا كثير[1].

إنّ الرغبـة الذاتيّـة فـي التـأليف الأدبـي عامـلٌ رئـيس فـي تحفيـز كبـار العلمـاء والمصـنفين حيـال هـذه التأليفـات, وهـذه الرغبـة الذاتيـة هـي مـا أغـرى ابـن منظـور فـي أن يؤلِّـفَ فـي "أخبـار أبـي نـواس", وإذ تغيـب المقدمـة التـي تُستوضـحُ منهـا الـدوافع التأليفيّـة عـادةً, فـإنّ ابـن منظـور إمـامٌ مـن أئمّـة اللغـة, وقـاضٍ مـن القضـاة الكبـار, والمـولعين بالتـأليف والتصـنيف, وكـان مغـرًى باختصـار كتـب الأدب المطوّلـة, ومـن كتبـه: مختـار الأغـاني, وسـرور الـنفس بمـدارك الحـواس الخمـس, ولطـائف الـذخيرة, ومختصـر تـاريخ دمشـق لابـن عسـاكر, وغيـر هـذا الكثيـر وجلُّـهُ مـن مختصـرات الكتب[2].

فحـبّ العلـم والمعرفـة والسـعي لنشـرهما بصـورةٍ عامّـة دافـعٌ ذاتـي واضـح الملامـح يعتـري العلمـاء , ويأخـذ بهـم تجـاه مـا ألّفـوه وصـنفوه مـن كتـب, قصـداً لإعمـام الفائـدة, ونشـراً للموعظـة – أحيانـاً– , وتبصـرةً للمريـد, وبمثـل هـذا يُصـرّحُ ابـن المِبْـرد الحنبلـي فـي مقدمـة كتابـه "نزهـة المسـامر فـي أخبـار مجنـون بنـي عـامر", إذ يقـول: ((...هـذهِ نبـذةٌ مـن أخبـار مجنـون بنـي عـامر, وضـعتها تـذكرةً وموعظـةً , يـتّعظُ بهـا المـتّعظ, ويسـتيقظ بهـا المسـتيقظ, ويتبصّـر بهـا المحـبّ, ويُصـيب بهـا الوصِـب[3], ويسـتحليها الشـاعر, ويسـتلذّها المثـابر, ويحـتجّ بهـا النحـاة علـى العربيّـة, ويقتفـي منهـا أصـحاب اللغـة رتبـةً سـنيّة, ويستضـيءُ بهـا العلمـاء فـي مواضـع الملمّـات, ويستشـهد بها أرباب المعاني والآداب المهمّات))[4].

---

[1] – يُنظر: الأعلام, 4/264– 265.

[2] – يُنظر: م. ن, 7/108–109.

[1] – الوَصَبُ: المرض. وقد وَصِبَ الرجل يَوْصَبُ فهو وَصِبٌ, يُنظر: الصحاح, 1/233.

[4] – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 19.

ممّا تقدّم يتّضح أن الذاتيّة والموضوعيّة عاملان رئيسان في التأليف الأخباري, صنف على إثرهما العلماء الأوائل عشرات المصنّفات رغبةً في تحقيق الذات, أو إعماماً للفائدة ونشراً للعلم, أو انتصاراً لشاعرٍ أو فئة, أو ميلاً نحو خليفةٍ أو وزير. ومن الملاحظ أنّ إهداء العلماء لبعض مصنفاتهم إلى بعض الولاة والأمراء – مع وجود الدافع الذاتي أو الموضوعي – , قد يُقصد من وراءه ضمان انتشار تلك المؤلّفات القيّمة, التي قد يضيق بمؤلفيها الإكثار من انتساخها, والترويج لها في الأقطار.

المبحث الثالث: دور المؤلّف في كتب أخبار الشعراء

لا شكَّ في أنّ للمؤلِّف دوراً معلوماً إزاء ما يُنتج, كبُرَ ذلك الدور أم صغر, ولعلّ قراءة بعض مقدمات المصنّفات القديمة تحيلنا على الدور الذي يضطلعُ به المؤلّف, كرواية الأخبار وتصنيفها على وفق موضوعاتها وأبوابها, أو التعليق على تلك الأخبار المرويّة تعليقاً أدبيّاً أو لغويّاً.

وعلى وفق هذا نجد ابن قتيبة (ت: 276هـ) في "عيون الأخبار" قد عمل على تبويب الأخبار وتصنيفها, وجمعها ضمن أبوابها المخصّصة[1]. كما نلاحظ أنّ ابن عبد ربّه الأندلسي (ت:328هـ) يُشير في مقدمة (العقد الفريد) إلى أنّ دوره في هذا العقد يقتصرُ على تأليف الأخبار, وحسن اختصارها واختيارها, وتقديم الأبواب, يقول: ((...وإنّما لي فيه تأليف الأخبار, وفضل الاختيار, وحُسنِ الاختصار, وفرْشٍ في صدر كلّ كتاب؛ وما سواه فمأخوذٌ من أفواه العلماء, ومأثور الحكماء والأدباء. واختيار الكلام أصعب من تأليفه, وقد قالوا: اختيار الرجل وافد عقله))[2]. فسردُ الأخبار – بوصفها رسالة تتحقّق من خلال هذا السرد – ورصفها من خلال التنسيق الداخلي للخطاب السردي[3], من أبرز مهام المؤلفين في كتب الأخبار, حتّى غدا ((تصريح المؤلّفين بقيام كتبهم على الجمع والاختيار..., بمنزلة السُّنّة التي يُذكّرُ بها, إنماءً للكتاب إلى ضربٍ من التأليف مخصوص))[4].

ولا يقتصر دور المؤلف على سرد الأخبار, روايةً وتنسيقاً وتبويباً, بل يمتدّ إلى التعليق عليها نقديّاً, وهذا أمرٌ واضحٌ عند بعض من ألّف في كتب أخبار الشعراء, كما سيتضح . ولذا سيكون دور المؤلّف في كتب الأخبار على ثلاثة محاور:

1- رواية الأخبار:

إنّ رواية الأخبار وإن كان اتّجاهاً عامّاً يتحقّقُ في جُلّ كتب الأخبار, إلّا أنّنا نجد بعضاً ممن ألّفَ في أخبار الشعراء قد اقتصر عليه, واكتفى به دون سواه. ويمثّلُ هذا الاتجاه أبو هفّان المهزمي في (أخبار أبي نواس), إذ يروي لنا المهزمي أخبارَ أبي نواس متلاحقةً من

---

[1] – يُنظر: عيون الأخبار, ابن قتيبة الدنيوري, المقدمة, دار الكتب والوثائق القومية, ط2, مصر–1996م.

[2] – العقد الفريد, 4/1.

[3] – يُنظر: الاستهلال السردي في كتاب أخبار النساء, 141.

[4] – الخبر في الأدب العربي, 188.

دون تبويبٍ لها في مناسباتها وموضوعاتها, ومن غير أن يعلّق عليها تعليقاً أدبيّاً, أو لغويّاً, مكتفياً بهذا الجمع الأخباريّ.

وعلى وفق هذا الاتجاه التأليفي يسير ابن زولاق في تأليفه "أخبار سيبويه المصري". وقد عمد ابن زولاق إلى التحرّر من قيد السند الخبري, فانطلق راوياً للأخبار بوصفه معاصراً لسيبويه المصري, فروى عنه الأخبار مباشرةً, وربّما رواها أحياناً عن محدِّثٍ آخر معاصرٍ له أيضاً.

وعلى هذا المنوال الذي سلكه ابن زولاق, نرى علي بن أنجب الساعي البغدادي يتّجه في مؤلَّفه (أخبار الحلاج)؛ إذ تحرّر من طول السلسلة السنديّة التي كانت سمة غالبة على التأليف الخبري, فاختصرها, واختزلها براوٍ واحد في الغالب على الرغم من أنّ المدّة الزمنيّة التي تفصل ابن الساعي البغدادي عن الحلّاج أكثر من ثلاثة قرون[1]. ورواية الأخبار محرّرةً من سندها اتجاهٌ واسعٌ في التأليف الأدبي, تحقيقاً للاختصار, وسعياً لتحقيق بناءٍ فنّيٍّ متناسق, يطبع الخبر بطابعٍ حكائيٍّ في الغالب, كما سنرى في الفصل اللاحق.

وعلى الرغم من أنّ بعض الأخباريين قد حرّر أخباره من أسانيدها, فليس دقيقاً أن يُقال: إنّ الأخباريّين ((لم يفعلوا ما فعله أصحاب الحديث من البحث والتحرّي والتحقّق من صحّة الحديث))[2]؛ ذلك لأنّنا نجد بعض الأخباريين يُعلّقون على بعض الأخبار طاعنين أو مشكّكين في صحّة الخبر مطلقاً في بعض الأحيان, كما يُلحظ ذلك – مثلاً– عند ابن المِبْرد, يوسف الحنبلي في تعليقه على بعض الأخبار في مؤلّفه "نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر", وسنجيء إلى ذلك عند الحديث عن محور "التعليق على الأخبار".

2- تبويب الأخبار:

(1)– قُتِل الحلاج وأُحرِقَ جثمانه سنة (309هـ), يُنظر: تاريخ بغداد, 705/8.

(2) – الجانب الأسطوري في أخبار شعراء المعلّقات, عبد اللطيف بن علي القريشي,6, رسالة ماجستير, جامعة الملك سعود, 2005م.

في الوقت الذي كان فيه هم جلّ من ألّف في أخبار الشعراء حيازة الأخبار الأدبيّة وتوثيقها, فقد عمدَ بعضٌ منهم إلى تنسيق هذه الأخبار وتصنيفها, ابتغاءً للتنظيم التأليفي. وكان من سبلهم في تحقيق ذلك التنسيق والتصنيف أمورٌ أوضحها: التخلّي عن السند, اختصاراً وترشيقاً, أو سعياً إلى إعادة الصياغة الأدبيّة للأخبار, بما يحقق التماسك البنائي, أو قد يعمد بعضهم, سعياً لتحقيق هذا التنسيق, إلى المزاوجة بين الأخبار أو تضمينها في ضمن بعضها, وهو ما يجعلُ منها أخباراً مركّبة. ومن سبلهم الأخرى إزاء هذا التنسيق التنظيمي, تبويبُ الأخبار, إذ يعمل بعض مؤلّفي كتب أخبار الشعراء على تبويبها ضمن أقسامٍ أو فصولٍ أو أبواب, فيتصدّر كلَّ بابٍ أو قسمٍ, عنوانٌ رئيس تنطوي تحت لوائه الأخبار المسرودة.

إنّ تبويب المؤلَّف وتقسيمه إلى أقسامٍ أو فصولٍ أو أبواب؛ منهجٌ اتّبعه بعض من كتب في التصنيف الأدبي قديماً, ولاسيما بعض من كتب في التصنيف الأخباري؛ لِما لذلك التبويب من أهمّيّة كبيرة في الدلالة على مضمون النص, فكانت الأبواب أو الفصول في بعض هذه المؤلّفات معنونةً بما يوحي بمضمون المتن التأليفي, حتّى صارت تلك العناوين المبوّبة نصّاً موازياً يتماشى مع المضمون, وصار العنوان جزءاً من المناصّ التأليفي الذي يكمن في ((تلك المنطقة المتردِّدة بين الداخل والخارج, المصاحبة لنصّها, والمعاضدة له شرحاً وتفسيراً, فالمناصّ نصٌّ, ولكن يوازي نصه الأصلي))[1].

وإذ يوحي العنوان التصنيفي بالمضمون النصّي للمتن, فإنّ تشكيلَهُ ((في أي نصٍّ من النصوص لا يكون اعتباطيّاً, ولكنه يرتبط بمتن النص أيّما ارتباط, بل إنّه جزءٌ لا يتجزّأ عن المتن))[2].

---

[1] – عتبات "جيرار جنيت من النص إلى المناص", عبد الحق بلعابد, 48, الدار العربيّة للعلوم– ناشرون, ط1, بيروت– 2008م.

[2] – عتبات النصّ الأدبي, مقاربة سيميائيّة, بخولة بن الدين, 105، مجلة سمات, المجلد1, ع1، جامعة البحرين–2013م.

إنّ تلك العناوين التي تتصدّر أبواب بعض المتون القديمة وفصولها, هي جزءٌ من مناصيّة التأليف, تلك المناصيّة التي تجعل ((من النص كتاباً يقترح نفسه على قُرّائه خاصّة, وجمهوره المستهدف عامّة))[1]. وتضطلع العناوين التي تتصدّر الفصول والأبواب – بوصفها عناوين فرعيّة – بوظائفَ معيّنة, حدّدها جيرار جنيت بأربع وظائف[2], وهي: الوظيفة التعنينيّة, التي تتكفّل بالتعريف المضموني للنص, والوظيفة الوصفيّة, التي تخبرُ – وصفاً – عن النصّ, والوظيفة الإيحائيّة التي تعمد إلى الإيحاء الإشاري عن المضمون النصّي, والوظيفة الإغرائيّة, التي تجذب القارىء وتشوّقه إلى المضمون النصّي.

غير أنّ جيرار جنيت يرى أنّ الوظيفة الإغرائيّة ذات وجهين, سلبي و إيجابي[3], فهي في الوقت التي يُراد بها استهواء القارىء وجرّهِ إلى رحاب النص, فإنّها قد تؤدّي إلى نفوره, ومجافاته النص تبعاً للقناعات والأذواق المتباينة لدى القرّاء. وتتداخل تلك الوظائف فيما بينها وتتكامل تحقيقاً لمناصيّة التأليف.

ولِما لهذه العناوين المتصدّرة من أهمّيّةٍ بالغة في الدلالة على المضمون النّصّي للمتون, فإنّ الأوائل من العلماء حرصوا في اختيارها على تحقيق الغاية الوظيفية لها.

وإذا ما نظرنا إلى كتب أخبار الشعراء فسنجدُ أنّ أبا هفّان المهزمي, غير مبوّبٍ لأخباره بل جامع لها في ضمن عنوانٍ اختاره لمؤلّفه, وسمه بـ(أخبار أبي نواس), مكتفياً بهذا العنوان الرئيس عن التبويب التفريعي للأخبار. فكان عنوان الكتاب الرئيس كافياً لاستهواء القارئ نحو مجمل الأخبار, ذلك أنّ المهزمي من معاصري أبي نواس, ورواة أخباره, ومن أوائل الذين كتبوا في أخباره. فيما نجد أبا عبد الله محمد بن داود بن الجرّاح قد بوّب أخباره, فجمع أخبار كلّ شاعرٍ على حِدة تحت عنوانٍ باسم الشاعر الذي ترجمَ له مختصراً – في الغالب –, وكذا

---

[1] – عتبات, جيرار جنيت من النص إلى المناص, 63.

[2] – يُنظر: م. ن, 86– 88.

[3] – يُنظر: م. ن, 88.

فقد كان الصوليّ متّخذاً من التبويب منهجاً في عموم تأليفه الخبري, لاسيما "أخبار البحتري", و"الأوراق" بأجزائه, و"أخبار أبي تمام".

ففي "أخبار أبي تمّام" يتحدّث الصولي عن أخبار شهدتْ على تفضيل أبي تمّام, وسبقه للمعاني, وابتكاره لها, وتقدّمه فيها على أقرانه , ويعقد تلك الأخبار تحت عنوانٍ فرعي دالٍّ على هذا المضمون الخبري, وسمَهُ بـ(ما جاء في تفضيل أبي تمّام)[1].

وإذا ما ذكرَ ما قيل من أخبار عن معايب أبي تمّام في المعاني, وحاول أن ينتصر له أشدّ انتصار, جعلَ كلّ ذلك معقوداً تحتَ عنوان (ما روي من معايب أبي تمّام)[2], وهكذا يسير في سائر أبواب الكتاب هذا, بل في كلّ كتبه الأخباريّة. وقد لاحظ الدكتور صالح الأشتر أنّ هناك تشابهاً كليّاً في المنهج التأليفيّ, عرضاً وتبويباً, بين كتابَي الصولي (أخبار أبي تمّام), و(أخبار البحتريّ)[3].

وإذ يبوّب الصولي أخباره, فإنّه يُحقِّقُ بذلك وحدةً فكريّةً وموضوعيّةً بينها, تجعل من عناوين تلك الأبواب عتبةً دالّة دَلالةً واضحةً على فحوى الأخبار ومقاصدها.

وبالانتقال إلى (أخبار السيّد الحميري) للمرزباني, لا نجدُ تلك الأخبار مبوّبةً, بل ترِدُ متلاحقة, ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى كون أخبار السيّد رسالةً صغيرة, لم تتجاوز اثنتين وأربعين صفحة[4], فكأنّها بمجملها بابٌ مخصوصٌ في أخبار السيّد, قصدَ من ورائها المرزُباني – كما يصرّح هو بذلك – إلى ((ذكر نسب السيّد محمّد – رحمة الله عليه– ومحاسنه وفضائله))[5] فحسب.

---

(1) – يُنظر: أخبار أبي تمام, 59.

(2) – يُنظر: م. ن, 244.

(3) – يُنظر: أخبار البحتري, 29.

(4) – أخبار السيّد الحميري, 19–61.

(5) – م. ن, 19.

وعلى مثل هذا يسير الحسن بن زولاق في كتابه "أخبار سيبويه المصري", وهو كتابٌ صغير لم يتجاوز اثنتين وأربعين صفحة أيضاً[1]. وهو إذ يكتفي بسرد الأخبار من دون تبويبٍ لها, فإنّه يعمل شبهَ تنظيمٍ داخليٍّ لها, فيبدأ بذكر من ألّفوا في أخبار المجانين, ثم ينتقل إلى الحديث عن سيبويه ومنزلته العلميّة, ثم كلامه في خلق القرآن, إلى أن يصلَ به الحديث إلى ضياع معظم علم سيبويه, ثم سجعه ونوادره, ثم بعض شعره, حتى ينتهي إلى سبب انصرافه عن العلم. كلّ ذلك من دون أن يبوّب الأخبار تبويباً معنوناً, إنّما هو تبويبٌ يُلمحُ لمحاً, حتّى تشعر, وأنت تقرأ, أنّك أمام قصّةٍ متماسكةِ الأحداث, مترابطة المضامين, بدأت بالتعريف بسيبويه, وانتهت بما يُشعر بالاختتام.

ويُطالعنا الملك المنصور الأيوّبي في كتابه (أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء) معتمداً التبويب منهجاً في سرد الأخبار, فيبدأ بذكر الشاعر, ثم يتبعه بذكر طرفٍ من أخباره. وهو حتماً, من الكتب المهمّة في الدرس الأدبي, لكونه كتاب أخبارٍ وطبقات.

فيما نجد علي بن أنجب الساعي البغدادي لا يعتمد التبويبَ في كتابه (أخبار الحلّاج), فكأن ذلك الكتاب قطعة واحدة متّصلة, ضمّنها جملة من أخبار الحلاج , وكانت أهمّية الموضوع المُؤلَّف فيه كافيةً لاستهواء المتلقين نحوه؛ ولذا كان همّ صاحبه جمع ما استطاع من أخبار الحلاج الحسين بن منصور, في رسالةٍ صغيرة لم تتجاوز اثنتين وثلاثين صفحة[2], فكانت بمجملها باباً مخصوصاً في أخبار الحلّاج.

وإذا كان العنوان بوصفه عتبةً نصّيّة ((يجري التفاوض عليها لوعي النصّ والتعرّف على مفاصله, فإنّه والوصف هذا, يُعدُّ جسراً للتواصل مع النص الكبير أو مفتاحاً له, وإذ يُنظر للعنوان هكذا فإنّه لابدّ من التفرقة بين العنوان الذي يُعدُّ مدخلاً لنصوصٍ عدّة, والعنوان الذي

[1] – يُنظر: أخبار سيبويه المصري, 16– 58.

[2] – يُنظر: أخبار الحلاج, 63–95.

يكون لِنصٍّ واحد))[1], أي لابد من التفريق بين العنوان الرئيس الذي تنطوي تحت لوائه جملة من النصوص, وبين العنوان الفرعي الذي يتصدّر الفصول والأبواب.

حتّى إذا ما صرنا إلى ابن نظور فنجده متّخذاً التبويب منهجاً في كتابه (أخبار أبي نواس), وهو كتابٌ بجزأين كبيرين, جمع من خلاله أخبار أبي نواس التي تناقلها الرواة, وكثيراً ما يعتمد على ما جاء في (أخبار أبي نواس) لأبي هفّان المهزمي, وكتاب (الأغاني), لأبي الفرج الأصفهاني, إلّا أن ابن منظور يعمل أحياناً على إعادة الصياغة لهذه الأخبار, أو يسقط السند أو يختصره.

ولمّا كان الوصف والإغراء من أهمّ وظائف العنوان – بوصفه عتبةً نصيّةً– , فإنّنا نجد ابن المِبرد الحنبلي ساعياً إلى تحقيق ذلك الوصف والإغراء في عناوينه الفرعيّة في كتابه "نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر", فقد سعى من أجل ذلك إلى جعل تلك العناوين مسجوعة؛ ليكون ذلك أكثر وقعاً في نفس القارئ, وهو ما قد يبعث على جذبه نحو المتن المؤلّف, فإذا أراد أن يتحدّث عن المجنون, وكيف أنّه ازدادَ خبالاً وهياماً بليلى حتّى طار عقله, وصار حديث الناس والأمصار, جعل ذلك الحديث, وتلك الأخبار منضويةً في فصلٍ تحت عنوانٍ يتصدّرها سمّاهُ (فصلٌ في تزايد أمره, وقلّة صبره, وكثرة ذكره)[2].

وإن أراد التحدّثَ عن زواج المجنون, وسعي أهله إلى تزويجه بغير ليلى, جعل تلك الأخبار مصدّرةً بعنوانِ فصلٍ مسجوع دالٍّ على المضمون, مُغرٍ للمتلقّي بمداومة التواصل مع النصّ, فكان ((فصل في ذكر عزمهم على تزويجه بغيرها, لعلّ يذهبُ طيره عن طيرها))[3].

---

[1] – العنوان في الشعر العراقي المعاصر– أنماطه ووظائفه, د.ضياء راضي ثامر,21, مجلة جامعة القادسيّة في الآداب والعلوم التربويّة, المجلد (9), ع2, 2010م.

[2] – يُنظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 29.

[3] – يُنظر: م. ن,31.

ويُواظب على هذا المنوال في تبويب الأخبار وتسجيعها, بما يجعل منها عناوين ذات وقعٍ موسيقيٍّ متناغم , فراح يجمع بعض الأخبار لِمن ماثلَ المجنون في جنونه, وقاربه في ولعه, واقتدى به في ولهه, فجعل تلك الأخبار معقودةً في فصلٍ ((في اقتداء العشّاق بالمجنون, وما وقع لهم من الأخبار والفنون))[1].

إنّ ابن المِبرد لم يكتفِ بتبويب أخباره اعتماداً على العنونة الخارجيّة للفصول, بل راحَ يعمل شبه تنظيمٍ داخليّ لأخباره, فهو, وإن عقدها في فصولٍ مخصوصة, فقد عمل على تنظيم تلك الفصول تباعاً, ابتداءً بفصل ذكر اسم المجنون ونسبه[2], مروراً بفصل بداية معرفته بليلى[3], حتّى كاد يختم بفصل عقده في أخباره عند ذهابه مع الوحش إلى أن جاءه الموت[4]. وهو بهذا يبوّب الأخبار ابتداءً من اسم المجنون ونسبه, وانتهاءً بأخبار موته.

إنّ عتبة العنوان الرئيس والفرعي مدخلٌ من أهمّ مداخل النصّ؛ لِما تحمله من قيمةٍ دلاليّة وإيحائيّة تشير إلى المضمون الخطابي؛ ولذا نجد الكثير من المؤلفين القدامى يولون هذا الأمر عنايةً فائقةً فيما يكتبون من مؤلّفاتٍ, فبذلوا قُصارى جهدهم في صناعة الأسامي, إلّا أنّنا نجد الخطاب النقدي العربي القديم قليلاً ما يُتابع هذه الحفاوة, فإن عمدَ إلى تلك المتابعة اكتفى بالخاطرة, وما تسنح به, ويُستثنى من هذا كَلَفَهُم بالنصّ القرآني, ضمن ما أسموه (علوم القرآن), فاعتنوا بتأويل أسماء القرآن الكريم, وأسماء سوره[5].

3- التعليق على الأخبار:

لمّا كان الكثير من المؤلّفين قديماً يحرصون على سلامة المروي لفظاً وسنداً, فإنّ بعضهم راح يبحث عن دورٍ له إزاء هذا المروي, وحضورٍ في تلك المؤلفات, فإن تحرّج بعضهم من

---

(1) – يُنظر: م. ن: 57.

(2) – يُنظر: م. ن, 22.

(3) – يُنظر: م. ن, 22.

(4) – يُنظر: م. ن, 57.

(5) – يُنظر: براعة الاستهلال في صناعة العنوان, د.محمود الهميسي,32, مجلة الموقف الأدبي, ع313, دمشق-1997م.

التدخّل في بنية الخبر أو سنده ورواه كما هو, فإنّ مؤلّفين آخرين راحوا يعلّقون على بعض تلك الأخبار نقديّاً, وعملوا- في ضمن ما عملوا - على المفاضلة بين الأخبار, ذلك أنّ الترجيح والمفاضلة بين الأخبار من وجوه النشاط الذي تعاطاهُ المؤلّفون عند إيرادهم بعض النصوص, وعلى وفق هذا فإنّ المؤلّف ليس مجرد ناقلٍ, إنما هو مصفاة, إن صحّ القول, ووسيطٌ بين القارئ ومصدر الخبر[1]. ولذا كان جلّ مؤلفي كتب أخبار الشعراء يُعلّقون على تلك الأخبار تعليقاتٍ تُعرب عن صورة أذواقهم ومنهجيّتهم النقديّة, فكانت تلك التعليقات تتّسم أحياناً بالطابع الشخصي والذاتي الانطباعي, وأحياناً تتّسمُ بالنقد الموضوعي.

ولمّا كانت حركة التأليف الأخباري آخذةً بالنمو والنشاط في القرن الثالث للهجرة, فإنّنا نجد حركة النقد في هذا القرن قد شهدت فكراً نقديّاً رحباً ومتّسعاً, سواءٌ أ كان في بروز الشخصيّات النقديّة التي تَمثّل نتاجها في تناول شعر أبي تمّام والبحتري, وما رافق ذلك من موازناتٍ أدبيّة؛ أو من خلال التأليف في إعجاز القرآن, كما عند الباقلّاني والرمّاني والخطابي, أو من خلال تطوّر الفكر النقدي عند أمثال قُدامة بن جعفر في كتابه "نقد الشعر"[2].

إنّ جلّ تلك التعليقات كانت أميل إلى التوضيح والتفسير أحياناً, أو التفضيل والانتصار والاحتجاج أحياناً أخرى, كما عند الصولي في كتابيه "أخبار البحتري", و"أخبار أبي تمّام", وقد انقسمت تلك التعليقات على قسمين: تعليقات أدبيّة, وتعليقات لغويّة.

- **التعليق الأدبي:**

وهو, وإن غاب في جملةٍ من كتب "أخبار الشعراء", كما في (أخبار أبي نواس) للمهزمي, و(أخبار سيبويه المصري) لابن زولاق, و(أخبار الحلّاج) لابن أنجب الساعي البغدادي؛ فإنّه

---

[1] – يُنظر: الخبر في الأدب العربي, 196.

[2] – يُنظر: النقد الأدبي ومصادره في كتاب الموشّح للمرزباني, سعاد بنت فريح بن صالح الثقفي,12-13, أُطروحة دكتوراه, جامعة أمّ القرى, السعوديّة-2009م.

لم يغب في كتب الأخبار الأُخرى. فنجد التعليقات الأدبيّة النقديّة من سمات الصولي في منهجه التأليفي إزاء كتب الأخبار, وهذه التعليقات قائمةٌ على الاستدلال والاحتجاج لِما ينزع إليه من وجهةٍ نقديّة.

وقد كان النقد زمن الصولي مزدهراً؛ ذلك لأنّه نقدٌ صادرٌ عن بيئاتٍ أربعٍ أساسيّة, كان لكلّ منها دورٌ في اتّساع ذلك النقد, تلك هي بيئة اللغويّين, وبيئة المتكلّمين, ثمّ الفلاسفة, ثم بيئة الأدباء, كتّاباً وشعراء[1].

وإذ ألّفَ الصولي – في ضمن ما ألّف – كتاب الأوراق, وأخبار البحتري, وأخبار أبي تمّام, فإنّنا نجده في تأريخه للأدب وتناوله لتراجم الشعراء حريصاً ((على ذكر آرائه في الشعراء, وفي إنتاجهم الفنّي, كتفضيل شاعرٍ على شاعر, أو معنًى على معنى, وينتقد هذا الشاعر لأنّ معناه اختلّ, أو لأنّه أخذ معنًى أو لفظاً من غيره))[2].

وفي تعليقاته الأدبيّة نجده يتناول قضيّة الموازنات , بوصفها قضيّةٍ نقديّةٍ مبثوثة في أثناء أخباره, ولاسيما في كتاب (أخبار أبي تمّام) و(أخبار البحتري), وتلك الموازنة تضع أبا تمّام في قمّة الهرم الشعري في عصره, إذ يمتاز نقد الصولي بكثرة المقارنات, وهو ما يمكن أن يُسمّى (بالنقد التطبيقي العملي)[3].

ومن أمثلة التعليق الأدبي النقدي, ما جاء في (أخبار أبي تمّام) تعقيباً على أبياتٍ منها بَيتا أبي تمّام[4]: (الطويل)

فمَا كُنْتَ إلّا السَّيفَ لاقَى ضَرِيبَةً فَقَطَّعَهَا ثُمَّ انثَنَى فتَقَطَّعَا

وقوله[5]: (الكامل)

---

(1) – يُنظر: القضايا النقديّة في كتاب "الموشح" للمرزباني, سمير عبوش,15, رسالة ماجستير, جامعة مولود عمري, الجزائر, 2012م.

(2) – أبو بكر الصولي وجهوده النقديّة, علي محمد مسلم الحواتمة,43, رسالة ماجستير, جامعة الشرق الأوسط, الأردن– 2011م.

(3) – يُنظر: أبو بكر الصولي وجهوده النقديّة,43.

(4) – يُنظر: ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التبريزي, تح: محمد عبدُه عزّام, 14/3, ط4, دار المعارف, القاهرة–1982م.

(5) – يُنظر: م. ن, 181/2.

أيَّـــامُنا مَصْقُولَةٌ أَطـــــرَافُهَـا بـــكَ واللَّيالي كُلُّهـــــا أَسْحَـــــــارُ

قال الصولي: ((فقطعها ثم انثنى فتقطعا " فهو مأخوذ من قول البعيث[1]: (الطويل)

وإنا لنُعِطـي المشْرَفيَّـــــةَ حقَّهَـــا فتقْطَـــعُ في أَيْمَانِنَـــــا وَتَقَطَّـــــعُ

ومن قوله أيضاً: (البسيط)

أَوْفَـــى بـــه الدهْـرُ من أحداثِه شَرَفـاً والسَّيـــفُ يمِـضي مِـراراً ثمَّ يَنْقصِـــدُ

وأمـا قولـه: " والليـالي كلهـا أسـحار " فهـو مـن قـول عبـد الملـك بـن صـالح[2]، وسـأله الرشـيد: كيف ليل مَنْبِج؟ فقال: سَحَرٌ كُلّهُ، وقد أخذه ابن المعتز, فقال[3]: (السريع)

يـــا رُبَّ ليـلٍ سَحَـــرٌ كلُّـــــه مُفْتَضِحِ البدْرِ عَـليـــــلِ النَّسيـــــمْ

ولـو جـاز أن تُصـرف عـن أحـدٍ مـن الشـعراء سـرقةٌ، لوجـب أن تصـرف عـن أبـي تمـام؛ لِكَثـرة بديعـه واختراعـه, واتكائـهِ علـى نفسـه، ولكـنّ حكـم النقـاد للشـعر، العلمـاء بـه، قـد مضـى بـأن الشـاعرَين إذا تعـاورا, معنًـى ولفظـاً, فجماعهمـا أن يُجعـل السـبقُ لأقـدمهما سِـنّاً، وأوّلهمـا موتـاً، وينسـب الأخـذ إلـى المتـأخر؛ لأن الأكثـر كـذا يقـع. وإن كانـا فـي عصـرٍ أُلحِـقَ بأشـبههما بـه كلاماً، فإنْ أُشكِل ذلك تركوه لهما))[4].

وإذ نكتفـي بهـذا التعليـق الأدبـي للصـولي؛ فـذلك لأنّ الصـولي منهجـاً ونقـداً, قـد دُرِس بـأكثر من دراسة, لاسيما كتابيه "أخبار أبي تمّام", و"أخبار البحتري"[5].

وبالانتقـال إلـى المرزبـاني, نقـفُ علـى أنّ الدعامـة النقليّـة أهـمّ مـا اعتمـد عليـه فـي تأليفـه, ((أمّـا الدعامـة العقليّـة فقـد كانـت حاضـرةً فـي طريقتـه فـي التصـنيف والتبويـب وابتكـاره طريقـةً

---

(1) – هو أبو يزيد خُداش بن بشر بن خالد التميمي المعروف بالبعيث, يُنظر: معجم الأدباء, 173/4.

(2) – عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب, يُنظر: فوات الوفيات, 398/2.

(3) – يُنظر: ديوان ابن المعتز,409, دار صادر, ط1, بيروت–1961م.

(4) – أخبار أبي تمّام:101.

(5) – يُنظر – مثلاً – : النقد المنهجي عند العرب, ومنهج النقد في اللغة و الأدب, د.محمد مندور, 1/ الفصل الثالث, والجزء الثاني, ط3, دار نهضة مصر, القاهرة– 2005م, ويُنظر: أبو بكر الصولي وجهوده النقديّة.

جديدة لعرض قضايا النقد عن طريق إبراز النواحي السلبيّة التي أخذها العلماء على أساليب الشعراء, والتعمّق في المسائل النقديّة من خلالها))[1].

وإذا كان هذا من السمات العامّة لمنهجيّة المرزباني في التأليف الأدبي, ولاسيما في كتابه الموشّح, إذ اعتمد في رصده على الذوق المصقول بالقراءة والمطالعة للنتاج الأدبي, وتمييز أبعاده الجماليّة[2]؛ فإنّنا نجده في "أخبار السيّد الحميري" مكتفياً بالنقل الروائي للأخبار, من دون مزيد تعليقٍ على ذلك المروي الخبري, سوى تعليق أدبيّ واحد, أوردَهُ المرزباني مدافعاً فيه عن تمذهب السيّد الحميري وانتمائه الشيعي الجعفري؛ فبعد أن يروي الأبيات الدالة على جعفريّة السيّد يقول: ((ومن زعمَ أنّ السيّد أقام على الكيسانيّة فهو بذلك كاذبٌ عليه, طاعنٌ فيه, ومن أوضح ما دلّ على بطلان ذلك, دعاء الصادق – عليه السلام – وثناؤه عليه))[3], ثمّ يُعضّد هذا التعليق الذي أدلى به بأكثر من حديثٍ عن الصادق –ع– في الدعاء للسيّد والترضّي عليه[4].

ونُلفي ابن منظور في "أخبار أبي نواس" مُعلّقاً على بعض الأخبار في أكثر من موضع, وكان جُلّ تلك التعليقات, تعليقاتٍ أدبيّةً نقديّة تُفصحُ عن نظرٍ نقدي حازه ابن منظور في استحضار المعاني والأمثال والربط بينها, ومن ذلك تعقيبه على أبياتٍ لأبي نواس, نصُّها[5]: (المنسرح)

قُل لـــزُهيْرٍ، إذا حَـــــدا رشدَا: أقْـــــلِلْ أو اكْثِرْ ، فأنْتَ مهـــــــــذارُ

ســـخُنْتَ مـــــن شِـــدّة البرُودةِ حتّى صـــــرْتَ عنـــدي كـــأنك النّـــــــارُ

لا يعجَبِ الســـامعـــون من صفتي كـــذلك الثلْـــجُ بـــــاردٌ حَـــــــــارُ))[6]

---

[1] – القضايا النقدية في كتاب الموشح, 11–12,

[2] – يُنظر: النقد الأدبي ومصادره في كتاب الموشّح, 12–13.

[3] – أخبار السيّد الحميري, 41.

[4] – يُنظر: أخبار السيّد الحميري, 41–42.

[5] – يُنظر: ديوان الحسن بن هانئ الحكمي, تح: ايفالد فاغنر, غريغور شولر, 2/ 82, دار النشر, برلين–1972م.

[6] – أخبار أبي نواس, ابن منظور, 14.

قال ابن منظور: ((هذا شيءٌ أخذهُ أبو نواس من مذهب حكماء الهند فإنّهم يقولون: إنّ الشيء إذا أفرط في البرودة انقلب حارّاً, وقالوا: إنّ الصندل يُحكُّ منه اليسير فيبرد, فإذا أكثر منه سَخُنَ...))[1].

إنّ تتبّع التعليقات الأدبيّة لابن منظور يُنبئ عن سعة معرفته الأدبيّة, وحُسن استحضاره الشعريّ, فيُحيلُ هذا المعنى في هذا البيت على معنًى آخر لشاعرٍ آخر قاربَ الأوّل في الصياغة أو المعنى؛ وهو ما يكشف عن ذوق ابن منظور تُجاه النصّ الأدبي, من ذلك تعليقه على قول أبي نواس[2]: (المديد)

تتأتّى الطّيرُ غُدْوَتَه, ثِقَةً بالشّبْعِ من جَزَرِهْ

قال: أخذَ هذا المعنى مسلم بن الوليد الأنصاريّ, المعروف بصريع الغواني, فقال[3]: (البسيط)

قد عوّدَ الطيرَ عاداتٍ وثقنَ بها فهنّ يتبعنه في كلّ مُرتحَلِ

وكأنّما أخذه من قول حميد يصف الذئب بأنه يُقبل والطير تتبعه[4] : (الطويل)

إذا ما غدا يوماً رأيت غمامةً[5] من الطير ينظرنَ الذي هو صانع

وأوّل من افتضّ هذا المعنى النابغة, فقال[6]: (الطويل)

إذا ما غدا بالجيش حلّق فوقهم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ

جوانح قد أيقنَّ أنّ قبيلَه إذا ما التقى الجمعانِ أوّل غالبِ))[7]

---

[1] – م. ن, 14.

[2] – يُنظر: ديوان الحسن بن هانئ الحكمي,149/1.

[3] – يُنظر: ديوان مسلم, صريع الغواني, تح: حسن البنا, 48,المكتبة العلامية, ط1, مصر ,القاهرة– د. ت.

[4] – يُنظر: ديوان حميد بن ثور الهلالي, ت: د.محمد شفيق البيطار, 153, سلسلة التراث العربي, ط1, الكويت– 2002م.

[5] – وفي الديوان, إذا ما غزا يوماً رأيتَ ظِلالةً, ينظر: الديوان,153.

[6] – يُنظر: ديوان النابغة الذبياني, بشرح الحضرمي (ت:609هـ), تح: د.علي الهروط, 26, مؤتة – 1992م,

[7] – أخبار أبي نواس, ابن منظور,164/1– 165.

ونجد ابن منظور غير مكتفٍ بالتعليق على المعاني, ومشابهتها أو مقاربتها لغيرها, بل يعمد أحياناً إلى تصحيح مناسبة الأشعار التي قالها أبو نواس, كمثل تعليقه على هذه الرواية: ((وقيل إنّ الأبيات التي أباح بها الأمين قتل أبي نواس هي[1]: (مجزوء الكامل)

يا قاتل الرجل البري ء وسالباً[2] عزّ المليكْ
كيف السبيل للثم سا لفتيك أو تقبيل فيكْ
الله يعلم أنّني أهوى هواك وأشتهيكْ
وأصدُّ عنك حذار أن تقع الظنون عليّ فيكْ
إنّي أهابُكَ أن أبو حَ بما أُجِنُّ وأتّقيكْ))[3]

قال ابن منظور: ((والصحيح أنّ هذه الأبيات إنّما قالها أبو نواس في كوثر خادم الأمين))[4].

ونجد ابن المِبْرد, يوسف بن الحسن الحنبلي, في "نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر", معلّقاً على بعض الأخبار, ولاسيما تلك الأخبار التي تضمّنت الشعر, فقد يُشير أحياناً – ناقداً– إلى ركاكة ذلك الشعر, أو عدم صحّة نسبته للمجنون, ومثال ذلك قوله: ((وقد ذكرَ بعضُهم أنّه لمّا حجَّ [يعني المجنون] هربَ حتّى أتى حيّ ليلى, وأشرف على نيرانهم, وقال قصيدته التي يُقال لها المؤنسة..., وفيها أشياء فيها ركاكةٌ, ما أظنّها له, ونحنُ نذكر ذلك وننبّه على غالبه[5]: (الطويل)

بِثَمدينَ لاحَت نارُ لَيلى وَصُحبَتي بِذاتِ الغضا تُزجي القلاص اليمانيا

---

[1] – ينظر: ديوان الحسن بن هانئ, 283/4.

[2] – وفي الديوان: وغاصباً, ينظر: الديوان, 4/ 184.

[3] – أخبار أبي نواس, ابن منظور,1/ 220.

[4] – م. ن, 221.

[5] – يُنظر: ديوان مجنون ليلى, بجمع الوالبي, تح: جلال الدين الحلبي, 86– وما بعدها, مطبعة مصطفى البابي الحلبي, مصر,1939م, وفي هذه الأبيات وما يليها من القصيدة؛ تقديمٌ وتأخير, وتغييرٌ في بعض الألفاظ.

فَقـــــالَ بَصيرُ القَومِ: لمحةُ كوكـــبٍ بَدا في سوادِ اللَيلِ فَرداً يَمـــانِيـــا

فَقُلتُ لَهُ بَل نـــــارُ لَيلـــــى تَوَقَّدَت بِعليـــا فلاحـت ضَوؤها فَبَدا لِيـــا

وهذا البيت مغيّر – والكلام لابن المِبرد – , وهو فيما قدمناه:

فَلَيتَ رِكـابَ القَـــومِ لَم تَقطَعِ الغَضـا وَلَيتَ الغَضا ماشى الرِكـــابَ لَيـالِيـــا

ألا فـاســأل الركبان هل سُقيَ الحمى نـدًى فسـقى الله الحمـــى وسقـانيـــا

وأسألُ مـــن لاقيـتُ عـن أمّ مـــــالكٍ فـهـل يسـألان الحيّ عن كيف حـاليـا

وَإِنَّ الَّذي لاقيـتُ يـــا أُمَّ مـالِكٍ أشـــابَ قَذالي وَاِستَبـــاح فُـــؤادَيا

فَهَذي شُهورُ القيظ عَنّا تـصـرّمـتْ فَمـــا لِلنَـــوى تَرمـي بِلَيلى المَرامِيا؟

...

فَمـــا طَلَعَ النَجـــمُ الَّذي يُـهتَدى بِـهِ وَلا الشمس إلّا ظِلتُ ولهان باكيـــا

ومـا أسفرَ الصبحُ المصدّق مُشرقـاً ولا الفجـــر إلّا هيّجـــا ذكرهـا لِيـا

ولا ذُكرت عندي لهـا مـــن سميّةٍ مِـنَ النـــاسِ إلّا بَلَّ دَمعي رِدائِيـا

وصرتُ إذا صلّيتُ يمّمتُ نحوهـــا بوجهـي وإن كـــان المصـلّى ورائيـا

[قال ابن المِبْرد] وأظن أن هذه الأبيات كلّها مكذوبة على قوله, فإنّها ليست من نمط لفظه, بل ولا ممّن هو دونه من المولّدين. ثم قال [المجنون]:

أُحِبُّ مِن الأسماءِ مـا وافـق اسمها أو اشبهه أو كـــان منـــه مـــدانيا

...

معذبتي لولاكِ مـــا جئتُ سائلاً أطوف علـى الأبـــواب والليـــل هاديا

وقد كثر الصبيـان حولي وجـانبي وسـاروا جميـــعاً والكـــلاب ورائيـا

وقـــائلةٍ: وارحمتـا لِـــشبابـــه فقلـــتُ لـــهـا: وارحـــمتي لشبابيـــا

وهذه الأبيات الثلاثة فيها ركاكة, وما أظنّها له. ثمّ قال:

لئن ضعـــف الأحباب يا أمّ مالكٍ لمــا ضعـــــفَ الحُـبّ الذي في فؤاديا

ثـم ذكـرَ[1] أبياتـاً ركيكـة يُسـتحى بـذكرها لغيـر قـيس, فمـا بالـك بـه؟. وقـد أورد ذلـك كلـه, وزادَ عليه في الديوان الموضوع باسمه))[2].

وهكـذا يسـير ابـن المِبْـرد فـي كثيـرٍ مـن المواضـع منبّهـاً علـى غلـطِ روايـةٍ, أو تحريـفٍ فـي لفـظ, أو ركاكةٍ في معنى[3].

- **التعليق اللغوي:**

وهـو وجـهٌ مـن وجـوه النقـد التـي اضـطلع بهـا كثيـرٌ مـن مـؤلّفي كتـب الأخبـار, وتختلـف تلـك التعليقـات اللغويّـة مـن مؤلِّـفٍ لآخـر؛ فقـد تكـون مقتصـرةً علـى تبيـان معنًـى لغـوي, أو قـد تقتصـر علـى إشـارةٍ لموضـعٍ إعرابـي. وبصـورةٍ عامّـة فـإنّ تلـك التعليقـات – فـي جلّهـا – تعليقـاتٌ تفسـيريّة توضـيحية, وقـد تغيـب مطلقـاً عـن بعـض كتـب الأخبـار, مثلمـا غابـت عـن (أخبـار أبـي نـواس) للمهزمـي, و(الورقـة) لابـن الجـرّاح, و(أخبـار السـيّد الحميـري) للمرزبـاني, و(أخبـار سـيبويه المصري) لابن زولاق, و(أخبار الحلّاج) لابن الساعي البغدادي.

إنّ هـذه التعليقـات تكشـفُ عـن وعـي القـدماء بأهمّيّـة اللغـة فـي الكشـف عـن مضـامين الـنصّ الأدبـي, فالناقـد اللغـوي يـرى فـي اللغـة البوّابـة الأولـى للولـوج إلـى فضـاء الـنص, والتعـرّف علـى الـدلالات والأبعـاد التـي يرمـي لهـا الـنصّ الشـعريّ, وتحمـلُ إضـافةً لمـدلولها اللغـوي, دلالاتٍ أُخرى تُستشفُّ من السياق الحضاري والثقافي الذي أُنتجَ فيه النصّ[4].

---

[1] – المقصود راوي الخبر الذي نوّه عليه ابن منظور مطلع الخبر.

[2] – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 83–89.

[3] – يُنظر: م. ن, 29, 37, 46, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 115.

[4] – يُنظر: القضايا النقديّة في كتاب الموشّح, 11– 15.

وقد ظهر النقد اللغويّ منذ زمنٍ مبكّر عبر ملاحظاتٍ نقديّة لامست جوانب كثيرة من لغة النصّ الشعري, فكانت تلك الملاحظات منطلقَ النقّاد المتأخّرين في السير بالنقد الأدبي نحو التطوّر, وصولاً إلى النقد العلمي القائم على بحث الشعر ونقده بالتخطئة, والتعديل والتصحيح, فتركوا بذلك إرثاً نقديّاً أفاد منه النقّاد اللاحقون[1].

وقد كان التعليق اللغوي على الأخبار من منهج الصولي في كثيرٍ من كتبه الأخباريّة, ومثال ذلك ما قاله تعليقاً على أبياتٍ قالها أبو تمّام في ذكر النار نصّها[2]: (الكامل)

ما زالَ سرُّ الكفرِ بينَ ضلوعهِ حتَّى اصطلَى سِرَّ الزنادِ الوَاري

ناراً يُساوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرهَا لهبٌ كما عصفرتَ شقَّ إزارِ

طارتْ لها شعلٌ يهدمُ لفحها أرْكَانَهُ هَدْماً بغيْرِ غُبَارِ

ففصلنَ منهُ كلَّ مجمعِ مفصلٍ وفعلْنَ فاقرةً بكلِّ فقارِ

قال الصولي معلّقاً: ((إنّما قال: وفعلنَ, فخصّ هذه اللفظة لقول الله – جلّ وعزّ – (تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ)[3], ولِقول الناس: فعلَ به الفواقر, أي: الدواهي))[4].

وتعليقات الصولي اللغويّة متواشجة في غالبها مع تعليقاته الأدبيّة, ولاسيما في حديثه عن الألفاظ بين القدامى والمحدَثين؛ ذلك أنّ مستوى الألفاظ من جهة الغرابة والحوشيّة والابتذال وما إلى ذلك, أمرٌ مُشترَكٌ بين الدراسات اللغويّة والبلاغيّة[5]؛ لذا يُلحظ أنّ علماء البلاغة قد ((أفادوا من الدراسات اللغويّة إفادةً كبيرةً, وخاصّة حين يتعرضون إلى فصاحة اللفظ المفرد, أو في الكلمات مجتمعةً من حيث تعادلها في الخفّة والثقل, بالإضافة إلى ذلك, فإنّ تلك الدراسات اللغويّة قد تعرّضت للكلمة من حيث كونها مهجورة أو مألوفة, فإذا كانت الكلمة

---

(1) – يُنظر: النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري, فريدة بولكعيبات,40, رسالة ماجستير, جامعة منتوري, الجزائر–2009م.

(2) – ديوان ابي تمام, 203/2.

(3) – القيامة: 25.

(4) – أخبار أبي تمّام,94–95.

(5) – يُنظر: النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري, 94.

وحشيّة لا يظهر معناها إلّا بالتنقيب عنها في كتب اللغة, أو كانت قليلة الاستعمال بين الناس فهي بعيدة عن الفصاحة))[1]. وعلى أيّ حال, فإنّ التعليقات الأدبيّة طاغيةً على مؤلّفات الصوليّ الأخباريّة.

ونلحظ ابن منظور في "أخبار أبي نواس" قليل التعليق اللغوي على الأخبار التي رواها, من ذلك تعليقه على قول أبي نواس[2]: (المديد)

كَمَنَ الشنآنُ فيه لنا ككمونِ النار في حَجَرهْ

قال: ((وقال الكسائي: إنّما أراد في حجرها فغلط, وقال أبو العباس: إنما أراد في حجره, فردّه إلى القادح. وجوّد هذا التأويل. وقال قومٌ إنّما ردّ الحجر إلى الكمون. وكيف كان فقد أحسن فيه))[3].

ويميلُ ابن منظور أحياناً إلى شرح الأبيات وتفسيرها بما يظهر من معانيها, ومن ذلك تعليقه على قول أبي نواس[4]: (المديد)

خابَ مَنْ أسرى إلى ملكٍ غير معلومٍ مدى سفرهْ

قال ابن منظور: ((يقول: خاب من ركبَ الغرور, ولا يعرف مقدار سفره إلى من يقصده, يقول: لستُ كذلك, ولكنّني أقصد من أثقُ بإحسانه إليّ, وأعلمُ بتعجيلِ أوبتي بما أُحبّ منه))[5].

وعلّقَ على قول أبي نواس[6]: (المديد)

لا أذود الطير عن شجرٍ قد بَلَوتُ المُرَّ من ثمره

---

[1] – م. ن, 96.

[2] – ديوان الحسن بن هانئ, 149/1.

[3] – أخبار أبي نواس, ابن منظور, 163/1.

[4] – يُنظر: ديوان الحسن بن هانئ, 149/1.

[5] – أخبار أبي نواس, ابن منظور, 165/1.

[6] – ينظر: ديوان الحسن بن هانئ,149/1.

قائلاً: ((هذا مثلٌ, يقول: أنتَ جافٍ, فأنا أترُكُكَ, ولا أمنع منكَ من يُريد مواصلتك؛ لأنّني ذُقتُ مودّتِك, وجرّبتُها فوجدتُكَ غدّاراً بمن أحبّكَ, جافياً لمن يُريد ودّك))[1].

وبالانتقال إلى ابن المِبْرَد, فإنّنا نجد التعليقات اللغويّة كثيرة, على الرغم من كون كتابه الأخباري (نزهة المسامر) صغيراً بصفحاتٍ معدودة.

ومن تلك التعليقات ما قاله ابن المِبرد معلّقاً على قول المجنون[2] : (الطويل)

نهاري نهارُ الناس حتّى إذا بدا لِيَ الليلُ هزّتني إليكِ المضاجعُ

أُقَضّي نَهارِي بالحَديثِ، وَبالمُنى وَيَجمَعُني وَالهَمَّ، باللّيلِ، جَامعُ

وقوله[3]: (الطويل)

أظنُّ هواها تاركي بمَضَلّةٍ من الأرضِ لا مالٌ لَديّ ولا أهلُ

ولا أحدٌ أُفضي إليه وصيّتي ولا وارثٌ إلّا المطيّة والرحلُ

محا حبُّها حبَّ الأُلى كنّ قبلها وحلّت مكاناً لم يكن حُلّ من قبلُ

قال ابن منظور: ((قال ابن الجوزي: قد ذكرنا في هذه الحكاية قوله: "هزتني إليك المضاجع "وما رُويَ لنا إلا بالزاي, ولا سمعنا أحداً يذكره إلّا كذلك. ثم رأينا أبا الفتح بن جني, ذكره بالراء فقال: "هرتني إليك المضاجع" قال: والزاي تصحيف عندهم. قال: ويُقال: هرَّ الشيء يهرُّه, ويهره إذا كرهه, فمعنى هرّتني: كرهتني فَنَبَتْ بي. وقوله: (والهمّ) منصوبٌ على أنّه مفعولٌ معه.

وقوله: (بِمَضلَّةٍ), المضلّة: المكان الذي يضِلُّ الإنسان به الطريق. وقوله: (محا حُبُّها) من المحي[4], وهو الإزالة, و(حبّها) مرفوعٌ على أنّه فاعل. (وحُبّ) الثاني منصوبٌ على أنّه

---

[1] – أخبار أبي نواس, ابن منظور, 165/1.

(4) – خلا منه الديوان, يُنظر: ديوان مجنون ليلى بجمع الوالبي.

(5) – خلا منه الديوان, يُنظر: م. ن.

[4] – المحي: لغةٌ في المحو, يُنظر: تاج العروس, 512/39.

مفعولٌ, و(الأُلى): جمع (أوّل)[1]. وقوله: (من قبل) مبني على الضمّ, لا يتغيّر بالعامل؛ لأنّه لو تغيّر لكان مجروراً. قال تعالى: (... لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ...)[2]))[3].

وقد يعمل ابن المِبْرد في تعليقاته اللغويّة على ذكر الوجوه التي رُويَ فيها البيت, شارحاً في الوقت نفسه بعض المعاني, ومبيّناً لجوانبَ إعرابيّة معيّنة؛ من ذلك تعليقه على قول المجنون[4]:

(الطويل)

حَلَفتُ لها بالمشرفَينِ وزمزمٍ ... ولله فوق الخافقين رقيبُ

لئِن كان بردُ الماء حرّان صادياً ... إليّ حبيباً إنّها لَحبيبُ

قال: ((حلفتُ لها بالمشرفَين, بالفاء الموحدة, تثنية مشْرَف, وهو المكان الذي يُشرَفُ منه. ورُويَ (بالمشرقين) بالقاف. وقوله: (ولله) بالرفع, والرقيبُ هو الله, ويُطلق على الحافظة, والمنتَظِر, والحارس. وقوله: (حرّانَ صادياً), أي: حالَ كوني حران صادياً من الضمأ, وقد رُوي (ضمآن صاديا), ورُويَ (هيمان صاديا)))[5]. وهكذا يسير ابن المِبْرَد في كثيرٍ من تعليقاته اللغويّة[6].

وبناءً على ما تقدّم يتّضحُ أنّ التعليق على الأخبار نشاطٌ عمدَ إليه الكثير من مؤلفي كتب الأخبار؛ لأسبابٍ منها: حرصهم على سلامة المروي في بعض الأحيان وأداءً للأمانة

---

(1) – أشار المحقق إلى أن ليس في كتب اللغة (الأوّل) مفرد لـ (الأُلى), بل يجعلون مفرد (الأُلى) الذي, وينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها, 179/2.

(2) – الروم: 4.

(3) – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 24.

(4) – خلا منه الديوان, وفيه أبيات على نفس الوزن والقافية والمضمون, يُنظر: ديوان مجنون ليلى, 28.

(5) – نزهة المسامر, 68.

(6) – يُنظر: م. ن, 24, 25, 35, 37, 54, 68, 69, 70, 73, 78, 79, 82, 83, 91.

الروائيّة؛ فراحوا يوردون الأخبار كما هي بأسانيدها, ثم يُدلونَ بدلوهم معلقين على صحّة خبر, أو ركاكة لفظٍ, أو اختلافِ رواية, أو بيانِ معنًى, أو توجيه إعراب.

وكان التعليقُ على الأخبار ركيزةً من ركائز المفاضلة والموازنة والمقارنة بين الشعر, أو بين الشعراء, مثلما يُلحَظُ ذلكَ عند الصولي؛ إذ يكون تعليقه تالياً للأخبار أو متوسّطاً لها.

توطئة:

اتخذ الخبرُ أنماطاً بنائيّةً مختلفة, أضفت عليه صفاتٍ تشكّليّةً متعدِّدة تبعاً لبنائه التركيبي والفنّي, وقد تشكّلت تلك الأنماط البنائيّة على وفق علاقاتٍ قد تكون قائمةً على المزاوجة بين الوحدات الخبريّة, أو التضمين لوحدةٍ خبريّة أو أكثر في سياق خبرٍ مخصوص يوفّق بين هذه الوحدات.

وتنشأ علاقات التركيب بين الأخبار استجابةً لِما قام عليه الخبر ((من خصائص تجعل الربط بين وحداته أمراً ممكناً, سواءٌ كان ذلك عن طريق الجمع أو الاحتواء أو المواصلة, أو عن طريق التضخيم والتفصيل والمسرحة والتجسيد, أو عن طريق التروية, أي إيراد الخبر الواحد على لسان شخص تارةً, وعلى لسان غيره أخرى, فتتغيّر صيغته كلّما نُسِبَ لراوٍ جديد))[1].

إنّ ما يُضفي على العمل الأدبي شخصيّته هو عمليتا الاختيار والترتيب لوحداته, ((فإذا أمكن إسناد عمليّة الاختيار للبناء, فإنّ عمليّة الترتيب هي الأداة الرئيسيّة للتنظيم))[2]؛ ذلك إذا ما نظرنا إلى البناء على أنّه عمليّة محدّدة أكثر, تتمّ فيها صياغةُ العناصر التي تحدِّد النص وتكوينها, و(التنظيم) على أنّه العمليّة المنظورة لتوفيق العناصر في النّص ومزجها[3].

وتتشكّل الأخبار على المستوى الفنّيّ على وفق مستويين بنائيَّين هما: الواقعي/المألوف, وغير الواقعي/غير المألوف, وكان الفيصل في التمييز بينهما هو العقل, إذ تزدهر الأخبار غير الواقعيّة في الأوساط التي يغيب أو يُغيّب فيها سلطان العقل[4].

---

(1) – معجم السرديّات, محمد القاضي وآخرون,172, الرابطة الوطنيّة للناشرين المستقلّين, ط1, بيروت– 2010م.

(2) – بناء النص التراثي, 64.

(3) – يُنظر: م. ن, 62.

(4) – يُنظر: الخبر في الأدب العربي, 603.

وقد كانت الواقعيّة من سمات الأدب العربي بمختلف فنونه منذ زمن الجاهليّة حتّى ((عُدّت مثلبةً فيه, فالقصيدة الجاهليّة كانت انعكاساً لبيئة الصحراء, ونقائض جرير والفرزدق والأخطل كانت صورة للصراعات القبليّة في المجتمع))[1].

وقد انعكست تلك الواقعيّة على مسيرة النقد العربي القديم بصورة عامّة, وهي قضيّةٌ لا تبتعد عن نظرة الأقدمين إلى الصدق والكذِب في الأدب بوصفه معياراً نقديّاً يُركن إليه عند النظر في النص الأدبي, ولاسيما الشعري.

وإذ تُعدُّ الأخبار من مظانّ السرد العربي القديم, أي أنّها نوعٌ سرديّ, فقد مسَّها ((ما مسَّ غيرها من أنواع المرويّات العربيّة من تحريفٍ, فضلاً عن الوضع والانتحال, للأسباب نفسها التي استدعت وضع ما سواها, سواءٌ أكانت هذه الأسباب ذاتيّة أم موضوعيّة, سياسيّة أم دينيّة أم تربويّة))[2]. وذلك المسّ الذي أصاب الأخبار جعلها تتخذُ أنماطاً بنائيّةً فنّيّة تجانب المعقول, وتخرج عن العادة والحقيقة, فنشأت إزاء ذلك الأخبار الأسطوريّة والخرافيّة.

وقد تضافرت عدّة عوامل لإعطاء جملة من الأخبار مسحة تخييليّة, قد ترقى بها صوب الخرفنة والأسطرة الخبريّة, فقد يكون الرواة من المساهمين في إضفاء المسحة الأسطوريّة على الأخبار بما يُضيفونه من أحداث, أو مبالغات تؤسطر الخبر, أو قد يكون مردُّ غير المعقوليّة في الأخبار راجعاً إلى التراكميّة الزمنيّة, إذ يُسهم التعاقب الزمني والنقل الشفاهي الاجتماعي في إعطاء بعض الأخبار صبغة خياليّة تتجاوز المألوف اليومي, أو المألوف العقلي.

إنّ القبول الاجتماعي, في بعض الأمكنة والأزمنة, قد يسمح في انتشار الأخبار غير الواقعيّة, لِذا عمدَ قسمٌ من الرواة إلى التفنّن في الصياغة الخبريّة, والتزيّد في النقل, بما يحقق لتلك الأخبار نفوقاً وقبولاً شعبيّاً.

---

[1] – الفن القصصي في النثر العربي حتّى مطلع القرن الخامس الهجري,49.

[2] – السرد العربي القديم, الأنواع والوظائف والبنيات, إبراهيم صحراوي, 56, الدار العربيّة للعلوم– ناشرون,ط1, بيروت– 2008م.

وقد اشتدّت سطوة العجائبيّة والغرائبيّة في القصّ العربي القديم مع ظهور السير الشعبيّة واستوائها, ولاسيما في العقود الأخيرة من الدولة العبّاسيّة, حيث الضعف والانحطاط الذي زامن هذه الحقبة[1].

إنّ النظر في كتب أخبار الشعراء يكشفُ لنا طبيعة تشكّل الخبر البنائيّة, والفنّيّة. فنُلفي تلك الأخبار قد توزّعت بنائيّاً على قسمين: أخبارٌ مفردة, وأخبارٌ مركّبة, والملاحظ أنّ أخبار الشعراء قد تباينت في طبيعتها البنائيّة, فقد يكون الخبر المفرد حائزاً على النسبة الأكبر في بعضها, و قد يحوز الخبر المركّب على تلك النسبة الأكبر.

ويتّضح أنّ الخبر المركّب قد أخذ طابعاً حكائيّاً على مستوى التشكّل البنائيّ, فتوالت الأحداث, أو تراكبت, أو ضُمِّنَ بعضُها في سياق الآخر, وقد يتعدّد الشخوص إزاء هذا التركيب التشكّلي, مع أنّ الغالب على الخبر المركّب الحدث المركزي الذي تتمحور حوله مجمل اللحظات السرديّة.

وعلى مستوى التشكّل الفنّي نجد أنّ الخبر في كتب أخبار الشعراء قد قُسِّمَ على وجهتين, الأولى: الخبر الواقعيّ/المألوف, والثانية: الخبر غير الواقعي/ غير المألوف. وقد حاز الخبر الواقعي على النسبة الأكبر من الأخبار؛ لِكون الواقعيّة أصلاً في الخبر, حتّى لَنجدَ قسماً من كتب الأخبار قد انغلقت عليه ولم تجاوزه إلى سواه.

ويُلحظ أنّ بعض مصنّفات كتب أخبار الشعراء قد تضمّنت نسبةً من الأخبار غير المألوفة, تلك الأخبار التي قد تُنمى إلى العجائبيّة أو الغرائبيّة, وهو ما يجعل بعضَها حاملاً طابعاً أسطوريّاً أو خرافيّاً, على ما سيأتي تفصيله.

---

[1] – يُنظر: تحولات السرد العربي من التذكيري الاعتباري إلى العجائبي الغرائبي, إبراهيم صحراوي,120, بحث منشور في ضمن إصدارات (وحدة السرديّات) في جامعة الملك سعود بعنوان: (التشكّل والمعنى في الخطاب السردي), مؤسّسة الانتشار العربي, ط1, بيروت–2013م.

وبصورةٍ عامّة فإنّ مجانبة المألوف سمةٌ رافقت بعض (أخبار الشعراء). ولعلّ الذي ساق الرواة إلى إضفاء المسحة الغرائبيّة والعجائبيّة على بعض الأخبار, هو الرغبةُ في جعل القص مادّةً أدبيّةً يُستأنس بها, وتُستحلى متابعتها, فيُنقل ((الخبر الكاذب والأعاجيب رغبةً في المؤانسة))[1], أو قد يكون ذلك بدافع الأمانة النقليّة , فرَووا تلك الأخبار على ما فيها من واقعيّة مألوفة أو لا واقعيّة مستغربة.

ونجد أنّ أخبار المجنون قد تضمّنت نسبةً كبيرةً من الأخبار التي اتّصفت بمفارقتها للمألوف, والتي كانت وليدة العجائبيّة والغرائبيّة اللتين وُسِمَ بهما السلوك الشخصي لِقيس, أو التزيّد والتزييف اللذين كان الرواة يسبغونهما على هذه الأخبار.

وقد تكون غير الواقعيّة في بعض أخبار الشعراء راجعةً للرؤيا المناميّة التي تتحقّق للبعض فيرويها استبشاراً بوعد أو مغفرة, على نحو ما نجده في (أخبار السيد الحميري).

وإذا ما نظرنا في (أخبار الحلاج) فإنّنا سنجد الغرائبيّة والعجائبيّة سمة مرافقة لبعض الأخبار التي كانت تدور في أُفق غير المألوف, الذي قد يكون مرجعه لبعض الخوارق, والكرامات التي رافقت بعض المتصوّفة في سلوكهم الحياتي, إذ إنّ العشق الإلهي أمرٌ تملّك المتصوّفة , وحقّق لهم بعض الكرامات الخارقة للعادة.

إنّ الصفة غير المألوفة والمدهشة في قسمٍ من أخبار المتصوّفة وأدبهم بصورة عامّة؛ لا تقف عند حدود الوقائع الحادثة, والمواقف الحاصلة, بل تمتدّ إلى الغموض في اللغة الرمزيّة التي كانوا يتخاطبون بها فيما بينهم, أو يخاطبون بها غيرهم. وعلى الرغم من هذا الغموض الذي وُسِمَ به المتصوّفة سلوكاً وأدباً, فإنّ ((فهم مصطلحات الصوفيّة ورموزهم لم يعُد أمراً في غاية العسر, [إذ] تصدّى الكثيرون قديماً وحديثاً لتفسير رموزهم, وحلِّ ماغمضَ منها))[2], حتّى نرى أنّ بعضهم عمد إلى صناعة موسوعة لمصطلحاتهم[3].

---

[1] – الجانب الأسطوري في أخبار شعراء المعلّقات,43.

[2] – النثر الفني عند أبي حيّان التوحيدي, د.فائز طه عمر,150, دار الشؤون الثقافيّة العامة, ط1,بغداد–2000م.

[3] – يُنظر– مثلاً– : موسوعة مصطلحات التصوّف الإسلامي, د. رفيق العجم, مكتبة لبنان, ناشرون, ط1, بيروت– 1999.

وتبدو نسبة من (أخبار أبي نواس) غيرَ مألوفة, لكن ما يُلحظ على جزءٍ من هذه الأخبار أنّ لا مألوفيّتها لا تصل إلى مستوى الخرافة أو الأسطورة, بل تقف عند حدود المفارقة المثيرة للدهشة والاستغراب, كالخبر الذي يتحدّث عن مواظبة أبي نواس على الصلاة, وحرصه على أوقاتها, وإدمانه الخمرة في الوقت نفسه. ولعلّ هذا الأخبار تدخل في باب تزيين صورة أبي نواس, وسنقف عند هذا الخبر في موضعه.

وعلى وفق ما تقدّم, فقد رأينا أن ندرس تشكّلات الخبر على مبحثين, الأوّل: التشكّل البنائي, ونظرنا فيه إلى بنية الخبر تبعاً لمستويي الإفراد والتركيب.

والثاني: التشكّل الفني, ونظرنا فيه إلى البناء الفني للخبر, فلاحظنا أنّ الخبر يتشكل فنّياً على مستويَين, أحدهما: الواقعي, وهو السائد والأعم, والآخر: غير الواقعي/غير المألوف, وقد شاع في قسمٍ من المصنّفات الخبريّة, وندر في القسم الآخر, أو انعدم وجوده.

.....

ونلاحظ شيئاً من (أخبار سيبويه المصريّ) قد تشكّل تركيبيّاً على وفق بنية النظم التي جمعت بينها, من ذلك ما كان سياقه المخصوص مواقف رواها ابن زولاق, وكلُّ موقفٍ شكّلَ وحدةً سرديّةً مستقلّة منفصلة عن الأخرى, بيد أنّ ما سمح بتضافرها تركيبيّاً سياقها المخصوص, كمثل التركيب الذي كان بين أكثر من وحدة سرديّة مستقلّة رواها ابن زولاق تحت عنوان (وكان لي مع سيبويه قصص), قال: ((فمنها أنّه طلب منّي حماراً يركبه فتهاربتُ منه خوفَ أن يطوف عليه يومه أجمع, فلقيني في الطريق فما تعاتبنا, وقال: يرُدُّ إلى الجحر ناقص القدر.

ولقيني يوماً آخر عند دار ابن رجاء[1], فقال: تصدّرت للفُتيا, وجُعِلتَ من أُولي النُّهى, وذريت, وجزت طورك وتعدّيت. فأجبته ضرورة حياءٍ من المستمعين))[2].

ولا يكتفي ابن زولاق بهذين الموقفين, بل يتابع سَوقِ المواقف التي انتظمت إزاء العنوان الذي تصدّرها, وهو ما أعطى التركيب الخبري طابعاً حكائيّاً ((وهذه الأفعال السرديّة تنتظم في (سلاسل) تكثر أو تقلُّ حسب طول أو قصر الحكاية. بل كل سلسلة يشدُّ أفعالَها رباطٌ زمنيّ منطقي))[3].

وقد تكون الوظيفة الخبريّة التي يسعى إلى تحقيقها الراوي من دواعي التركيب الخبريّ, ((وعلى قدر اتّساع مرويّاته يتّسع الخبر الناتج عنها))[4], إذ تُروى جملة من الأخبار التي يكون بينها رابطٌ موضوعي في سياق واحد استشهاداً على حدثٍ أو موضوعٍ ما.

---

(1) – الحسن بن رجاء بن أبي الضحاك أبو علي الحصاري الكاتب أصله من جرجرايا, شاعر جيد الشعر قليله, وولي أبوه إمرة دمشق في أيام المعتصم فوثب عليه علي بن إسحاق بن يحيى بن معاذ فقتله, وكان الحسن مع أبيه إذ ذاك, ففرّ عنه فذكر ذلك البحتري في شعره, يُنظر: تاريخ دمشق, 84/13.

(2) – أخبار سيبوه المصريّ, 50.

(3) – الأدب والغرابة, 60.

(4) – الخبر في الأدب العربي, 500.

من ذلك ما جاء في (أخبار الحلاج): ((عن إبراهيم بن شيبان[1] قال: دخلتُ على ابن سُريج[2], يوم مقتل الحلّاج, فقلت: يا أبا العبّاس, ما تقول في فتوى هؤلاء في قتل الحلاج؟, فقال: لعلّهم نسَوا قول الله تعالى:(أَتَقْتُلُونَ رَجُلا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ..)[3] .

وقال الواسطيّ[4]: قلتُ لابن سُريج: ما تقول في الحلّاج؟, قال: أمّا أنا فأراه حافظاً للقرآن, عالماً به, ماهراً في الفقه, عالماً بالحديث والأخبار والسنن, صائماً, قائماً الليل, يَعِظ ويبكي ويتكلّم بكلامٍ لا أفهمه, فلا أحكم بكفره))[5].

فالرابط الموضوعيّ بين الخبرين هو قضيّة الحلاج وموقف بعضهم منه. فكِلا الخبرين قائمٌ على سؤالٍ وجواب, يقتربان مضموناً, إذ كانا في سياق الاستشهاد على منزلة الحلاج عند العلماء وموقفهم من مقتله, وإذ يكون المجيب نفسه في الخبرين وهو (ابن سُريج), فإنّ السائل في الخبر الأوّل (إبراهيم بن شيبان), وفي الثاني (الواسطي).

ويتخذ التركيب الخبريّ صورةً أُخرى في أخبار الشعراء, إذ يُبنى على وفق (نظام التكرار). فقد يُعاد الخبر بأكثر من رواية , فتُعاد أحداثه كلّياً أو جزئيّاً , فيُرافق ذلك اختلال سلسلة السند أو اختلافها, أو إعادة رواية المتن الخبري, وما يصاحب ذلك من مطابقة أو اختلاف تبعاً لوجهة نظر الراوي.

---

(1) – هو إبراهيم بن شيبان القرميسيني, أبو إسحاق الصوفي, شيخ الجبل في زمانه, صحب إبراهيم الخواص وغيره, ولُقِّبَ بالقرميسيني نسبة إلى مدينة قرميسين من جبال العراق مات سنة (330هـ)، يُنظر: الوافي بالوفيات, 16/6, وينظر: طبقات الأولياء, ابن الملقن سراج الدين الشافعي المصري (ت: 804هـ), تح: نور الدين شريبه, 31, مكتبة الخانجي، ط2, القاهرة – 1994م.

(2) – هو أحمد بن عمر بن سريج البغدادي، أبو العباس: فقيه الشافعية في عصره. مولده سنة (249هـ) ببغداد, ووفاته فيها سنة (306هـ), ينظر ترجمته في الوافي بالوفيات, 279/19, وينظر: الأعلام, 185/1.

(3) – غافر:28.

(4) – أبو بكر الواسطي, محمد بن موسى, من أصحاب الجُنيد, ومن علماء الصوفية المقدّمين, يُنظر: طبقات الصوفية, أبو عبد الرحمن السلمي (ت: 412هـ), تح: مصطفى عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت–1998م.

(5) – أخبار الحلاج, 92.

ومن أمثلته ما جاء في أخبار المجنون, قال بعضهم: ((لمّا ظهر من المجنون ما ظهر, ورأى قومه ما ابتلي به، اجتمعوا إلى أبيه وقالوا: يا هذا! قد ترى ما ابتُلي به ابنك، فلو خرجتَ به إلى مكةَ فعاذَ ببيتِ الله الحرام، وزارَ قبرَ رسولِ الله, صلى الله عليه وسلم، ودعا الله تعالى، رجونا أن يرجعَ عقلُه، ويعافيه الله. فخرج أبوه حتى أتى به مكة، فجعل يطوف به ويدعو الله، عزّ وجل، له بالعافية. وهو يقول[1]: (الطويل)

دَعا المُحرِمونَ اللهَ يَستَغفِرُونَـــهُ بمَكّـةَ، وَهناً، أن تُمَحَّى ذنوبُها [2]

وَنَاديْتُ أنْ يا رَبِّ أوّلُ سُؤلَتي[3] لِنَفسِيَ لَيلى ثـمّ أنتَ حَسِيبُـهَا

فـإنْ أُعطَ لَيلى في حيَاتي لا يَتُبْ إلى الله خَلـقٌ تَوْبَةً لا أتوبُهَـــا[4]

حتى إذا كان بمنًى نادى منادٍ من بعض تلك الخيام: يا ليلى، فخر قيسٌ مغشياً عليه، واجتمع الناس حوله، ونضحوا على وجهه الماء، وأبوه يبكي عند رأسه، ثم أفاق وهو يقول[5]: (الطويل)

وَداعٍ دَعا، إذْ نحنُ بالخيفِ من منًى فَهَيّجَ أشوَاقَ الفُؤادِ ولَـــمْ يَدْرِ

دَعَا باسْمِ لَيلى غَيرهـا، فَكَأنّمَـا أطَارَ بلَيلى طائراً كانَ في صَدرِي...))[6]

وقال بعضهم: ((خرجت حاجّاً حتى إذا كنت بمنًى وإذا جماعة على جبل من تلك الجبال ومعهم فتًى أبيض حسن الوجه وقد علاه الصفار, وبدنه ناحل, وهم يمسكونه, فسألتهم عنه,

---

[1] – يُنظر: ديوان مجنون ليلى, 5 .

[2] – في الديوان: بمكّة شعثاً كي تُمحّى..., يُنظر: 5.

[3] – وفي الديوان: وَنَاديْتُ يارحمن ! أوّلُ سُؤلَتي..., يُنظر: 5.

[4] – وفي الديوان: وإنْ أُعطَ لَيلى في حيَاتي لا يَتُب إلى الله عبدٌ تَوْبَةً لا أتوبُهَا
ينظر: ديوان مجنون ليلى , 5.

[5] – يُنظر: ديوان مجنون ليلى, 6.

[6] – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 33– 34.

فقالوا: هذا قيس الذي يقال له المجنون, فقلت لهم: فما لكم تمسكونه؟, قالوا نخاف أن يجني على نفسه جناية تتلفه. قال: وهو يقول: دعوني أتنسّم صبا نجد.

فقال لي بعضهم: ليس يعرفك, فلو شئت دنوت منه فأخبرته أنك من نجد وأخبرته عنها. قلت: نعم أفعل. فدنوت منه فقالوا له: يا قيس هذا رجل قدم من نجد. قال: فتنفس حتى ظننت أن كبده قد تصدّعت, ثم جعل يسألني عن موضعٍ موضع ووادٍ وادٍ, وأنا أخبره, وهو يبكي: ثم أنشأ يقول[1]: (الطويل)

ألا حبّذا نجدٌ وطيب ترابهِ وأرواحه إن كان نجد على العهدِ

ألا ليت شعري عن عوارضتي قنا[2] بطول الليالي هل تغيرتا بعدي

وعن جارتينا بالبَتيل[3] إلى الحمى على عهدنا أم لم تدوما على عهدِ

وعن أعلويّات الرياح[4] إذا جرت بريح الخزامى هل تهب إلى نجدِ

وعن أقحوان الرمل ما هو صانعٌ إذا هو أثرى ليلَهُ بثرَى جعدِ[5]

وإن هبّت الأرواح هيّجن ذكره فيا طول أحزاني عليه ويا وجدي))[6]

فالحدث الرئيس المُراد الإخبار عنه تمثّل بخروجهم بقيس صوب مكّة. وقد حضر في كلا الخبرين, مع اختلافهما في تفاصيل بعض الأحداث, تبعاً لوجهة نظر الراوي في كلّ منهما.

وقد يتّخذ التركيب الخبريّ صورة (الإجمال والتفصيل), فيُذكر الخبر مجملاً, ثمّ يُروى بصورةٍ أُخرى, تُفصّل بعض الأحداث, مُحافظةً على المضمون, ومُختلفةً في صياغتها اللغويّة.

---

[1] – ينظر: ديوان مجنون ليلى, 10, وفيه اختلاف في رواية الأبيات.

[2] – عوارض, وقنا جبلان لبني فزارة: ينظر: معجم البلدان, 164/4.

[3] – البتيل: جبل بنجد, ينظر: معجم البلدان, 336/1.

[4] – أعلويات الرياح: الرياح التي تهب من العالية وهو موضع بين نجد وتهامة, ينظر: معجم البلدان, 74/4.

[5] – بثرَى جعدِ: أي تراب ندٍ, ينظر العين, 219/1.

[6] – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر: 35–36.

ومن أمثلة ذلك ما رواه أبو هفّان المهزميّ من خبرٍ مسندٍ إلى جملة من الرواة حول ولادة أبي نواس, ووفاته ودفنه, وخبر أمّه وأبيه, كلُّ ذلك على نحوٍ من الإجمال, على مستوى السند, أو المتن الذي لم تكن أحداثه متسلسلة زمنيّاً[1]. ثم يُردف المهزمي هذا الخبر بآخر يُفصِّل بعض أحداثه, ويتعقّبُها زمنيّاً, يقول: ((سألت يوسف بن الداية عن مولد أبي نواس فأخبرني أن أبا نواس ولد سنة أربعين ومائة, وأنّ أباه توفي بعد ما أتت له عشر سنين, وأن أمه أسلمته في قطع العود الذي يتبخر به بالأهواز, وأنّه انتقل إلى البصرة وهو ابن اثنتي عشرة سنة فتأدب في مجالسها, وكان أكثر اختلافه إلى خلف الأحمر في تعلم النحو والشعر...))[2].

وقد يتجلّى التركيب الخبريّ على وفق تشكّلٍ بنائيٍّ منسجم قائم على التوليف بين الوحدات السرديّة المختلفة التي ينتظمها جامعٌ موضوعيّ, ذلك بأن يُروى خبران أو أكثر تحت عنوانٍ رئيس تُساق إزاءه الأخبار, فيكون ذلك العنوان الرئيس موضوعاً جامعاً لجملة من الأخبار مختلفة الأسانيد, متّحدة الموضوع.

من ذلك ما رواه الصوليّ تحت عنوان (ما رُويَ في صحّة دين أبان), فساق بهذا الصدد خبرين منفصلين, كان مسارهما حول الموضوع الرئيس, وهو صحّة دين أبان[3].

وقد تتراصف الوحدات السرديّة وتتعشّق فيما بينها, ومع ذلك تُحافظ كلُّ وحدةٍ على استقلاليّتها داخل التشكيل المركّب الذي ينزع صوب البناء الحكائيّ, إذ ترتبط الوحدات الخبريّة مع بعضها البعض ((برباط نسقي خاص, ويحيل السابق على اللاحق, وتضمن للتحوّل والتوالي نسقيّتهما ومنطقيّتهما))[4], ولكي تحافظ الحكاية على نسقيّتها البنائيّة, وانسيابها

---

[1] – يُنظر: أخبار أبي نواس, للمهزميّ,108.

[2] – م. ن, 109.

[3] – يُنظر: الأوراق– قسم أخبار الشعراء–, 39.

[4] – التوالد السردي: قراءة في بعض أنساق النص التراثي, سعيد جبّار, 18, جذور للنشر , ط1, الرباط – 2006.

التشكّليّ, فمن الملاحظ أنّ بعض الوحدات الخبريّة المستقلّة ضمن بنية الخبر المركّب قد تجنح إلى تقليص سلسلة السند الخبري, وربّما باشَرَنا المتن الخبري مرسلاً, على نحو ما أورده ابن زولاق في الخبر الخاص بسبب اختلاط سيبويه المصري, قال: ((واختُلِفَ في سبب اختلاط سيبويه , فأكثر الناس يقولون: إنّه شرب حَبّ البلاذر, وقيل إنّها سوداء بادت به, فكان أبوه وأمّه يحفظانه ولا يتركانه يتطرّق, وكان أبواه يسكنان يومئذٍ عند دور بني رسدين[1], فكان مقابل الدار بئر ماء معين, يستقي منه الجيران, فخرج أبوه يوماً يتصرّف في معيشته, وخرجت أمّه لحاجةٍ لها, وأغلقت على سيبويه الباب, وهاج فرمى بنفسه من الطاق, فوقع في البئر, فضبطه الماء, لولا ذلك لتكسّر ووقعت الصيحة))[2].

فقد تقلّص الإسناد الخبريّ في بعض الوحدات , فاكتفى الراوي بسندٍ مختزل (يقولون), أو (قيل), أو المباشرة بالحدث الخبريّ (كان).

وقد يتعالق الشعر في البناء التركيبي للخبر, على نحوٍ من المزاوجة بينهما, وفي الوقت الذي يُضفي فيه الشعر على الخبر مسحة فنّيّة, تُلوِّن وحدات بنائهِ وتمنحه بُعداً أدبيّاً, فإنّ مجيء الشعر في ضمن بنية الخبر قد ينهض بوظيفة الشاهد التعضيدي, الذي يؤكِّد نزعة المضمون الخبريّ. وهو اتّجاهٌ واسعٌ في كتب أخبار الشعراء.

إذ تبرز الوظيفة الاستشهاديّة في سياق بعض الأخبار حين يُحاول السارد إثبات صحّة خبره بإثبات المصدر الذي استقى منه ذلك الخبر[3].

من ذلك ما رواه ابن الجرّاح في خبر أبي دهمان[1], قال: ((بصري عربي، وكاتب له أشعار ملاح. أخبرنا أحمد بن أبي خيثمة، عن الزبير بن بكار عن ثابت بن الزبير بن حبيب، عن

---

[1] – لم أجدها, ولعلّها مصحفة عن (رشدين), نسبة لآل رشدين, ومنهم: أبو الحجاج رشدين بن سعد المهري، من أهل مصر, مات سنة (188هـ), ينظر: الأنساب,417/5.

[2] – أخبار سيبويه المصري,21.

[3] – يُنظر: الخبر في آثار ابن الجوزي (ت: 597هـ), تيشكو عثمان عارف, 29, أطروحة دكتوراه, جامعة السليمانية, كلية العلوم الإنسانية, قسم اللغة العربيّة,2015.

ابن أخت أبي خالد الحربي، قال: لما ضرب المهدي أبا العتاهية في تشبيبه بعتبة قال: أبو دُهمان: (المنسرح)

لولا الذي أحدثَ الخليفة في الـ عشاقِ من ضربهم إذا عشقوا

لبحتُ باسم الذي أحـــبُّ ولـــ كـني امرؤٌ قد نبا بي الفَرَقُ

أخافُ إن بُحتُ أنْ أُعاقب والـ قلبُ بطولِ الكتمان يحترقُ))[2]

فإذ يتحدّث ابن الجرّاح في الخبر الأول عن كون (ابي دُهمان) شاعراً له أشعارٌ ملاح, يُعضِّدُ ذلك الخبر بخبرٍ آخر قائمٍ على قطعةٍ شعريّةٍ تؤكِّد ملاحة شعر أبي دهمان, التي أنبأ عنها ابن الجرّاح. وبهذا النحو من التركيب نجد أنّ الشعر قد أصبح ((جزءاً من الحركة السرديّة))[3], بما يُشكّل وحدةً عضويّةً يصعبُ معها فصل الشعر عن النوع الذي التحم به[4]؛ وهو ما يكشفُ لنا عن خصوصيّةٍ أدبيّةٍ أُخرى حازت عليها (أخبار الشعراء) ووُسِمت بها, فنرى – مثلاً– أنّ الكثير من أخبار أبي نواس, ومجنون ليلى قد تمازجت مع الأشعار الواردة إزائها, فكأنّ ((هذه الأخبار التي يؤتى بها خدمةً للشعر, وكشفاً لخوافيه؛ لا يستقيم أمرها إلّا بأشعار أخرى تُدرج فيها))[5], ولِذا نجدُ أنّ أبا بكرٍ الوالبي قد روى أخبار المجنون في ديوانه متعاشقةً مع أشعاره لصعوبة فصلها, فهي تحكي مواقف تلك الأشعار ومناسباتها, وتُفسّر جوانب كثيرة من تلك الأشعار, ولو فصلَ الأخبار عن أشعارها, لَضاع كثيرٌ من مَلاحتها الأدبيّة, وهو ما يُفسّر لنا عدم اعتماد الوالبي ترتيب الديوان على وفق قوافيه, ويدحض ترجيح بعضهم القائل بأنّ الوالبي لم يعمد إلى ترتيب قوافي الديوان لأنّه ((جمعه من خلال ما توفّر

---

(1) – أَبُو دهمان مُحَمَّد بن أبي الأسود , بصريّ عربيّ تقلد سَابُور من كور فارس, يُنظر : الوافي بالوفيات, 162/2.

(2) – الورقة, 66–67.

(3) – الخبر في الأدب العربي, 548.

(4) – يُنظر: آليات بناء الخبر في السرد العربي القديم – دراسة في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة– , بهاء عناد حميد الغزّي,79, رسالة ماجستير, جامعة البصرة, كلية التربيّة, 2012م.

(3) – الخبر في الأدب العربي,544.

لديه من معلومات وروايات,...أوردها في كتابه حسب وصولها إليه في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجري))[1].

وقد تسهم تعليقات بعض الرواة التي تتخلّل الأخبار في إعطاء الخبر طابعاً تركيبيّاً, يعمل على الربط بين الوحدات الخبريّة, ومن ذلك ما جاء في (أخبار السيد الحميريّ), إذ يورد المرزباني خبراً مفاده أنّ السيد كان كيسانيّاً ((يذهب إلى أنّ محمّد بن الحنفيّة – رضي الله عنه – هو الإمام القائم المهدي))[2]., ثمّ يُعلّق عليه بقوله: ((ومن زعم أنّ السيد أقام على الكيسانيّة فهو بذلك كاذبٌ عليه, طاعنٌ فيه , ومن أوضح ما دلّ على بطلان ذلك دعاء الصادق – عليه السلام– وثناؤه عليه))[3], ثُم يُردِفُ هذا التعليق بخبرٍ مفادهُ: أنّه قيل لأبي عبد الله جفر الصادق –ع– , وقد ذُكِرَ عنده السيّد, بأنّه ينال من الشراب, فقال –ع– : ((إن كان السيّد زلّت به قدم فقد ثبّت له أُخرى))[4]. ثمّ يواليه بخبرٍ آخر في السياق نفسه.

ومما سبق يتّضح أنّ التشكّل البنائيّ للخبر كان على صورتين, إحداهما: الخبر المفرد, والأخرى: الخبر المركّب. فكان الخبر المفرد وحدة دلاليّة قائمة بذاتها على المستوى السرديّ, قد يقوم على الإيجاز والقصر, وهو اتجاهٌ واسع في كتب أخبار الشعراء. ومن صوره أن يقوم على حدثٍ رئيس تتمحور حوله جملة من الأحداث. وقد تأخذ الشخصيّة الرئيسة بزمام الأحداث داخل بنية الخبر, أو قد تنزوي الشخصيّة الرئيسة التي يُساق بصددها الخبر, وتأخذ الشخصيّة الثانويّة بزمام الأحداث داخل بنية الخبر. كما أنّ وجازة الخبر المفرد أحياناً سمحت لهُ بأنْ يتضمّن المفارقة, أو النادرة, أو الموقف المثير, أو المقولات القصيرة المتضمّنة لمعانيَ حِكَميّة.

---

(4) – يُنظر: ديوان مجنون ليلى, بجمع الوالبي, الصفحة (ط) من المقدمة الثانية, نشر مكتبة الآداب, القاهرة –1988.

(2) – أخبار السيد الحميري: 39–40.

(3) – م. ن, 41.

(4) – م. ن, 41.

وقد تبيّن ممّا سبق أنّ الخبر المركّب يقوم على تضافر عِدّة لحظاتٍ سرديّة يجمعها جامعٌ ما, كوحدة الشخصيّة, أو تقارب المضامين, ونحو ذلك؛ ولذا يتشكّل الخبر تركيبيّاً على وفق نظمٍ معيّنة, كالتتابع, والتداخل, والتكرار, كلّ ذلك قد يُعطي للخبر المركّب طابعاً حكائيّاً, ناشئاً عن تراكميّة الوحدات السرديّة البسيطة في ضمن السياق المخصوص للخبر.

المبحث الثاني: التشكّل الفنيّ

يتشكّل البناء الفنّي للخبر على وفق مستويين هما: الواقعيّ/ المألوف, وغير الواقعي/غير المألوف. وقد كانت الواقعيّة من سمات الأدب العربي القديم بمختلف فنونه, وكثيراً ما تتعالق في التراث ثنائيّة الواقعي/ غير الواقعي بثنائيّة أُخرى هي الحقيقي/ غير الحقيقي المستندة إلى ثنائيّة أخرى هي الصدق/ الكذِب[1].

وإذ يُخالط الأخبار ما يخالط غيرها من المرويّات, فتنزع صوب مخالفة المألوف, أو الإغراق في المبالغات؛ فإنّ المعيار المعتمد في تصنيفها فنّيّاً هو العقل, إذ تضمحلّ الواقعيّة في الأوساط التي يغيب أو يُغيّب فيها سلطان العقل[2].

إنّ تناقل الأخبار عبر الزمن يسمح لبعضها بالانزياح من دائرة الواقع المألوف إلى دائرة غير المألوف, الذي يتّخذُ سمتاً عجائبيّاً, أو مؤسطراً. وذلك التناقل الخبري الذي يتواتر عليه الرواة قد يسمح بتزييف بعض الأخبار وتحريفها, بقصد إضفاء الطابع الفنّي عليها, لِيُضمن لها الانتشار بين الأوساط الشعبيّة, فتظهر براعة الراوي الصانع للخبر الأسطوري أو الخرافي, حينما يجعل الخبر على صلة بالواقع, ويجعل له سنداً؛ حتّى يوهم القارئ أو السامع بصحّة ما يقول, وأنّه وقائع تاريخيّة, ولكنّ هذا الواقع الذي يكوّن ركن الخبر ليس له واقع الحياة اليوميّة, أو أنّه ذو أصلٍ تاريخي فعلاً, لكنّ عمليات الحذف والإضافة قد أخذت مأخذها منه[3].

ومع أنّ الخبر غير الواقعي شائعٌ في التراث العربيّ, فإنّه ازدهر أيّام بني العبّاس لاسيما أيّام المقتدر؛ إذ كانت الأسمار والخرافات مرغوباً فيها ومشتهاة, فصنّفَ الورّاقون في ذلك وكذّبوا[4].

---

(1) – يُنظر: الأشكال النثريّة القصيرة في عيون الأخبار, 100.

(2) – يُنظر: الخبر في الأدب العربي,603.

(3) – يُنظر: الحكاية في التراث العربي, 51, يوسف الشاروني, المجلس الأعلى للثقافة, ط1, مصر– 2008م.

(4) – الفِهرست, 363.

وظلت هذه الأخبار والقصص المجانبة للواقع منتشرةً رائجة في الأوساط الشعبيّة إلى يومنا هذا, غير أنّ النظرة الاجتماعيّة للقصّاصين كانت إلى وقتٍ قريب؛ نظرةَ ازدراءٍ لِما عُرِفَ عن القصّاصين من تزييف الحكايات وتهويلها, وربّما ابتكارها؛ ولذا كان محمد حسين هيكل يتنكّر لرواية (زينب), حتّى أنّه أصدرها ابتداءً بقلم (مصري فلّاح)؛ لِنظرة المجتمع للروائي/القصاص وقتها, وهو ما يضرّ بمهنته بكونه محامياً حينئذٍ, ومثل ذلك جرى للمويلحي في (حديث عيسى بن هشام) حيث التنكّر الاجتماعي لفعلته[1].

وقد يتجلّى المحكي العجائبيّ في السرد العربيّ في عدّة أشكال, منها ارتباطه بالماضي, أو الكرامات أو المعجزات, أو اعتماده الأحلام والرؤى سبيلاً للبناء الفنّي[2].

ولمّا كان القبول العقليّ معياراً للحكم على واقعيّة الأخبار من عدمها, فإنّه يمكن لنا النظر في تشكّل الأخبار وبنائها الفنّي على وفق ثنائيّة الواقعي المألوف, وغير الواقعي غير المألوف, تلك الثنائيّة التي هيمنت على مجمل المسرود الخبري القديم.

ثانياً: الخبر غير الواقعي/ غير المألوف

اتّفقت عوامل عدّة على إكساب الخبر صفةً غير واقعيّة, فخرجت بعض الأخبار عن مألوفيّة الواقع, وحلّقت في سماء الغرابة والعجائبيّة.

1- السرديّة العربيّة الحديثة, الأبنية السردية والدلالية, 41, د.عبد الله إبراهيم, المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر, ط1, بيروت- 2013م.

[2] - تحوّلات السرد العجائبي في الخطاب القصصيّ العربيّ المعاصر, أبو المعاطي خيري الرمادي, 135, بحث منشور في ضمن إصدارات (وحدة السرديّات) في جامعة الملك سعود بعنوان: (التشكّل والمعنى في الخطاب السردي), مؤسّسة الانتشار العربي, ط1, بيروت- 2013م.

ولعلّ تناقل بعض الأخبار عبر الرواة المتعاقبين زمنيّاً؛ سمح بخروج الأخبار عن واقعيّتها المألوفة, فيما تتعرّض بعض الأخبار للتزييف المتعمّد رغبةً في المؤانسة[1], وإضفاء مسحةٍ فنّيّةٍ إمتاعيّة, فيُضيف الرواة على الأخبار مزيداً من الأحداث والمبالغات التي من شأنها أن تؤسطر الخبر.

وقد يُسهِمُ التثاقف الأُممي في نموّ بذور الأخبار غير الواقعيّة وانتشارها في عموم الثقافة الاجتماعيّة, ((إذ داخلت القصص التاريخي أساطير وافدة من جرّاءِ الاختلاط الشديد بين الشعوب والمِلل التي انضوت تحت لواء الدولة الإسلاميّة, وكانت الثقافة الفارسيّة خصوصاً الجسر الثقافي الذي عبرت عنه هذهِ المؤثِّرات الأجنبيّة إلى الثقافة العربيّة))[2].

وقد وفدَ إلى أدبِنا العربي في بدايات تدوينه والتأليف فيه من الخرافات والمرويّات الغريبة ما يصعب تصديقه[3] , وكان قسم من هذه المرويّات مسيحيّ الأصول, أو يهوديّاً؛ لحضور هاتين الديانتين في العالم العربيّ حينها[4]. وكان كعب الأحبار– وهو عالِم يهوديّ كبير من اليمن– مرجعاً لأخبار ما قبل الإسلام, وأخذ عنه الكثير من الرواة أخبار الجاهليّة, فراجَ في غضون هذا ما عُرِفَ بالروايات الإسرائيليّة ذات الملامح التوراتيّة[5].

ولمّا كان وجود الأساطير والخرافات ذا منشأ ديني, وُجِدَ لِتفسير نواميس الوجود والطبيعة , فإنّ مجيء القرآن الكريم, وتطوّر العِلم في مختلف مجالاتهِ وموضوعاته, قد أسهما في الإجابة عن هذهِ الأسئلة الوجوديّة[6], وهو ما مهّد للناس الانصراف عن هذه الخرافات والأساطير. بيد أنّه انصرافٌ على مستوى الجانب الدينيّ, وما يتعلّق بأصل الكون, والأسئلة الوجوديّة, وبقت

---

(1)– يُنظر: الجانب الأسطوري في أخبار شعراء المعلّقات, 43.

(2) – الفن القصصي في النثر العربي حتّى مطلع القرن الخامس الهجريّ,49.

(3) – يُنظر: السرد العربي القديم – الأنواع والوظائف والبنيات – ,49.

(4) – يُنظر: م. ن, 49.

(5) – يُنظر: السرد والتاريخ الأسطوري في السيرة الشعبيّة, د. قيس كاظم الجنابي, 15, دار الشؤون الثقافيّة العامّة, ط1, بغداد–2016م.

(6) – يُنظر: أنماط الشخصيّة المؤسطرة في القصّة العراقيّة الحديثة, د.فرج ياسين, 31–32, دار الشؤون الثقافية العامّة, ط1, بغداد–2010م.

تلك الخرافة والأُسطورة حاضرة على سبيل الترفيه والتسلية والتربية والتعليم, والعِلم بأخبار السالفين وأحوالهم[1], وكلّ ما يُحقّقُ المتعة الأدبيّة في هذا النوع السرديّ, وربّما أسهم الجهل والفقر الثقافي في استمرار هذه الظواهر الفنّيّة ذات المضمون الخرافي والأسطوريّ.

غير أنّ هناك من يرى أنّ الشروط الإنسانيّة والتدخلات الاجتماعيّة والعلاقات اليوميّة التي كانت موجودة عند البدائيّين خالقي الأسطورة؛ مازالت موجودة بتنويعاتٍ مختلفة؛ وهو ما يُسوّغ ظهور الأسطورة من جديد بطرقٍ وأساليبَ تتناسب والحياة الجديدة, فهي متواجدة في البيئة الثقافيّة لكلّ عصرٍ من عصور التاريخ, وصولاً إلى عصرنا الحاضر الذي يشهد الآن أساطير جديدة: سياسيّة, وتكنلوجيّة, وأدبيّة, وغير ذلك[2].

إنّ هذه الأساطير ما هي إلّا تعبيرٌ عن طفولة المجتمع, وبها قد تُعرَف معتقدات الناس, وطبائع تفكيرهم, وحضاراتهم, وتاريخهم, ومستوى الإدراك الفكري والعقلي الذي كانوا عليه[3].

وتتمثّل الصورة غير الواقعيّة في السرد العربي القديم بأشكالٍ منها: الخرافة, والأسطورة, والعجيب, والغريب, ونحوها. ويرى بعض علماء الطبيعة والفلك أنّ الحكاية الخرافيّة محاكاة للظواهر الطبيعيّة أو الجوّيّة أو لفصول السنة أو لأسماء الأفلاك, كما أنّ موضوعات الحكاية الخرافيّة تصدر عن تصوّرات دينيّة, أو بقايا طقوسٍ قديمة[4].

وعلى الرغم من تأدية الخرافة والأسطورة لمعنى الحكاية المكذوبة غير الواقعيّة التي تسرِدُ حوادثَ خياليّة تتجاوز حدود المنطق والقدرات العقليّة البشريّة[5], إلّا أنّ بينهما فروقاً لعلّ منها: أنّ الخرافة تتّسمُ بالإغراق في الخيال, وبعدها عن الواقع, ولكن لها أصلاً في الحياة

---

(1) – يُنظر: السرد العربي القديم – الأنواع والوظائف والبنيات – ,50.

(1)– يُنظر: أنماط الشخصيّة المؤسطرة في القصّة العراقيّة الحديثة, 32–33.

(3) – سرديّة الخبر العجائبيّ, دراسة في كتاب أخبار الزمان للمسعوديّ, 64, أحمد قاسم حميد, رسالة ماجستير, جامعة البصرة, كلّيّة التربية, 2011م

(4)– يُنظر: الحكاية الخرافية, فردريش فون ديرلاين, ترجمة: د. نبيلة إبراهيم, 67–68, دار القلم, ط4, مصر– 1973م.

(5) – يُنظر: السرد العربي القديم – الانواع و الوظائف والبنيات – ,47.

ضُخِّمَ وبُولِغَ فيه, وهي خالية من طابع الجدّ والقداسة الذي يطبع الأُسطورة. في حين نجد أنّ التفكير الأسطوريّ هو تفكير العصور التي لا يظهر فيها العِلم, فتكون الأُسطورة الوسيلة الوحيدة لتفسير الظواهر[1].

والخرافات قائمةٌ على الأباطيل المستملحة, وهي في عُرفِ من يرويها محض خيالٍ وأوهام. أمّا الأساطير فقائمة على خطاب الجدّ والحقيقة, ولِذا فهي محلّ اعتقاد[2].

والأُسطورة في جوهرها قصّة تعليليّة, لتفسير ظواهر طبيعيّة أو أصل نشأة لشيءٍ ما[3], وهي حكاية ملآى بالمبالغات والخوارق, إذ تتحرّك شخصيّاتها بين مستوى الواقع والمستوى الخيالي[4].

وإذا عُرِّفت الخرافة اصطلاحاً بأنّها ((صورة من صور الوعي البدائي للوجود, يُعبّر فيها الشعب عن هويّته))[5], فإنّها في معجمات اللغة ((حديثٌ مستملحٌ كذِب))[6].

فيما تُعرّف الأساطير اصطلاحاً أنّها ((سردٌ تقليدي يرتبط عادةً بالمعتقد الدينيّ, والطقوس الدينيّة, يُعبِّرُ عن مظهرٍ نموذجي للكيفيّة التي تكون عليها الأشياء ويبرِّرُها))[7], وهي في اللغة: الأباطيل والأكاذيب[8].

---

(1) – يُنظر: الجانب الأسطوري في أخبار شعراء المعلّقات,36.

(2) – يُنظر: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها, 65/2, ويُنظر: الفن القصصي حتّى مطلع القرن الخامس الهجري,29-30.

(3) – يُنظر: موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها, 63/2.

(4) – يُنظر: دور الأسطورة الدينيّة في بناء النظام الاجتماعي, فضيلة الكبير, 67, رسالة ماجستير, الجمهوريّة الجزائريّة, جامعة الحاج خضر – باتنة , كليّة العلوم الإسلاميّة , 2009.

(5) – يُنظر: الفن القصصي في النثر العربي حتّى مطلع القرن الخامس الهجريّ,36.

(6) – تاج العروس, 252/4.

(7) – قاموس السرديّات, جيرالد برنس, ترجمة: السيد إمام.117, ميريت للنشر والمعلومات, ط1, القاهرة – 2003 .

(8) – يُنظر: معجم مقاييس اللغة, 72/3, وتاج العروس, 252/4.

وليس للأسطورة من تعريفٍ مرضٍ؛ نظراً لكون الأساطير تؤدّي أغراضاً مختلفة كثيرة, وكان غرضها الأوّل تفسير ما هو غير قابل للتفسير, فكانت الأساطير تسويغات لغوامض الحياة[1], ((والوظيفة الثانية للأسطورة هي تبرير نظام اجتماعي قائم , وتفسير طقوسه وتقاليده))[2].

والقواميس الحديثة لا تكاد تُفرّق – لغةً واصطلاحاً– بين الخرافة والأسطورة, فهما مترادفتان في كثيرٍ من الحالات[3]. إذ جُعِلَت الخرافة عِوضاً عمّا يقصدون من أساطير, فرَووا قصصاً خرافيّة تشتمل على المضامين الأسطوريّة, ودأب العامّة على إطلاق لفظ الخرافة والأسطورة على كلّ قصّة خياليّة لا يقبلها العقل, فيُقال (خرافي) ويُقصد به أسطوريّ[4].

ونجد العجائبيّة مظهراً آخر من مظاهر تكوين الصورة غير المألوفة/ غير الواقعيّة في الأدب القديم, إذ ((تتّسِم ببعض ما تتّسِم به الخرافة من إغراق في الخيال يُبعدها عن الواقع, إلّا أنّ لها أصلاً في الحقيقة الموضوعيّة ضُخِّمَ وبُولِغ فيه, وعمل الخيال البشريّ الخلّاق عمله, غير أنّه خالٍ من طابع الجدّ والقداسة الذي تتّسم به الأسطورة))[5].

وقد تُبنى العجائبيّة على الدهشة والمفارقة, فهي ((عنصرٌ يتطوّر ليصبح رؤية تمتطي المفارقة والتناقض, وهتك الواقع الحقيقيّ بما هو فوق طبيعيّ، لِتمرير خطاب معيّن, ووظيفة الحواس كأدوات إدراك, لا يمكن أن تُدرِك ما هو خارج محيطها, فهي لا تُدرك ما هو فوق الطبيعي, ولا تتصوّر غير الواقعيّ, ومن ثمّة لا تتوفّر على معرفة تفسير أيّ حدثٍ فوق طبيعي, ومن هنا تتولّد الحيرة والتردّد والاندهاش))[6].

---

(1) – يُنظر: الأسطورة والنظريّات الميثولوجيّة في الغرب, ترجمة: عادل عامل,6, دار المأمون للترجمة والنشر, ط1, بغداد–2005م.

(2) – م. ن, 8.

(3) – يُنظر: السرد العربي القديم – الانواع و الوظائف والبنيات– , 45.

(4) – يُنظر: الجانب الأسطوري في أخبار شعراء المعلّقات,37.

(5) – موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها , 65/2.

(6) – سرديّة الخبر العجائبي, دراسة في كتاب أخبار الزمان للمسعودي,23.

ولا يخرج العجيب في المعجمات الفرنسيّة عن إحدى دلالتين, الأولى: ما بعُدَ عن العادي المألوف فبدا معجزاً, فوق الطبيعيّ. والثانية: تدخّل وسائط وأشخاص فوق طبيعيّين في الآثار الأدبيّة[1].

وقد تكون الغرابة مظهراً آخر من مظاهر الخروج عن المألوف في السرد القديم. إذ الغريب ((كلّ ما يأتي من منطقة خارج منطقة الألفة ويسترعي النظر بوجوده خارج مقرّه))[2].

وعلى الرغم من اشتراك الخبر الغريب والعجيب في الخروج عن مألوفيّة الواقع وقرارته, الّا أنّ الخبر الغريب ما كان وقوع أحداثه خارجاً عن العادة والحقيقة, إذ يفوق التجربة, ويمكنه أن يتحقّق في العالم الواقعيّ بوجود أشياء تبرّر واقعيّته, وتكون في اعتقاد المتلقّي حقيقة, وتُفسّر عن طريق قوانين العقل, فيما نجد أنّ الخبر العجيب ما كان معناه يتجاوز التجربة ويفوقها, وذلك برصد أحداث في العوالم المتخيَّلة من خلال ذكر بعض أوصاف الكائنات الخارقة للعادة, كالجنّ, والشبح, والشيطان, ونحوها[3].

وبغضّ النظر عن التداخل الحاصل في المفاهيم الحدّيّة بين الخرافات والأساطير, أو بين الغريب والعجيب, فإنّنا سننظر إلى طبيعة التشكّل الفنّي للخبر في كتب (أخبار الشعراء) بمقدار مطابقته للواقع المألوف, أو مخالفته إيّاه .

وعلى هذا فقد تجسّد الخبر غير الواقعيّ/ غير المألوف بصورٍ متعدّدة, كان منها: المفارقة القائمة على الجمع بين نقيضين على نحو ما نجده في أخبار أبي نواس. وقد يتحقّق الطابع غير المألوف في الأخبار بصورة أخرى هي الرؤيا المناميّة, التي

---

(1) – يُنظر: العجائبيّة في أدب الرحلات, رحلة ابن فضلان, إنموذجاً, علاوي الخامسة,32, رسالة ماجستير, الجمهوريّة الجزائريّة جامعة منتوري– قسطنطينيّة,2005م.

(2) – الأدب والغرابة, 60.

(3) – يُنظر: السرد العربي القديم– الأنواع والوظائف والبنيات– , 28.

تُخبر عن أمور غير حاصلة في الواقع الملموس, فهي نبوءة تحصل للصالحين في الغالب. والكرامات الصوفيّة, وما يرافقها من خرق لقوانين الطبيعة, قد تمثّل صورةً أخرى من الصور غير الواقعيّة في الخبر – كما يلحظ ذلك في أخبار الحلّاج– تلك الكرامات التي واجهت معارضةً كبيرة من الأوساط الصوفيّة والفقهيّة والسياسيّة؛ إذ قدّمَ الحلّاج ((كراماتهِ على أنّها معجزات, إي أفعال مباشرة من الله, وإشارات عن مهمّةٍ إلهيّة للعالمين كما كان أمر الأنبياء, وليس ككراماتٍ عاديّة, كمنٍ خاصّة يمنحها الله في هدوءٍ إلى أوليائهِ))[1]؛ ومن هنا تتشكّل لامألوفيّة تلك الكرامات الخارقة.

ولعلّ مردّ العجائبيّة والغرائبيّة غير المألوفة في أخبار الحلاج يرجع إلى إسراف خصوم الحلّاج العبّاسيّين في اضطهاده وتعذيبه الجنونيّ, وهو ما أنشب ردّة فعلٍ لدى أنصارهِ, فأسرفوا في حبّه وتقديسه, والحديث عن أسرارهِ ونفحاتهِ وعجائبه, حتّى انطلق الخيال الأسطوريّ التاريخي, يؤنّق هذهِ الصورة العجيبة المتناقضة, ويُريق عليها مزيداً من الجمال , ومزيداً من الغموض[2].

كما أنّ التعتيم الذي شهدته مأساة الحلّاج وسيرته من القاصي والداني عبر التاريخ, سمح بأنْ تُزيّف تلك المأساة تزييفاً فنّيّاً رائعاً, فتقنّعت أحداثها بالغموض, واشتبكت صورها بالأهواء, وتضاربت فيها الأقوال, وامتلأت آفاقها بالأساطير والخيال[3], ففي أعقاب مقتل الحلّاج وصلبه وحرقه, وما رافق ذلك من مأساة تعاطف معها البغداديّون, وكادت أن تشيع الفتنة؛ ((انطلق خيال بغداد, ليُضفي على البطل الشهيد نسيجاً أسطوريّاً من أنسجة القداسة

---

(1) – آلام الحلّاج, لويس ماسينون, ترجمة: الحسين مصطفى حلّاج, 268, قَدمُس للنشر والتوزيع, ط1, دمشق– 2004م.

(2) – يُنظر: الحسين بن منصور, شهيد التصوّف الإسلاميّ, 6.

(3) – يُنظر: م. ن: 11.

والخلود))[1]. كذلك فإنّ الحلّاج قد غادر شخصيّته الواقعيّة في غضون السنين المتوالية، واستقرّ في الخيال الجمعي شخصاً لا يُشبه حتماً ذلك الشخص الواقعي الذي عُلِّقَ مصلوباً على الجسر في بغداد؛ بعد محاكمةٍ أثبتت صدقها وسلامتها- من وجهة نظر المعايير الإسلاميّة التي افتُرِضتْ- فلم تعد صورة الحلّاج التي وصلت هي نفس تلك الصورة الأصيلة, بعد أن أنتجَ البعد الزمني نُسخاً عديدة له, قد لا تُشبِه إحداها الأُخرى[2].

ولم تخلُ أخبار المجنون من العجائبيّة والغرائبيّة, التي رافقت بعض أحداثها, نتيجةً لما اعترى تلك الأخبار من مبالغات مسرفة في الإحالة والابتعاد عن الواقع المألوف, فتعاضد الرواة, والتناقل الشعبيّ لهذه الأخبار, على إكسابها طابعاً غير مألوفٍ.

وفي الوقت الذي انغلقت فيه بعض كتب أخبار الشعراء على الواقعيّة في سردها الخبريّ, فإنّ كتباً أخباريّة أخرى قد ضمّت في طيّات مسرودها الخبريّ أخباراً تتباين في درجة مجانبتها للمألوف الواقعيّ بين أخبارٍ أسرفت في عجائبيّتها وغرائبيّتها, وبين أخبارٍ ظلّت في حدود المبالغات القائمة على تضخيم الأخبار الواقعيّة والتزيّد عليها.

وساعدت عوامل عدّة على تكوين الصورة غير المألوفة في الأخبار, كان منها:

- **المفارقات:**

وهي من العوامل التي أسهمت في تكوين الصورة غير المألوفة في الأخبار, إذ رصدت لنا بعض الأخبار صوراً من المفارقات السلوكيّة القائمة على الجمع بين النقيضين في الوقت نفسه. وإذ تقوم المفارقة في هذا النوع على التضادّ والتناقض السلوكيّ بين الفعلين, فإنّها تُبنى ((على أساس التعارض بين موقف الضحيّة أو مفهومها للأشياء أو مسلكها, وهو عادةً [موقف] غريبٌ و خاطئ ومثار انتقاد, وما يجب أن يكون عليه الأمر. وكلّما بَعُدَ الدافع الظاهريّ المحرّك لموقف الضحيّة وسلوكها عن حقيقة الأمر ومداره, اشتدّ التعارض وشذّت

[1] – م. ن, 197.

[4] – أنماط الشخصية المؤسطرة في القصّة العراقية الحديثة, 73.

المفارقة. إنّنا إذا رأينا أنّ الضحيّة أو إحدى الشخصيّات, تسلك سلوكاً شنيعاً, ثمّ تدّعي أنّها شخصيّة نبيلة, فإنّ التناقض بين الفعل والقول أو السلوك, وبين التشخيص الفعليّ, يُشير إلى مفارقة))[1].

والمفارقة – بعد ذلك – بنيةٌ تصويريّةٌ متنوّعةُ التجلّيات, ومتميّزةُ العدول على المستويات الإيقاعيّة والدلاليّة والتركيبيّة, وتستعمل بوصفها أسلوباً تقنيّاً, ووسيلةً أُسلوبيّة تمنح المتلقّي لذّةً أدبيّةً [2].

ومن أمثلتها ما جاء في (أخبار أبي نواس) للمهزمي, إذ يُذكر أنّ أبا نوّاس كان مواظباً على صلاته , على الرغم من مواظبته على سكره[3]!. وهي مفارقةٌ قائمة على تناقض السلوك الشخصيّ, إذ تجمع بين النقيضين في الوقت نفسه, وتكشف عن محاولة بعض الرواة تزيين صورة أبي نواس السلوكيّة.

ومن تلك المفارقات السلوكيّة ما نراه حاضراً في (أخبار الحلّاج). إذ يروي ابن الحدّاد المصريّ[4] أنّه خرج في ليلةٍ مقمرة فرأى الحلّاج يُصلّي مستقبلاً القبلة, يدعو الله ويبكي, وعندما أحسّ الحلّاج بوجود ابن الحدّاد ضحك في وجهه, وتحاورا في بعض مقامات الصوفيّة وتجادلا. بعدها يقول ابن الحداد: زعق الحلّاج ((ثلاث زعقاتٍ, وسقط وسال الدم من حلقه. وأشار إليّ بكفّه أنِ اذهب فذهبت وتركته...))[5].

فالمفارقة السلوكيّة تجسّدت في لحظتين سلوكيّتين, الأولى تمثّلت بضحك الحلاج في وجه ابن الحداد, بعد أن كان يُصلّي ويبكي. والأُخرى تمثّلت بزعقات الحّلاج الثلاث, وسقوطهِ والدم يسيل من فمه, بعد أن كان يتحدّث ويُجادل في مقامات العارفين. وعليه فإنّ التناقض

---

(1) – المفارقة القرآنيّة, دراسة في بنية الدلالة, د. محمّد العبد,113, مكتبة الآداب,ط2, القاهرة–2006.

(2)– المفارقة في شعر الروّاد, د. قيس الخفاجي, 63, ط1, دار الأرقم للطباعة والنشر, بابل–2007م.

(3) – أخبار أبي نواس, المهزمي, 76–78.

(4) – سبقت ترجمته.

(5) أخبار الحلاج, 67–68.

بين الأفعال السلوكيّة للحلاج, الذي ارتكزت عليه المفارقة يأخذُ طابعاً لا مألوفاً مثيراً للدهشةِ والاستغراب.

ومن المفارقات التي تشكِّل المشهد غير المألوف, ما يمكن أن نسمّيه بالمفارقة الموقفيّة[1]. تلك المفارقة التي تتجسّد في موقفٍ معيّن بين الذات والموضوع والبيئة المحيطة به من شخوص, في زمان ومكان معيّنين, وهي تقوم في الأساس على حدثٍ ما[2], تُبنى عليه المفارقة.

ومن أمثلتها ما جاء في خبر اجتماع أبي نواس بوالبة, إذ يُذكر أنّ أبا نواس لمّا قصد والبة بن الحُباب[3], واستأذن بالدخول عليه ((فأذنت له جارية لوالبة، فدخل فإذا بوالبة نائم سكران فقال للجارية: أعندك ما يؤكل ويشرب؟ قالت: نعم، قال: هاتيه، فجاءته بطعام فأكل، وجاءته بشراب, فلم يزل يشرب ويغني حتى نام مكانه. وانتبه والبة فقال: من هذا الرجل النائم؟ فأخبرته الجارية خبره فقال: هاتي لنا طعاماً فأكل، ولم يزل يشرب وأبو نواس نائم حتى نام والبة، وانتبه أبو نواس فسأل عنه وعمّا كان من خبره فأخبرته الجارية فقال: هاتي طعامك. ولم يزل يشرب ووالبة نائم حتى نام أبو نواس. ثم انتبه والبة فسأل عن خبره فأخبرته، فقال: هاتي طعامك فأكل ولم يزل يشرب وأبو نواس نائم حتى نام والبة، وانتبه أبو نواس كذلك. ولم يزل كل واحد منهما على هذه الحال سبعة أيام لا يلتقيان وهما في مجلس واحد...))[4].

---

(1) – يُنظر: بناء المفارقة, دراسة تطبيقيّة في أدب ابن زيدون نموذجاً, د.أحمد عادل المولى, 133, مكتبة الآداب, ط1, القاهرة– 2009.

(2) – يُنظر: م. ن, 133–137.

(3) – وهو والبة بن الحباب, أَبُو أسامة الشاعر, من بني نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر، وهو كوفي، وكان من الفتيان الخلعاء المجان، وله شعر في الغزل والشراب وغير ذلك، ولما مات رثاه أَبُو نواس، وكان والبة أستاذه. ينظر: تاريخ بغداد, 676/15.

(4) – أخبار أبي نواس , المهزمي, 11–12.

فالمفارقة تكمن في عدم التقائهما على الرغم من كونهما في المجلس نفسه لمدّة سبعة أيّام, وهذا ما أعطى الفعل الحدثي طابعاً غيرَ مألوفٍ مثيراً للدهشة والغرابة. وكان التناوب الحاصل بين موقفي أبي نواس و والبة على مستوى الفعل الحدثي عماداً لهذهِ المفارقة الموقفيّة.

ونُلفي المفارقة في بعض أخبار أبي نواس تتّخِذُ لبوساً آخر, ما يمكن أن يُصطلح عليها (مفارقة المفهوم أو التصوّر)[1]. وهي مبنيّة على التّضاد بين المفاهيم, ((وتبدو الغاية من عرض المفاهيم والتصوّرات هنا بطريقة المفارقة, هي النقد الأخلاقي التهذيبي))[2].

ومثال ذلك ما جاء في خبر إنشاد أبي نواس بيتاً من الشعر لذي الرُّمّة, والردّ عليه ممّن لا يُرى شخصُه. قال ابن منظور: ((قال بعضهم: صار إليّ الحسن بن هانئ في ليلة من الليالي, وهو مرعوب, فنزع ما كان عليه من الثياب, وأخذ قميصاً وسراويل, وأراد أمراً يُتأتّى, ثمّ تطهّر ولبسها, وما زال يصلي باقي ليلته إلى الصبح , ثم أصبح صائماً, فسألتُه عن السبب في ذلك, فقال: كنت منصرفاً من بعض المواخير[3], فاجتزت من مقبرةٍ, فبينا أنا ماشٍ فيها إذ أنشدتُ قول ذي الرُّمة[4]: (البسيط)

---

(1) – المفارقة القرآنيّة, دراسة في بنية الدلالة,121.

(2) – م. ن , 121.

(3) – المواخير: جمع ماخور, وهو مجلس الريبة, والمواخير بيوت الخمّارين عند أهل العراق, يُنظر: كتاب العين , 262/4, ويُنظر: تاج العروس, 491/27.

(4) – خلا منه الديوان, يُنظر: ديوان ذي الرُّمّة, رواية ثعلب بشرح الإمام أبي نصر الباهلي, تح: د. عبد القدّوس أبو صالح, مؤسّسة الإيمان للتوزيع والنشر والطباعة, ط1, بيروت– 1982م, ويُنظر: ديوان ذي الرُّمّة بشرح التبريزي, تح: مجيد طراد, دار الكتاب العربي, ط2, القاهرة– 1996م. ولعلّه من ضمن ما قالهُ ذو الرمّة في مجلسٍ جمعه بـ(إسحاق بن سويد), إذ سُقِيَ ذو الرمة النبيذ, وسُقيَ ابن سويد الماء, فقال ذو الرمّة: أمّا النبيذُ فلا يُذعركَ شاربُه واحفظ ثيابك ممّن يشرب الماءَا
مشمّرين على أنصاف سوقهمُ هم اللصوص وقد يُدعونَ قُرّاءَا
فقال إسحاق بن سويد: أمّا النبيذ فقد يُزري بشاربه ولا نرى أحداً يُزري به الماءُ
الماءُ فيه حياة الناس كلّهمُ وفي النبيذ إذا عاقرته الداءُ
ثم قال لذِي الرمّة: زد حتّى نزيد, يُنظر: تاريخ دمشق, 180/48. ولعلّ قول أبي نواس هذا, معارضةً لموقف ذي الرُّمّة وابن سويد السالف. ونسبَ أحدهم البيت لأبي نواس فقال: ((لمَّا وصلت إِلَى طيزناباذ ذكرت بَيت أبي نواس:
بطيزناباذ كرم مَا مَرَرْت بِهِ إِلَّا تعجبت مِمَّن يشرب المَاء)).

بطيزناباذَ[1] كرمٌ ما مررت به إلا تعجبت ممّن يشربُ المـاءَا

فأجابني مجيب من المقبرة أسمع صوته ولا أرى شخصه[2] : (البسيط)

وفي جهنم ماءٌ ما تجرّعــه حلقٌ فأبقى له في الجوف أمعاءَا

فراعني ذلك فكان مني ما رأيت))[3].

وتبدو المفارقة في هذا الخبر مركّبة, جمعت الأولى بين مفهومين متناقضين, الأوّل, عودة أبي نواس من بعض المواخير , والثاني مباشرته التطهّر والصلاة والإصباح صائماً.

وجمعت المفارقة الثانية بين إنشاد أبي نواس لبيت ذي الرمّة في الخمرة, وسماعه صوتاً غريباً غيرَ مألوفٍ, يُنشدُ بيتاً مفادهُ معارضة مناقضة المفهوم الذي تضمّنه بيت ذي الرّمّة. فتكوّن من هذا التركيب المفارقاتي مفهوماً وتصوّراً قائماً على التضاد بين المواقف, وهو ما خلق نوعاً من الغرابة والدهشة, وكانت الغاية من هذهِ المفارقات نقديّةً تهذيبيّة, قد يُقصدُ من إيرادها الوعظ أو تسويغ السلوك.

ونجد من ينسب الخبر إلى ابن مسروق الصوفيّ [4], بشيء من الاختلاف في نصّ الرواية[5], مع الاحتفاظ بمعنى المفارقة المفهوميّة, والنص على فحواها وغايتها, ولاسيما أنّ الخبر قد ورد في سياق الحديث عن مقامات الصوفيّة ومراتبهم, التي وصلوا إليها بالتهذيب[6].

- **الكرامات:**

يُنظر: معجم البلدان, 5/4, ويُنظر: طبقات الشافعية الكبرى , السبكي (ت: 771ه), ت: د. محمود محمد الطناحي, د. عبد الفتاح محمد الحلو, 242/5, هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2, 1413ه.

(5)– موضع بين الكوفة والقادسيّة, وقد اشتهر بكثرة حانات الخمر اللهو, وقبل هذا كان يُسمّى العريسات, يُنظر: الأعلام, 216/3.

(2) – لعلّه لأبي نواس , وليس في ديوانه, يُنظر: ديوان الحسن بن هانئ الحكمي.

(3) – أخبار أبي نواس , ابن منظور, 203/1.

(4) – هو الشيخ الزاهد, أبو العباس أحمد بن مسروق البغدادي, شيخ الصوفيّة, توفي في صفر, سنة (298ه), ينظر: سير أعلام النبلاء, 497/10.

(5) – ينظر: نهاية الأرب في فنون الأدب, شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري (ت:733ه), 180/4, دار الكتب والوثائق القوميّة,ط1, القاهرة–1423ه .

(6) – يُنظر: م. ن: 180/4

قد تكون الكرامة عاملاً آخر من عوامل تكوين الصورة غير المألوفة في الأخبار, وهي خارقةٌ يُجريها الله – تعالى – على الأولياء والصالحين, إظهاراً لمقامهم ومنزلتهم[1]. وما يميّزها عن المعجزة هو أن الكرامة خارقة ((يجريها الله – تعالى – على أتباع الأنبياء والأولياء, بينما المعجزة هي تلك الخارقة التي يجريها الله على أنبيائه))[2].

وقد خرجت الكثير من (أخبار الحلّاج) على قرارة الواقع المألوف, وحلّقت في سماء العجائبيّة الخارقة لقوانين الطبيعة ونواميسها, ذلك أنّ حياة الصوفيّ مليئة بالغرابة والعجائبيّة, ولعلّ مردّ المضامين غير المألوفة في أخبار المتصوّفة, ولاسيما (أخبار الحلّاج)؛ يعود إلى كون الصوفي وصل إلى مقامٍ دعاه إلى التعبير عنه بلغته الخاصّة, فالغرابة المدهشة المثيرة صفةٌ غالباً ما تُرافق الصوفيّ سلوكاً ولغةً؛ ولذا نجد أنّ ما يكتبه الشاعر أو الناثر الصوفيّ مجلّلاً بالغموض, وليس من اليسير فهم ما يقوله[3], وبذلك فقد تُعبّر الكرامة ((عن التحوّل الداخلي, ومراحل التطوّر الروحي للصوفي عبر مساره نحو التحقّق أي الكمال. وتُخرج بالصور والتشابيه الهجرة الكبرى أو التفريد؛ فتخبرنا عن الحالة الداخليّة, والهموم الذاتيّة والصراع بين القيم العليا والشهوات, وشتّى الصعوبات التي تُعيق التقدّم باتجاه تجاوز الازدواجيّات وبلوغ الغاية التي يرى الصوفي أنّها المطلق))[4]

والتجارب الصوفيّة وحالاتها الوجدانيّة تقوم على الخيال الذي يُطوى ((تحت لواء العقل والمنطق, بل تحت لواء الانعتاق والحريّة والنبوغ والعبقريّة, يريد أن يؤكِّد ذاته, ويؤكّد كلّ النشوات التي يُعلن الوصول إليها))[5], فنرى بعض الصوفيّة يُظهرون ما خصّهم الله به من

---

(1) – ينظر: الحسين بن منصور, شهيد التصوف الإسلامي, 217.

(2) – الخبر والحكاية, 179.

(3) – يُنظر: النثر الفنّي عند أبي حيّان التوحيديّ, 51.

(4) – الكرامة الصوفيّة والأسطورة والحُلم, القطاع اللاواعي في الذات العربيّة , د.علي زيعور, 93, دار الأندلس, ط2, بيروت–1984م.

(5) – القضايا النقديّة في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجريّ, د. وضحى يونس, 61, منشورات اتحاد الكتّاب العرب, دمشق–2006.

الكرامات, التي تخرج على المألوف وتبلغ غايةً في خرقها للواقع. من ذلك ما رواه بعضهم, قال: ((كنت مع الحلاج وثلاثة نفر من تلاميذه، وواسطت قافلتي من واسط إلى بغداد, وكان الحلاج يتكلم، فجرى في كلامه، حديث الحلاوة، فقلنا: على الشيخ الحلاوة!, فرفع رأسه, وقال: يا من لم تصل إليه الضمائر، ولم تمسّه شبه الخواطر والظنون، وهو المترائي عن كل هيكلٍ وصورة, من غير مماسّةٍ ومزاج ، وأنت المتجلّي عن كل أحد، والمتجلي بالأزل والأبد، لا توجد إلا عند اليأس، ولا تظهر إلا حال الالتباس، إن كان لِقربي عندك قيمة، ولإعراضي لديك عن الخلق مزية, فأتنا بحلاوةٍ يرتضيها أصحابي.

ثم مال عن الطريق مقدار ميل، فرأينا هناك قِطعاً من الحلاوة المتلونة، فأكلنا، ولم يأكلْ منه، فلمّا استوفينا ورجعنا خطر ببالي سوء ظن بحاله، وكنت لا أقطع النظر عن ذلك المكان، وحافظته أحوط ما يحافظ مثله، ثم عدلت عن الطريق للطهارة، وهم ذاهبون، ورجعت إلى المكان، فلم أرَ شيئاً، فصلّيتُ ركعتين وقلت: اللهم خلّصني من هذه التهمة الدنيّة. فهتف لي هاتف: يا هذا أكلتم الحلاوة على جبل قاف[1]، وتطلب القِطَع ها هنا، أحسن همّك، فما هذا إلا ملك الدنيا والآخرة))[2].

وهكذا تسير بعض أخبار الحلّاج[3], في إيرادها الكرامات التي خُصّ بها المتصوّفة, لِما وصلوا إليه من مقاماتٍ عالية, إذ إنّ العشق الصوفيّ يرقى بصاحبه ((إلى عالمٍ ماورائي,

---

[1] – قيل هو جبلٌ عظيم يحيط بالأرض, وقاف مذكور في القرآن ذهب المفسرون إلى أنه الجبل المحيط بالأرض، قالوا: وهو من زبرجدة خضراء وإن خضرة السماء من خضرته، قالوا: وأصله من الخضرة التي فوقه وإن جبل قاف عرق منها، قالوا: وأصول الجبال كلها من عرق جبل قاف، ذكر بعضهم أن بينه وبين السماء مقدار قامة رجل، وقيل: بل السماء مطبقة عليه، وزعم بعضهم أن وراءه عوالم وخلائق لا يعلمها إلا الله تعالى، ومنهم من زعم أن ما وراءه معدود من الآخرة ومن حكمها، وأن الشمس تغرب فيه وتطلع منه وهو الستار لها عن الأرض، وتسميه القدماء البرز. ينظر: معجم البلدان, 298/4.

[2] – أخبار الحلاج, 68– 70.

[3] – يُنظر: م. ن, 71, 72, 88.

ويمنحه بركة القدرة على القيام بكرامات وخوارق تملأ قصص الصوفيّة, كالمشي على الماء, والطيران في الهواء, وغير ذلك الكثير))[1].

ولعلّ كون التجربة الصوفيّة المليئة بالخوارق ((تجربة وجدانيّة نفسيّة فرديّة في بعض جوانبها, جعلها عرضة للدراسة النقديّة حسب المنهج النفسي, حيث يفترض هذا المنهج أنّ الصوفيّة مرضٌ أو جنون, وذلك للتشابه بين أعراضهما وأعراض المعاناة الصوفيّة, وللتشابه بين رغبة العاشق في الاتحاد بمعشوقه, ورغبة الصوفي في الاتحاد بالله, لكن هذا المرض والجنون هما أعلى درجات المحبّة, حبٌّ يملك على الصوفي عقله وقلبه وحياته ومماته, حبٌ لا يرضى بغير الجنون والتّعرّض للموت عمداً))[2], ولذا يُصلب الحلاج وتُقطع يداه ورجلاه وهو مازال يُناجي ربّه, ويقول: ((إلهي أصبحتُ في دار الرغائب أنظر إلى العجائب, إلهي إنّك تتودّد إلى مؤذيك, فكيف لا تتودّد إلى من يؤذى فيك))[3], يُناجي ربّه وقد أيقن أنّه منتقلٌ ((من دار الدنيا إلى دار الرغائب والعجائب الباقية, الدار المُبتَدع الذي تخيّله الحلّاج, وتخيّل فيه تودُّد الله إليه))[4].

- **المنامات:**

والمنامات من عوامل تكوين الصفات غير المألوفة في الأخبار, وقد حفلت كتب (أخبار الشعراء) بنماذج من الرؤيا المناميّة, التي كان جلّها يتحدّث عن كرامات الصالحين, وكان العرب الأوائل يعدّون الرؤيا نوعاً من الكهانة؛ لأنّها تفسّر ما سيقع مستقبلاً من أحداث, وقد تخصّصَ بها كهنة ومعبِّرون, وهذا ما يؤشّر اعتقاد العرب القديم بالأحلام وأثرها العميق فيهم[5].

---

[1] – القضايا النقديّة في النثر الصوفي حتّى مطلع القرن السابع الهجريّ, 51.

[2] – القضايا النقديّة في النثر الصوفي حتّى مطلع القرن السابع الهجريّ,49.

[3] – أخبار الحلّاج, 75.

[4] – القضايا النقدية في النثر الصوفيّ حتى القرن السابع الهجري, 63.

[5] – يُنظر: جماليات السرد العربي القديم, من العنوان إلى الرؤيا, قيس كاظم الجنابي, 74, الدار المنهجية, ط1, الأردن– 2016م.

والرؤيا المناميّة الصالحة محطّ اعتقاد غالب المسلمين, حتّى نجدَ من اهتمّ بجمع أخبار المنامات التي كانت تجري مع بعض الصالحين[1], وطرائق تعبيرها وتأويلها[2].

وقد تحمل الرؤيا المناميّة نبوءة يُتفاءل بها. تروي حدثاً يخرجُ في مضمونه عن المألوف المعتاد, من ذلك ما رواه السيد الحميري, إذ رأى النبيّ (ص) في المنام كأنّه في بستانِ نخلٍ يعود لِامرىء القيس, وإلى جانبها أرضٌ, فيطلِبُ من السيد أن يقلعَ ذلك النخل, وينقله جميعاً إلى تلك الأرض المجاورة, ثمّ تؤوّل تلك الرؤيا بنبوغ السيد الحميري وقوله الشعر في آل البيت (ع)[3].

وليس ببعيدٍ عن هذا المعنى ما رواه زيد بن موسى بن جعفر (ع) من أنّه رأى النبي (ص) في المنام, وبقربه يجلس السيّد الحميري, وهو يُنشِدُهُ الشعر في آل البيت (ع)[4]. ويُقاربه في الفحوى ما رواه البعض عن أشياخه ((أنّه رأى السيّد بن محمّد في النوم, فقال له: ما فعل الله بك, فقال : غفر لي...))[5].

وهذه المنامات وما يماثلها تُشكِّلُ نبوءةً بأمرٍ غيبيّ, وهي محطّ اهتمامٍ واعتبارٍ عند جُلّ المسلمين, على الرغم مما في بعضها من مبالغات تطبع الخبر بسمة غير مألوفة.

وتبلغ بعض المنامات غاية في الغرابة والدهشة, حتّى لَيتحدّث أحدُهم عن أنّه رأى ربّ العزّة في المنام, وسأله عن أمر الحلّاج, فقال – جلّ وعلا – :((إنّي كاشفته بمعنًى, فدعا الخلق إلى نفسه, فأنزلتُ به ما رأيت))[6].

---

(1) – يُنظر: المنامات, لابن أبي الدنيا (ت:281هـ), تح: مجدي السيّد إبراهيم, مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع,ط1, القاهرة– 1989م.

(2) – يُنظر: تعبير الرؤيا, ابن قتيبة الدنيوري (ت:276هـ), تح: إبراهيم صالح, دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع, ط1, بيروت– 2001م.

(3) – يُنظر: أخبار السيد الحميري, 21.

(4) – يُنظر: م. ن, 35–36.

(5) – يُنظر: م. ن, 45.

(6) – أخبار الحلّاج, 86.

- **المبالغات والتزيّد الروائيّ:**

والمبالغات الروائيّة والتزيّد الخبريّ عاملان آخران من عوامل تكوين السمات غير المألوفة في أخبار الشعراء, وهذا أمرٌ يكثر في أخبار المجنون, ((ولاشكّ في أنّ الرواة وجدوا في هذا الجنون مدخلاً لبناء قصّة غير مألوفة في تاريخ الأدب العربي؛ ممّا يجعلها شديدة الصلة بما للأساطير من سحرٍ وجاذبيّة))[1].

إنّ تحريف بعض الرواة لبعض الأخبار والتزيّد فيها؛ أمرٌ شائعٌ في مجمل المدوّنة السرديّة, وليس من شأن التحريف الروائيّ أن يطبعَ الخبر بطابعٍ غير مألوف دائماً, وهذا ما لا نعنيه في هذا الموضع من الحديث, إنّما كان قصدُنا إلى تلك المبالغات وذلك التزيّد في بعض أخبار الشعراء الذي أدّى على خروج الحدث عن مألوفيّة الواقع.

ومن أمثلة ذلك ما رُوي في خبر المجنون يوم اجتمعَ القومُ إلى أبيه, ورأَوا أن يخرج به إلى بيت الله, وزيارة قبر النبي (ص), لعلّ الله يُعافيه, ويرجع إليه عقله, فخرجَ به أبوه صوب مكّة ((حتى إذا كان بمنًى نادى منادٍ من بعض تلك الخيام: يا ليلى، فخر قيسٌ مغشياً عليه، واجتمع الناس حوله، ونضحوا على وجهه الماء، وأبوه يبكي عند رأسه...))[2]

فغرابة الحدث ولا مألوفيّته تتمثّل بوقوع قيس مغشيّاً عليه ما أن يُذكر اسم ليلى, ثمّ يفيق منشداً, وهو أمرٌ دعا طه حسين للقول بأنّ أخبار المجنون – لاسيما ما يخصّ حبّه لليلى– قد اعترتها الكثير من المبالغات, وضروب من الإسراف والسخف والإحالة؛ ذلك لابتعادها عن الواقعيّة, فإذ يُذكر أنّ المجنون يخرّ مغشيّاً عليه بمجرّد ذكر ليلى في حضرته, أو بمجرّد

---

[1] – دراسات في الشعر العربي,29.

[2] – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 33– 34.

محادثتها له, فإنّ ذلك سُخفٌ لا يُعبِّرُ عن ولعٍ بها, إنّما يُعبِّرُ عن أنّ المجنون كان مريضاً لا عاشقاً, وهذا خلاف ما يُنبئ به شعره من عشقٍ وصدق لهجةٍ, وحرارة عاطفة, وحِدّة شعور[1].

ومن تلك الأخبار التي تُثير الغرابة والذهول ما رُويَ من خبره لمّا التقى بالذي تزوّج بليلى ((وهو جالس يصلي في يوم شاتٍ، فوقف عليه ثم قال[2]: (الوافر)

بربّك هل ضممت إليك ليلى قبيل الصبح أو قبّلت فاها

وهل رفّت عليك قرون ليلى رفيف الأقحوانة في نداها

فقال له: اللهم إذ حلّفتني فنعم؛ فقبض المجنون بكلتا يديه قبضةً من الجمر, فما فارقهما حتى خرّ مغشيّا عليه، فسقط الجمر مع لحم راحتيه))[3].

وفي الخبر غرابة غير مألوفة, لا يمكن أن تُردّ إلّا إلى المبالغات التي يُضفيها الرواة على مثل هذه الأخبار, لِخلق المتعة الفنّية. وتزييف الأخبار فنّيّاً على هذا النحو, أمرٌ شائعٌ في أخبار العشّاق من الشعراء, فمثل خبر قيسٍ هذا, نجد خبرَ (جميل بثينة)[4], إذ يروي أحدُهم قائلاً: ((خرجتُ معه مرّةً، حتّى انتهينا إلى خباء لآل بثينة، وسمعتْ به [يعني بثينة]، فأقبلتْ في نسوة معها، وأقبل جميل نحوها، فقعدن وقعد، فتحادثوا ساعة، ثم أخلوهما، فلم يزالا يتشكّيان حتّى غشينا الصّبح، فودّع كلّ واحد منهما صاحبه، ثم وضع جميل رجله في الغرز[5]، فمالت إليه بثينة فقالت: يا جميل أدنُ منّي، فمال إليها برأسه وعنقه، فسارّته بشيء فخرّ مغشيّا عليه، ثم مضت، فأتيته فلم أزل عند رأسه حتّى طلعت الشمس عليه,...))[6].

---

(1) – يُنظر: حديث الأربعاء, طه حسين, 196/1–199, دار المعارف,ط13, مصر–1974م.

(2) – ليس في ديوانه, ينظر: ديوان مجنون ليلى, جمع الوالبي.

(3) – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر,53–54.

(4) – هو أبو عمرو جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي، شاعر من عشاق العرب, افتتن ببثينة، من فتيات قومه، فتناقل الناس أخبارهما. يُنظر: الأعلام, 138/2.

(2)– الغَرْز: رِكابُ الرَّحْلِ، وكل ما كان مِساكاً للرِّجْلَيْنِ في المَرْكب يُسَمَّى غَرْزاً, يُنظر: العين, 382/4.

(6) – الشعر والشعراء, بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ),429/1, دار الحديث, ط1, القاهرة– 2006م.

إنّ المبالغات التي أسقطها الرواة على أخبار المجنون قد ترجع إلى كون معظم تلك الأخبار قد استُنبطت من شعره. فإذْ يُذكر – مثلاً– أنّ ليلى عذلتهُ وصدّت عنه لوشايةِ ((بعض الفتيان ممّن كان يحسدُ قيساً ويُعاديه, فأخبرها أنّه عازمٌ على أن يتزوّجَ...))[1], فإنّ ذلك على ما يبدو مستنبطٌ من شعره في مواقفَ مختلفة, إذ يقول[2]: (الطويل)

فوالله ما أدري علامَ هجرتِني وأيّ أموري فيكِ ياليل أركبُ؟

...

فوالله ما أدري وإنّي لَدائبٌ أُفكّرُ ما جرمي إليها فأعجبُ

وإذ يقول[3]: (الطويل)

ألا أيُّها القَلْبُ اللَّجوجُ المُعذّلُ أفق عن طلاب البيض إن كنت تعقلُ

ودعْ ما يُلاقي العاشقون من العنا فإنّ الهوى إن دام بالصّبِّ يقتِلُ

وقد زعمتْ ليلى بأنّي سلوتُها وأنّ سواها حبّهُ لي مكمِّلُ

فقلتُ لها بالله يا ليلُ إنّني لأُوفي بعهدي في الجميل وأُفْضِلُ

...

فإن شئت هاتي نازعيني حكومةً وإنْ شئتِ قلنا: إنّ حكمكِ أفضلُ

ومثال ذلك أيضاً ما جاء في خبره, لمّا طاف بالبيت وصار إلى منًى, فنادى منادٍ من بعض الخيام: يا ليلى, فخرّ قيس مغشياً عليه[4], وهو خبرٌ استقاه الرواة –على ما يبدو– من بعض شعره إذ يقول[5]: (الطويل)

وداعٍ دعا إذ نحن بالخيفِ من منًى فهيّج أحزانَ الفؤادِ وما يدري

---

(1) – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر,33.

(2) – ينضر: ديوان مجنون ليلى, 84.

(3) – ينظر: ديوان مجنون ليلى، 34.

(4) – يُنظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 33.

(5) – ينظر: ديوان مجنون ليلى, 38.

دعا باسم ليلى غيرها فكأنما أطار بليلى طائراً كان في صدري

يُنادي سواها أسخن الله عينه وليلى بأرضٍ عنه نازحةٌ تُغري

...

وعلى هذا المنوال تسير سائر أخبار المجنون, التي عمد الرواة إلى المبالغة في نقل أحداثها والتزيّد في تفاصيلها, مستغلّين ما في تجربة المجنون من عشقٍ كبير, وتعلُّقٍ بالمحبوب, لِخلق حكايةٍ غريبة في أحداثِها, مثيرةٍ للتعجّب. حكاية عشْقٍ وهيامٍ في المحبوب ((تُشبه في جانبٍ كبير منها تجربة الصوفي التي تُفضي به إلى الاستغراق الكلّي في فيضٍ من السعادة والشوق))[1] الذي لم يقف بصاحبهِ عند حدود التواصل مع الكائنات, بل امتدّت للتواصل مع الطبيعة بما فيها من أودية وجبال في علاقةٍ صوفيّةٍ تجعل من الأشياء الجامدة رموزاً حيّة لمفهومٍ كلّي لِوحدة الكون وتواصلهِ[2]. ومثلما أنّ الهيام بالمحبوب يودي بصاحبهِ الصوفيّ إلى نهايةٍ مأساويّةٍ يختتِمُ بها حياته؛ فإنّ العشق أودى بقيس إلى نهايةٍ مأساويّةٍ, إذ هام على وجههِ في الصحراء متآلفاً مع الوحش, حتّى خرّ صريعاً بين الحجارة ليس عليه من ملبس[3].

ويتبيّن ممّا تقدّم أنّ الخبر غير الواقعي/ غير المألوف في كتب أخبار الشعراء؛ قد اتّخذ صوراً مختلفة, فكان منها المفارقة القائمة على الجمع بين النقيضين على مستوى الفعل السلوكيّ, أو موقف الذات ممّا يُحيط بها, وتعاطيها مع الفعل الحدثيّ, أو مستوى المفاهيم والتصوّرات المتضادّة.

كما أنّ الكرامات عاملٌ آخر من عوامل تكوين السمات غير المألوفة في أخبار الشعراء, وقد كثُرت في أخبار الحلّاج المتصوّف. تلك الكرامات التي رسمت مشاهد لا مألوفة كانت محطّ اعتقادٍ وإيمان عند المتصوّفة تبعاً لمراتبهم وطبقاتهم.

---

[1] – دراسات في الشعر العربي, 30.

[2] – يُنظر: م. ن ,33.

[3] – يُنظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 56.

والمنامات مُساهمٌ آخر في بلورة صورة الخبر غير المألوف أحياناً؛ لما حملتهُ تلك الأخبار من نبوءات يُستبشَر بها, وإخبار عن أمور غيبيّة, فكانت تلك المنامات الصالحة محطّ اعتقادٍ عند جُلّ المسلمين, على الرغم ممّا في بعضها من مبالغات مدهشة تُثير الاستغراب والتعجّب, وهو أمرٌ أضفى على الأخبار مسحةً غير مألوفة مثيرة للدهشة.

و كانت المبالغات والتزيّد الروائي من صور تكوين لاواقعيّة الأخبار, تلك المبالغات التي تقوم على تضخيم الأحداث وتهويلها حتّى تصطبغ بصفة غير مألوفة, وهي منساقة مع ذلك التزيّد الخبريّ في بعض الأخبار الذي يمضي بها صوب مُجافاة المعقول.

توطئة:

عرفَ العربُ أشكالاً قصَصيّةً شتّى اغتنى بها تُراثُهم السرديّ, واتّسعتْ لها مصادرُهم الأدبيّة ((وقد دلّ على وفرةِ هذا الموروث السرديّ, وعلى تعدُّدِ قوالبهِ الفنّيّة كثرةُ الأسماء والدلالات التي أُطلِقَتْ على تنوّع أشكالهِ السرديّة, فمنها: القصّة, والحكاية, والخُرافة, والأُسطورة, والسمر, والمثل, والخبر, والنادرة, والسيرة, والرواية, والحديث, والنبأ, وغيرها من الألفاظ))[1].

وقد اتّسع السرد العربيّ القديم لفنونٍ نثريّةٍ مختلفة, تنوّعتْ شكلاً, وتباينتْ موضوعاً, وكان فنُّ الخبر من أبرزِها وأوسعِها انتشاراً, تبعاً لِما أُسنِدَ إليه من وظائف, وما أُريدَ به من غايات؛ ذلك أنّ الخبر ((سردٌ, أو بنية سرديّةٌ, يتوفّر فيه الراوي, والمروي له, والمروي (متن الخبر)))[2] .

ويمتدُّ السردُ ليكونَ ذلك الفعل الذي ((لا حدود له, يتّسعُ لِيشملَ مختلف الخطابات, سواءٌ كانت أدبيّةً أو غيرَ أدبيّة, يُبدِعُهُ الإنسان, أينما وجِدَ, وحيثما كان, يمكن أن يؤدي الحكي بواسطة اللغة المستعملة, شفاهيةً كانت أو كتابيّةً, وبواسطة الصورة, ثابتة أو متحرّكة, وبالحركة, وبواسطة الامتزاج المنظّم لكلّ هذهِ الموادّ, إنّهُ حاضرٌ في الأُسطورة والخُرافة والأُمثولة والحِكاية والقصّة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما والملهاة والسنما والأنشوطات والمنوّعات والمحادثات))[3], ذلك السردُ بعدِّه إطاراً عامّاً أو فضاءً رحباً يستوعبُ مجمل الفعل الحدثيّ, وما يترتّبُ عليه من شخصيّات وزمانٍ ومكان.

ويمثِّل السردُ الطريقةَ التي يعتمدُها الروائيّ أو القاص, أو حتّى المبدع الشعبيّ/ الحاكي, لِتقديم الحدث إلى المتلقّي, ((فكأنّ السردَ إذن هو نسيج الكلام

---

(1) – قضايا السرد القديم في النقد الأدبيّ (دراسة نظريّة تطبيقيّة حول بعض النماذج السرديّة), د.حصة أحمد الدوسريّ, 11, إصدارات نادي الإحساء الأدبيّ, ط1, المملكة العربية السعودية – 2011م.

(2) – سرديّة الخبر العربي القديم, تمثلات العقل في أخبار الحكم والباه والنساء, عقيل عبد الحسين, 63,المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط1, بيروت– 2015م.

(3) – الكلام والخبر, مقدمة للسرد العربيّ, 19.

ولكن في صورة حكي, وبهذا المفهوم يعود السرد إلى معناه القديم حيث تميل المعاجم العربيّة إلى تقديمه بمعنى النسج أيضاً))[1].

وهو قصٌّ يؤدّيه الكاتبُ أو الشخصيّة لإنتاج النص , يهدفُ إلى تصوير الظروف التفصيليّة للأحداث والأزمان[2], وبهذا فهو وجهٌ من وجوهِ التواصُل الخطابيّ بين الراوي أو المؤلّف, والمروي له أو القارئ[3].

وتتحقّق الحكائيّة بوصفها سمةً للجنس السرديّ من خلال تحقُّق العناصر السرديّة المتمثّلة بالفعلِ أو الحدث القابل للحكي, والفاعلِ أو العامل الذي يضطلعُ بدورٍ ما في الفعل, وزمان الفعل, ومكانه, وتتداخل هذه العناصر مجتمعةً وتتراكب في مجرى العمل الحكائيّ, مشكِّلةً حكائيّتَهُ, أي: انتماءَه إلى جنس السرد[4].

والسردُ هو الوِعاء الحامل للأحداث, الذي تتحرّك خلاله الشخصيّات في ضمن حدود الزمان والمكان[5], ويعمل على ((نقلِ الفعل القابل للحكي من الغياب إلى الحضور, وجعله قابلاً للتداول, سواءٌ كان هذا الفعل واقعيّاً أو تخييليّاً, وسواءٌ تمّ التداول شفاهاً أو كتابة))[6].

---

[1] – ألف ليلة وليلة, تحليل سيميائي تفكيكيّ لحكاية حمّال بغداد, عبد الملك مرتاض, 84, ديوان المطبوعات الجامعيّة, ط1, الجزائر– 1993م.

[2] – يُنظر: البنية السرديّة في كتاب الإمتاع والمؤانسة, ميساء سليمان الإبراهيم,15, منشورات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب, ط1, دمشق–2011م.

[3] – يُنظر: معجم السرديّات, 244.

[4] – يُنظر: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النصّ, د.عبد القادر شرشار,52, منشورات اتحاد الكتاب العرب, ط1, دمشق– 2006.

[5] – يُنظر: الواقع الفلسطيني في الرواية, دراسة نقدية في أدب غسان كنفاني وجبرا ابراهيم جبرا, د.كريم المسعوديّ, 160, دار تموز, ط2, دمشق– 2014م.

[6] – السرد العربي, مفاهيم وتجليات, د. سعيد يقطين, 61, منشورات اختلاف, ط1, المغرب – 2012م.

ولمّا كان السردُ تلك العمليّة التي يقومُ بها الساردُ أو الحاكي, وينتُجُ عنها النصّ المشتمل على الخطاب والحكاية[1], أو تلك الكيفيّة التي تُروى بها القصّة[2]؛ فإنّ توماتشفسكي يُفرّقُ بين نمطينِ بنائيّين هما: المتنُ الحكائيّ, والمبنى الحكائيّ[3].

ويتمثّل المتنُ الحكائيّ بالمادّةِ الأوّليّة للقصّة التي سيُنسج من خيوطها المبنى الحكائيّ, فهو القصّة كما يُفترضُ حصولها في الواقع, خاضعةً لمبدأ السببيّة الترتيبي, فيما يمثِّلُ المبنى الحكائيّ القصّة نفسَها , ولكن بالطريقة الفنيّة التي يرتضيها السارد[4], على وفقِ صياغةٍ سرديّةٍ قد لا تُراعي الترتيب السببيّ للأحداث.

وإذا كان المتنُ الحكائيّ ((مجموع الأحداث المتّصلة فيما بينها, والتي يقعُ إخبارُنا بها من خلال العمل))[5] فإنّ المبنى الحكائيّ ((يتألّفُ من نفس الأحكام بيد أنّهُ يراعي نظامَ ظهورِها في العمل))[6], وهو ما يولّدُ مفارقاتٍ زمنيةً, وبناءاتٍ فنّيّةً تُشكِّل الطوابعَ السرديّة للنصوصِ الأدبيّة.

وعلى وفقِ هذا يميِّزُ توماتشفسكي بين أسلوبين سرديَّين هما: السردُ الذاتيّ, والسردُ الموضوعيّ[7]. ويتمثّلُ السردُ الموضوعيّ ((في هيمنةِ دورِ الراوي العليم" أو كلّي العلم " الذي

---

(1) – يُنظر: مدخل إلى نظريّة القصّة, تحليلاً وتطبيقاً, سمير المرزوقي, جميل شاكر, 74, دار الشؤون الثقافية العامة– الدار التونسيّة, بغداد, 1986م.

(2) – يُنظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, د. حميد لحميداني,49, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط1, بيروت–1991م.

(3) – يُنظر: نظريّة المنهج الشكليّ, نصوص الشكلانيين الروس, توماتشفسكي, ترجمة: إبراهيم الخطيب, 180, مؤسّسة الأبحاث العربيّة, ط1 بيوت – 1982م.

(4) – يُنظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي,21–50.

(5) – نظريّة المنهج الشكليّ, نصوص الشكلانيين الروس, 180.

(6) – م. ن: 180

(7) – يُنظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبيّ, 47– 48.

يعرف بكل خفايا شخصيّاتِه وأسرارِها, ويلجأ الراوي إلى الوصفِ والتقرير والتعليق عن طريق توظيف ضمير الشخص الثالث "الغائب" هو أو هي))[1].

فيما يتمثّلُ السردُ الذاتي ((في إقصاءِ دور الراوي العليم, ومحاولة تقديم الحدث القصصي عبر رؤية شخصيّة ممسرحة ومتضمَّنَة في المتن الحكائيّ))[2].

والسردُ الموضوعيّ سردٌ يتمثّلُ بكون موقف السارد مستقلاً عن المواقفِ والوقائع المرويّة, فلا أثرَ له في الوقائعِ الحدثيّة , فهو ليس فاعلاً فيها أو شخصيّةً من شخصيّاتِها على خلاف السرد الذاتيّ الذي يتميّز بساردٍ ظاهر, تُلقي مشاعرُه و اعتقاداتُه وأحكامُه بظلالِها على الوقائعِ والمواقفِ المعروضة, إذ يمثّلُ هذا السرد عرضاً لمشاعرِ شخصيّةٍ أو أكثر, وطرحاً لأفكارِها [3], عبرَ الخطابِ السرديّ الذي يكون بضميرِ المتكلّم.

إنّ الأسلوبَ السرديّ الذي يتّبعُهُ الراوي في العملِ الأدبيّ يعتمدُ على تموقعِ الراوي في النصّ, فهو الذي يُحدِّدُ (زاوية الرؤية)[4], وعليه فقد قسّمَ (جان بويون) الرؤى على ثلاثةِ أقسام هي: الرؤية من الخلف, والرؤية مع, والرؤية من الخارج[5].

ففي (الرؤية من الخلف) تكون معلومات الراوي عن الشخصيّة أكثر من معلومات الشخصيّة عن نفسها[6], وتقابل هذه الرؤية السردَ الموضوعي عند توماتشفسكي.

---

(1) – التجريب في القصة العراقيّة القصيرة, حقبة الستينات, حسين عيّال عبد علي, 262, دار الشؤون الثقافيّة العامة, ط1, بغداد–2008م.

(2) – م. ن, 262.

(3) – يُنظر: المصطلح السرديّ, 163.

(4) – وهي وجهة نظر أو وجهات نظر تُعرض على وفقها الوقائع والأحداث والمواقف السرديّة, يُنظر: المصطلح السردي, 245.

(5) – يُنظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, 47– 48.

(6) – يُنظر: البناء الفني في القصّة القصيرة في العراق من 1990 – 2000م, د.حسنين غازي لطيف, 20, دار الشؤون الثقافية العامة, ط1, بغداد – 2011.

وفي (الرؤية مع) تكون معلومات الراوي مساويةً لمعرفةِ الشخصيّات , ويُستَخْدَم في هذا الشكل ضميرُ المتكلِّم, وضميرُ الغائب[1], وتُقابِل هذه الرؤية السردَ الذاتي عند توماتشفسكي.

أما (الرؤية من الخارج) فلا يَعرِف على وفقِها الراوي إلّا القليل مما تعرفه الشخصيّات الحكائيّة, فيعتمدُ على الوصف الخارجيّ للحركةِ والأصوات , ولا يعرف إطلاقاً ما يدور في خَلَدِ الأبطال[2].

والجدير بالذكر أنّ توماتشفسكي لم يُشِرْ إلى زاوية (الرؤية من الخارج), وهذا راجعٌ إلى كون الأنماط الحكائية التي تتبنّى مثل هذهِ الرؤية السرديّة لم تكنْ قد ظهرت بشكلٍ واضح إلّا بعد منتصف القرن العشرين على يد الروائيّين الجدد[3]. وقد قصر تودوروف الرؤى على نوعين هما الرؤية من الداخل, والرؤية من الخارج[4].

وفيما استبدل جيرار جنيت مصطلح "الرؤية" أو "وجهة النظر" بمصطلح آخر هو "التبئير", فإنّه قد قسّمَه تقسيماً ثلاثيّاً يتمثّل بـ"التبئير الصفر" أو "اللاتبئير", وهو شائعٌ في السرد التقليدي, و"التبئير الداخليّ" كما في السرد الذاتيّ, و"التبئير الخارجيّ" [5], وهو مقابل للرؤية من الخارج عند جون بويون.

إنّ ما يُساعدنا في تحديد الأسلوب السرديّ الذي يعتمده الراوي في النصّ هو طبيعة تشكّل "الحكي" باعتباره تجلّياً خطابيّاً يتشكّل من توالي الأحداث المترابطة المحكومة بعلاقات متداخلة بين مختلف مكوناتها[6].

---

[1] – يُنظر: البناء الفني في القصّة القصيرة في العراق من 1990 – 2000م, 20.

[2] – يُنظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, 48.

[3] – يُنظر: م. ن, 48.

[4] – يُنظر: البناء الفني للقصة القصيرة في العراق من 1990– 2000م, 21.

[5] – يُنظر: تقنيّات السرد من منظور النقد الروائيّ, أشواق عدنان شاكر النعيميّ, 46– 47, دار الجواهري, ط1, بغداد– 2014م.

[6] – يُنظر: تحليل الخطاب الروائي (الزمن– السرد– التبئير), د. سعيد يقطين, 47, المركز الثقافي العربي, ط4, 2005م.

ويبدو أنّ السرد الموضوعي أو ما يسمّيه جان بويون "الرؤية من الخلف", من أقدمِ طرائقِ السرد العربيّ المدوّن, فيذكر عبد الملك مرتاض أنّ صيغة (زعموا) من أقدم طرائق السرد العربي القديم وآصلها وأعرقها, كما يظهر ذلك عند عبد الله بن المقفّع(ت:142هـ)؛ إذ إنّ ((مصطلح "زعموا" ينسجمُ مع طبيعةِ السرد القائم على التسلسل الزمنيّ الذي يأتي من الخارج, أو عن طريق حِياد المؤلِّف المزعوم, والقائم على اصطناعِ ضمير الغائب))[1].

إنّ عبارات "حدّثني", "حدّثنا", "أخبرني", "أخبرنا", من أكثر العبارات وروداً في السرد العربيّ القديم, ولاسيما المرويّ الخبريّ؛ ذلك ((أنّ هذهِ العبارات كلّها مُستقاةٌ من تقاليدِ رواة الحديث النبويّ, ورواةِ اللغة والدِّين الذين سلكوا مسلكهم في تدوين الأخبار, وإثبات الروايات, والتشدّد في تقبّل النصوص وتصحيحها وغربلتها))[2].

وإذا كانت هذهِ الصيغ التي يُفتَتَحُ بها المروي قد سلكت إلى الخبر انتقالاً من الحديث النبويّ الذي غالباً ما يُدبَّجُ بها, فإنَّ الراوي الخبريّ استساغها؛ لِيمنح خبرهُ صفةً واقعيّةً ويضمن له القبول.

وإنّ هذهِ الصيغ وما يُماثلُها – بِعدِّها أفعالاً سرديّةً – كان الإعلان عنها في الخبر قديماً ضمن نطاق ((السّند الذي يُذكَرُ فيه الرواة الذين تناقلوا هذا الخبر,... وهي أفعالٌ ذات طابعٍ شفويّ داخلتْ مجالَ الكتابةِ فصارتْ مِن مقوّماتها))[3], بيد أنّها صيغٌ لا تتجاوز حدود السند وتشكيله, فهي لا ترسم معالمَ الخبر أُسلوبيّاً ما دام السند وسيلةً إجرائيّةً يُفتَتَحُ بها جُلُّ الأخبار, وتُستعمل لِأغراضٍ شتّى, أهمُّها إكساب المسرود الخبريّ قيمةً واقعيّة؛ ولِذا يكون النظرُ في تحديدِ الأسلوب السرديّ المُتّبَع في الخبر بإزاء المتن المسرود.

---

[1] – في نظريّة الرواية, بحث في تقنيّات السرد, د.عبد الملك مرتاض,143, المركز الثقافي العربي, ط4, بيروت– 2005م.

[2] – في نظريّة الرواية, بحث في تقنيّات السرد, 147.

[3] – معجم السرديّات , 245.

وقد تشكّلَ السردُ الخبريّ في كتبِ أخبار الشعراء على وفق الأُسلوبين السرديَّين: الذاتيّ والموضوعيّ. ومن الملاحظ أنّ السرد الموضوعيّ هو الأسلوبُ الغالب على متون أخبار الشعراء, غير أنّ تداخلَ السرد الموضوعيّ والذاتيّ في بناءِ الخبر سرديّاً؛ أمرٌ شائعٌ في هذهِ المتون.

ومثال السرد الموضوعيّ ما جاء في خبر المجنون مُسنداً إلى بعضهم, قال: ((كان المجنون يجلسُ في نادي قومِه وهم يتحدّثون، فيُقبِلُ عليه بعضُ القوم، فيحدّثُه، وهو باهتٌ ينظرُ إليه، ولا يفهم ما يحدّثُه به، ثم يثوبُ إليه عقلُه، فيُسأل عن الحديث، فلا يعرفُه، فحدّثَه مرةً بعضُ أهلِهِ بحديثٍ، ثمّ سأله عنه في غدٍ، فلم يعرفْه، فقال: إنّك لَمجنون...))[1].

فالسارد في هذا الخبر وما يُماثله, مستقلٌّ عن المواقف, لا أثرَ له في الحدث, فهو ليس فاعلاً أو شخصيّةً من شخصيّاتِ الحدثِ المُخبَر عنه.

ويتمثّلُ السردُ الذاتيّ المروي بضميرِ المتكلّمِ في مثل هذا الخبر, عن أبي هفّان, قال: ((أخبرني الجمّاز[2], قال: قال لي الجنديسابوري[3]: كنتُ أمضي مع أبي نواس إلى بابِ أسماء بنت المهدي, وذلك أن الشعراء كانوا يجتمعون ببابها، فقال لي: امضِ بنا لنتعرفَ خبراً إنْ كان، فمضيتُ معه فإذا نحنُ بجاريةٍ قد طلعتْ من القصرِ عليها قِباء ومنطّقة وفي رجليها نعلٌ، مهضومةٌ، كاعبٌ، ناهدٌ، فأعجبتْهُ فكان يناغيها ويغازلُها...))[4].

---

[1] – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 29.

[2] – واسمه محمد بن عمرو بن حماد بن عطاء بن يسار الشاعر المعروف بالجماز البصريّ النديم, له أخبار مع أبي نواس وغيره, توفي في حدود (250هـ), وقيل هو محمد بن عبد الله بن عمرو بن حماد يُكنّى أبا عبد الله, وسلم بن عمرو الخاسر الشاعر عمُّ الجماز, وقيلَ هو ابن خالة سلم وهو بصري صاحب مقطعات ولم يكن له إطالة, وكان ماجناً خبيث اللسان, وهو شاعرٌ مفلقٌ مفوهٌ مطبوع, أُدخل على المتوكل فأنشده الشعر, ينظر: طبقات الشعراء, ابن المعتز,371, ويُنظر: الوافي بالوفيات, 204/4.

[3] – هو محمد بن نوح أبو الحسن الجُنْديسابوريّ الفارسيّ, نزيل بغداد, مات في سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة, يُنظر: تاريخ بغداد,519/4.

[4] – أخبار أبي نواس, المهزمي, 29.

فـراوي الخبـر (الجنديسـابوري) يُقـدِّمُ الخبـرَ عبـرَ رؤيـةٍ ذاتيّـةٍ بعـدّهِ شخصـيّةً مشـاركةً, مُلقيـاً بظلالِ مشاعرِه على الوقائعِ المسرودة, مستعملاً ضميرَ المتكلِّمِ في الغالب.

ويتمثَّلُ تـداخلُ السـردِ الـذاتيّ والموضـوعيّ فـي مثـل هـذا الخبـر الـذي يرويـه المرزُبـاني مُسـنداً, عـن بعضـهم, أنّـه قـال: ((كنـتُ أتغـدّى مـع السـيّد فـي منزلـهِ فقـال لـي: طـالَ والله مـا شُـتِمَ أميـر المـؤمنين عليـه السـلام, ولُعِـنَ فـي هـذا البيـت, فقلـتُ: ومـن فعـل ذلـك؟ قـال: أبـوايَ, كانـا إباضيَّين, قلتُ فكيفَ صرتَ شيعيّاً؟, قال: غاصتْ عليَّ يدُ الرحمة فاستنقذَتْني))[1].

فقـد تـداخلَ أُسـلوبا السـرد الـذاتيّ والموضـوعيّ وتضـافرا فـي صـياغة المـتن الخبـري, عبـر ضمائر الفاعلين المسندة إلى المتكلّم تارةً والغائب تارةً أخرى.

وعلـى الـرغم مـن تـداخل السـرد الموضـوعيّ والسـرد الـذاتيّ فـي بنـاء الخبـر فإنّنـا نجـدُ بعـضَ المتـونِ الخبريّـة تكـادُ تخلُـص للسـردِ الموضـوعيّ, مثلمـا نجـد ذلـك فـي كتـاب (الورقـة) لابـن الجـرّاح, و(أخبـار الملـوك ونزهـة المالـك والمملـوك فـي طبقـات الشـعراء) للملـك المنصـور محمـد بـن عمـر الأيّـوبيّ, كمـا نجـد أنّ (السـرد الـذاتيّ) قـد غلـب علـى (أخبـار الحـلّاج) لابـن السـاعي البغداديّ.

وبغض النظر عن طبيعة السرد الأسلوبيّة, الذاتيّة أو الموضوعيّة, فقت تآزرت عناصر السرد, من زمانٍ ومكانٍ وشخصيّةٍ وحدثٍ, لتشكيل بنية الخبر السرديّة, وهي عناصر حاضرةٌ – لا محالة – في أثناء السرد الخبريّ, إذ لا يمكنُ أنْ نتصوّرَ حدثاً من دون أن يكونَ هناك فاعلٌ (شخصيّة) قائمٌ به, كما لا يمكنُ أن نتصوّر جريان الأحداث السرديّة خارج نطاق المكان, أُظهِرَ أم أُضمِر, ووجودُ كلِّ ذلك – حدثاً وشخصّيةً ومكاناً – محكومٌ بزمنٍ يؤطِّره سواءٌ أُعلِنَ عنه أم لم يُعلن, ذلك أنّ الزمن محسوسٌ يُستشعرُ وجودُهُ ((بالإدراك النفسي, أما المكان فيرتبطُ بالإدراك الحسّي, وقد يسقطُ الإدراك النفسي على

[1] – أخبار السيّد الحميريّ, 22-23.

الأشياء المحسوسة لِتوضيحها والتعبير عنها))[1] . وإذا كان جائزاً أن نجدَ سرداً من دون تحديدٍ للمكان الذي تدورُ فيه الأحداث, فإنّ من المستحيل إهمال العنصر الزمنيّ الذي يُنظِّم عمليّة السرد[2].

فالزمنُ عنصرٌ بِنائيّ أساس في السرد, يؤثِّر في العناصر الأخرى وينعكسُ عليها, وليس له ((وجودٌ مستقلٌّ نستطيع أن نستخرجَهُ من النصّ مثل الشخصيّة أو الأشياء التي تشغل المكان أو مظاهر الطبيعة))[3], إنّما هو نظامٌ يتداخل في بناء عناصر السرد الأُخرى, ويُهيمن على حركتِها, ومثلما يهيمنُ على بنية النصّ السرديّ داخليّاً فإنّهُ على المستوى الخارجيّ يُهيمن على وعي السارد والقارئ, ولذا تنظر سيزا قاسم إلى نوعين من الأزمنة يتعلّقان بالسرد, هما الأزمنةُ الخارجيّة (خارج النص), والأزمنةُ الداخليّة (داخل النص)[4], فأمّا الخارجيّة فهي زمن الكتابة, وزمن القراءة, ووضع السارد بالنسبة للمدّة التي يكتب عنها, ووضع القارئ بالنسبة للمدّة التي يقرأُ عنها.

وأمّا الداخليّة, فهي المدة التاريخيّة التي تجري فيها القصة, وترتيب الأحداث, ووضع الراوي بالنسبة لوقوع الأحداث, وتزامن الأحداث, وتتابع الفصول, ونحو ذلك مما يتعالق مع البنية الداخليّة للنصّ[5].

وفيما يكونُ الزمن الإطار العام الذي تسبحُ في فلكهِ عناصرُ السرد الأخرى, فإنّ المكان الفضاءُ المحتضِن لِسيرورة الأحداث, وحركةِ الشخصيّات.

وعلى أيّة حال, فإنّ عناصرَ السردِ متداخلةٌ ومتواشجةٌ في بنية النص السرديّ, ولا يمكن فصلُها إلّا على سبيل التنظير[6], والفرز الدراسيّ التحليلي.

---

(1) – بناء الرواية, دراسة مقارنة في "ثلاثيّة " نجيب محفوظ, د.سيزا قاسم,106, مكتبة الأسرة, ط1, القاهرة–2004م.

(2) – يُنظر: البنية السرديّة في الرواية السعوديّة (دراسة في نماذج من الرواية السعوديّة), نوره بنت محمد المري,26, رسالة ماجستير, جامعة أم القرى, كلية اللغة العربية, 2008م.

(3) – بناء الرواية, دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ, 38.

(4) – يُنظر: م. ن, 26.

(3) – يُنظر: م. ن, 26– 27.

(6) – آليّات بناء الخبر في السرد العربي القديم, دراسة في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة, 88.

المبحث الأوّل: الزمـن

يُمثِّـلُ الـزمنُ عنصـراً أساسـاً مـن عناصـر السـرد, فهـو المظلّـة الكبـرى التـي تجـري تحـت هيمنتهـا مجمـل عناصـر السـرد الأُخـرى, ((فالشخصـيّات والأحـداث تتحـرّك وتتشـكّل فـي فضـاءٍ زمنـيّ, ولا يـتمّ السـرد دون سـيولة الـزمن, فـإذا فقـد الحركـة تجمّـد السـرد عنـد نقـطٍ لا يمكـن أن تسـتمرّ))[1]؛ ولـذا ينسـابُ الـزمنُ مـع امتـدادِ السـرد وحركتـهِ, ففـي لحظـةٍ مـا يُسـترجَعُ الماضـي أو يُستشرف المستقبل, تبعاً لرؤيةِ الكاتب الفنيّة في تغطية حياة الشخصيّة, أو الحدث.

والـزمن بحركتـهِ وانسـيابهِ, سـرعتهِ وبطئـهِ, هـو الإيقـاع النـابض فـي مجمـل الأعمـال السـرديّة, فتشكُّل الشخصيّة يتمُّ عبرَ الزمن, والحوارُ زمنٌ, والوصفُ في بعض حالاته زمنٌ أيضاً[2].

إنّ الـزمنَ مـن حيـث السـرعة والـبُطء متعلِّـقٌ بقـدرةِ الكاتـبِ أو السـارد علـى ((تكثيـف الحـدث أو تكثيـف الصـورة أو اللقطـة, فهـو قـد يُسـهب حتّـى يتّسـعَ المشـهدُ, وقـد يقلّصـه حتّـى يصـبح ملخّصـاً يسـيراً))[3], وقـد يكـون الـزمنُ تقليـديّاً, وهـو الشـائعُ فـي موروثنـا, يتّخـذُ الـزمنُ علـى وفقـه طابعـاً خطّيّـاً, فتتتـابع الأحـداث مـن دون اسـتباقات أو اسـترجاعات زمنيّـة ((وهـذه التجربـة الزمنيّـة فـي تجلّيهـا الـواقعيّ هـي مـا يُعبِّـر عنهـا الخطـاب التـاريخي ذو الطـابع الحـولي أو التسـجيلي, فهـو يتدرّج من البدء إلى ما يليه))[4].

إنّ تحليـل الهيكـل الزمنـيّ للـنصّ السـرديّ يتّخـذُ تقسـيماتٍ عـدّة تبعـاً لوجهـات النظـر المتباينـة التـي أبـداها النقّـادُ إزاء البنـاءِ الزمنـيّ للنصـوص, فـنلاحظ أن تـودوروف قـد حلّـلَ البنيـة الزمنيّـة علـى قسـمين, (زمـن القصّـة), و(زمـن الخطـاب)[5], فـزمن القصّـة أو مـا يُسـمّى بـ (زمـن الملفـوظ

---

(1) – الزمن في الرواية العربيّة, د.مها القصراوي, 42, المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر, ط1, بيروت–2004م.

(2) – يُنظر: م. ن, 42.

(3) – ثلاثيّـة الـراووق, الرؤيـة والبنـاء (دراسـة فـي الأدب الروائـي عنـد عبـد الخـالق الركـابي), قـيس كـاظم الجنـابيّ ، 126, دار الشؤون الثقافيّة العامة, ط1, بغداد–2000م.

(4) – انفتاح النص الروائي, النص والسياق, د.سعيد يقطين,47, المركز الثقافي العربي, ط3, الدار البيضاء–2006م.

(5) – يُنظر: انفتاح النص الروائي, النص والسياق ,41.

القصصي) هو الحكاية نفسها بوصفها تسلسلاً زمنيّاً, وارتباطاً بين الأحداث[1], أو هو الزمن الطبيعي الذي تسير على وفقه مجريات الأحداث[2]. وزمن الخطاب أو ما يُسمّيه جيرار جنيت بـ (زمن الحكاية) هو ترتيب السارد للأحداث في النص[3], إنّه الزمنُ الزائف أو الفنيّ الذي يقوم مقام الحقيقي في القصّ[4].

وليس ببعيدٍ عن هذا تقسيمُ مها القصراوي للزمن, فقد قسّمته على (زمن قصّة), و(زمن خطاب) ناتج عن تخطيب الحكاية (القصة), وذلك بالانتقال بالمادة الحكائيّة من الحيِّز الواقعي السببيّ إلى الحيِّز الفنّي, إذ يتمُّ ترهينُ زمن الحكاية في زمن الحاضر السرديّ (زمن الخطاب), في ظلِّ رؤيةٍ جديدة لزمنِ النصّ, تمنحُ أحداث القصّة وحكاياتها سياقاً وبعداً زمنيّاً جديدَين, إذ اللحظة التي يبدأ فيها الراوي بالسردِ هي لحظةُ الحاضرِ الآني على خطّ السرد, بِعدِّها نقطة ارتكازٍ لانطلاقه بالسرد استباقاً واسترجاعاً[5].

ويفرّق (رينيه ويليك), و(أوستن وارين) بين زمن الحكاية وزمن السرد, فإذ يكون زمن الحكاية مجموع المدّة التي تستغرقها القصّة, فإنّ زمن السرد هو ذلك ((الزمن الذي يتناسبُ مع البنية السرديّة, إنّه زمن القراءة أو زمن التجربة))[6]. ومعنى تناسب زمن السرد مع البنية السرديّة للنص هو أن يُعادَ إنتاجُ الخطاب عبر تقانة الزمنِ وما يشتملُ عليه من مفارقاتٍ زمنيّة, فزمنُ السرد هو زمن سيرورة البناء الفني للنص الذي يضطلع به السارد.

---

(1) – يُنظر: مدخل إلى نظريّة القصّة, تحليلاً وتطبيقاً, 74.

(2) – يُنظر: خطاب الحكاية, (بحث في المنهج) جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم, وآخران, 46, المجلس الأعلى للثقافة, ط2, القاهرة– 1997م.

(3) – ينظر: مدخل إلى نظريّة القصّة, 74.

(4) – يُنظر: خطاب الحكاية, 46.

(5) – يُنظر: الزمن في الرواية العربيّة, 45.

(6) – نظريّة الأدب, رينيه ويليك, أوستن وارين, ترجمة: محيي الدين صبحي,229, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, بيروت– ط3.

وتبعاً لدراستها الزمنَ في بنية النصّ الروائيّ, فقد ميّزتْ يُمنى العيد بين بنيتين زمنيتين هما: زمن القص, وزمن الوقائع, وإذ يمثّلُ زمنُ القص زمنَ الحاضر السرديّ, أو الزمن الذي ينهض فيه السرد, فإنّ زمن الوقائع هو زمن ما تحكي عنه الحكاية, فينفتح في اتجاه الماضي فيروي أحداثاً تاريخيّة, أو أحداثاً ذاتيّة للشخصيّة الحكائيّة, وهو بهذا يحملُ حضوراً موضوعيّاً قادراً على إيهام القارئ[1].

ويحلِّل سعيد يقطين الزمنَ – مستفيداً من الطروحات السابقة له – إلى ثلاثِ بنيات هي: زمن القصة, وزمن الخطاب, وزمن النص. فأمّا زمن القصّة فهو زمن المادة الحكائيّة كما وقعت قبل تخطيبها سرديّاً, وأمّا زمن الخطاب فهو زمن البناء الفنيّ للقصّة بمجمل أحداثها الزمنيّة إذ تُعطى فيه القصّة زمنيّتَها الخاصّة, وأما زمنُ النصّ فهو الزمنُ الذي يتمثّل أوّلاً من خلال (زمن الكتابة) التي يقوم بها الكاتب في لحظة زمنيّة مختلفة عن زمنِ القصّة أو الخطاب, و (زمن تلقّي النصّ) ثانياً, إذ يتلقّى القارئ النص[2], ولذا يتداخل ((فيه زمنان (القصّة/ والخطاب), مادام يُخطِّب زمنَ القصّة, أي يسلبُها قبليّتَها وخارجيّتها بترهينه إيّاها خطابيّاً على صعيد النص))[3].

وسبق ليقطين أنْ قسّمَ الزمنَ على (زمن صرفي), وهو مقابلٌ لِزمن القصّة, و(زمنٌ نحويّ), وهو مقابلٌ لِزمنِ الخطاب , و(زمن دلالي), وهو مقابل لزمن النصّ[4], وتَشكُّل الخطاب السرديّ عند يقطين مرتبطٌ بالطريقةِ التي عبرها يتمّ إيصال القصّة أو التعبير عنها[5].

ويرتبطُ الزمن بالأحداث وبالسرد؛ ولذا فإنّ زمنَ السردِ يتعلّقُ بزمن رواية الحكاية وما يُصاحبهُ من استباقاتٍ أو استجاعاتٍ زمنيّة[6].

---

(1) – يُنظر: في معرفة النص, دراسات في النقد الأدبيّ, د.حكمت صبّاغ الخطيب (يمنى العيد), 227, منشورات دار الآفاق الجديدة, ط2, بيروت–1984م.

(2) – يُنظر: انفتاح النص الروائي, النص والسياق,47.

(3) – م. ن, 50.

(4) – يُنظر: تحليل الخطاب الروائي, الزمن– السرد– التبئير,89.

(5) – يُنظر: م. ن, 169.

(6) – يُنظر: ثلاثيّة الراووق, الرؤية والبناء, (دراسة في الأدب الروائي عند عبد الخالق الركابيّ), 119.

ولمّا كان الزمن موازياً لحركة السرد, فإنّه يُلقي بظلالهِ على باقي عناصره, وهو على هذا يتّبعُ تقاناتٍ ينتظمُ على وفقها السرد, وأهمّ هذه التقانات المُتّبعة على مستوى الخبر , بِعدِّه جنساً سرديّاً, هي الترتيب الزمنيّ من حيث الاستباق والاسترجاع, وحركة السرد من حيث الإبطاء والتسريع, والتواتر بأشكاله المتنوّعة.

أوّلاً: الترتيب السرديّ

يعمل السارد على إعادة صياغةِ متنهِ الحكائيّ, على وفق صورةٍ فنّيّة قد تتطلّبُ إحداث مفارقاتٍ زمنيّة, فيتلاعب بالترتيب الزمنيّ للنصّ السرديّ, استباقاً واسترجاعاً؛ لِيُحقِّقَ فنّيّةَ نصّه التي يصبو إليها, ويخلقَ فضاءً لعالمِه السرديّ, كذلك فإنّ من شأن المفارقاتِ الزمنيّة هذه إحداثَ ((التشويق, والتماسُك, والإيهام بالحقيقيّ))[1].

إنّ الترتيب الزمنيّ للأحداث المسرودة من لدُن الراوي أو السارد يتّخذُ صورتين, الأولى تتمثّلُ في إيراد حدثٍ آتٍ أو الإشارةِ إليه مسبقاً, وهذه العمليّة تُسمى بسبْقِ الأحداث, والصورةُ الثانية تتمثّلُ في إيرادِ حدثٍ سابقٍ للنقطةِ الزمنيّة التي بلغَها السرد, وتُسمّى بالاستذكار [2] أو الاسترجاع.

1- الاستباق :

وهو مفارقةٌ زمنيّةٌ باتّجاه الأمام, تعملُ على تصويرٍ مستقبليّ لِحدثٍ سرديّ سيأتي فيما بعد, ((إذ يقومُ الراوي باستباق الحدث الرئيسيّ في السرد بأحداثٍ أوّليَّةٍ تُمهّدُ للآتي, وتومئ بالتنبؤ واستشراف ما يمكنُ حدوثه))[3], وعلى وفق هذا يتمّ تقديم المستقبل في لحظة الحاضر السرديّ[4].

---

[1] – تقنيّات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيوي, يمنى العيد,75, دار الفارابي, ط2, لبنان– 1984.

[2] – مدخل إلى نظريّة القصّة, تحليلاً وتطبيقاً, 76.

[3] – الزمن في الرواية العربيّة, 211.

[4] – يُنظر: الإشارة الجماليّة في المثل القرآنيّ, د.عشتار داود محمّد, 177, منشورات اتحاد الكتاب العرب, ط1, دمشق– 2005م.

من ذلك ما رواه ابن المِبْرد في أخبارِ المجنون عن بعضهم قال: ((لمّا ظهرَ من المجنون ما ظهر, ورأى قومُه ما ابتُلي به، اجتمعوا إلى أبيهِ وقالوا له: يا هذا! قد ترى ما ابتُلي به ابنُك، فلو خرجتَ به إلى مكّة, فعاذَ ببيتِ الله الحرام، وزارَ قبرَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، ودعا الله عزّ وجلّ، رجونا أن يرجعَ عقلُه، ويعافيه الله، فخرجَ أبوه حتى أتى مكة، فجعلَ يطوف به ويدعو الله، عز وجل، له بالعافية...))[1].

فذهابُ أبي المجنون بابنهِ إلى مكّة, وطوافُه به, ودعاؤهُ له؛ أمرٌ مُتوقَّعٌ استُشرِفَ من طلبِ القومِ أن يُطافَ بالمجنونِ لعلّ عقلَه راجعٌ إليه.

وقد تأتي الاستباقات في السردِ على صورة حُلُمٍ أو نبوءةٍ, أو افتراضاتٍ, صحيحةً كانت أم خاطئة, تجاه المستقبل[2], وهذا النوعُ قليلٌ نادرٌ في أخبار الشعراء, ومن أمثلته ما جاء في أخبار السيّد الحميريّ, أنّه قال: ((رأيت النبي (ص) في المنام, وكأنّهُ في حديقةِ نخلٍ, وإلى جانبها أرض كأنها كافورةٌ[3] ليس فيها شيءٌ, فقال لي: أتدري لِمن هذا النخل؟, قلتُ: لا يا رسول الله, قال: لِامرئ القيس بن حجر, فاقلعها واغرسها في هذه الأرض التي أنا بها, فجعلتُ أنقله إلى أن نقلتُ جميعهُ, فجاء أبي, وأنا صبي, إلى محمد بن سيرين[4] , وقال لي: يا بني, اقصُصْ عليه رؤياك, ففعلتُه, فقال: أتقولُ الشعر؟, قلتُ: لا, قالَ: أما أنّكَ

---

(1) – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 34.

(2) – يُنظر: نظريّة المنهج الشكلي, نصوص الشكلانيّين الروس, 180.

(3) – الكافور: نبت طيّب الرّيح يُشبه بالكافور من النّخل, وكافور النخل: وعاء الطلع, يُنظر: المحكم والمحيط الأعظم, ابن سيده, تح: عبد الحميد هنداوي, 6/7, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت– 2000 م, وقال الشاعر في هذا المعنى:

وحبابها درٌّ أطاف بكأسها والكأس من كافورةٍ بيضاءِ

يُنظر: البصائر والذخائر, أبو حيان التوحيدي, ت: د. وداد القاضي, 2/ 166, دار صادر, ط1, بيروت– 1988 م.

(4) – أبو بكر محمد بن سيرين البصري، كان أبوه عبداً لأنس بن مالك، كاتبه على أربعين ألف درهم، وهو أحد الفقهاء المذكورين بالورع في زمانه, وكان من أهل البصرة، وكانت له اليد الطولى في تعبير الرؤيا, مات سنة (110هـ)، وهو ابن سبع وسبعين سنة, يُنظر: طبقات الفقهاء, أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: 476هـ), محمد بن مكرم بن منظور, ت: إحسان عباس,88, ط1, دار الرائد العربي، بيروت, لبنان–1970م, ويُنظر: وفيات الأعيان,181/4.

ستقولُ الشعرَ مثلَ امرئ القيس, إلّا أنّك تقولُه في قومٍ طهرةٍ أبرار, فما انصرفتُ من عندِه إلّا وأنا أقولُ الشعر))[1].

إنّ الاستباق المُتحصّل في هذا الخبر, يتمثّلُ بنبوءةٍ حُلُميّة, حصلتْ للسيد الحميريّ, وتحقّقتْ فيما بعد, بيدَ أنّ هذا الحُلُم, بِعدِّهِ حدثاً استشرافيّاً, لم يتحقّقْ بصورتهِ السرديّة عينها, من التقاء الرسول لاحقاً, ومحادثته للسيّد, وصولاً إلى قيامِ السيّد الحميريّ بنقلِ النخل العائد لامرئ القيس إلى أرضٍ خصّها الرسول (ص), وإنّما تحقّقَ تعبيرُ هذه الرؤيا.

وإذ نكتفي بهذا التمثيل فإن ممّا تجدر الإشارة إليه أنّ الاستباقات الزمنيّة تقلّ في بعض المتون الخبريّة – موضع الدراسة – , وتضمحلُّ في بعضِها الآخر؛ ذلك أنّ السرد التقليديّ القائمُ على مبدأ السببيّةِ مهيمنٌ بصورة عامّة على السرد العربيّ القديم, لاسيما سرد الأخبار, إذ يُبنى الزمنُ في السرد التقليديّ – في الغالب– بناءً تتابعيّاً على وفقِ الترتيب المنطقي للأحداث[2].

2- الاسترجاع:

وهو مفارقةٌ زمنيّة تُعيدنا إلى الماضي بالنسبة للحظة السرد الراهنة[3], تلك المفارقة التي يسير فيها الزمن السرديّ على وفق البناء التداخلي الذي لا يحْدُثُ فيه تسلسلٌ منطقيّ للأحداث, فلا يتقدّم زمن الخطاب على وفق ترتيب زمن الحكاية, إنّما يشتبكُ الزمنان بصورة لا تخضع للترتيب المنطقيّ[4].

وتتداخلُ الاسترجاعات مع الحكايةِ الأولى, إذ تعملُ على أكمالِها وتنويرِ القارئ[5], بما يُحقِّقُ للسردِ اتّساقه الفنّي. ويمثّلُ الاسترجاع ((نوعاً من الاتّساع النصّيّ الذي يُحقِّق بالضرورةِ

---

(1) – أخبار السيد الحميري, 21

(2) – يُنظر: الزمن في الرواية العربية,65–70.

(3) – يُنظر: المصطلح السرديّ, 25.

(4) – يُنظر: الزمن في الرواية العربيّة, 71.

(5) – يُنظر: خطاب الحكاية, 61.

غاياتٍ جماليّة ودلاليّة))[1], لعلَّ منها سدَّ الثغرات التي يخلّفُها السردُ الحاضر, فيساعد على فهمِ مسار الأحداث, وتفسيرِ دلالاتِها, أو قدْ يعمل على إضاءةِ سوابقِ الشخصيّة , أو أنّ شخصيّةً اختفتْ وعادتْ للظهورِ من جديد فيُستعاد ماضيها قريبُ العهد, كما وإنّ من شأنِ الاسترجاع تنويرَ اللحظةِ الحاضرةِ بالأبعادِ النفسيّةِ والاجتماعيّة للشخصيّة[2].

وإذ يتمثّلُ الاسترجاعُ بإيراد ((السارد لِحديثٍ سابقٍ على النقطة الزمنيّة التي بلغها السرد))[3], فإنّهُ من الممكن تقسيمَ الاسترجاعات على قسمين:

المبحث الثاني: المكان

يُعدُّ المكانُ عنصراً أساساً من العناصرِ التي يرتكزُ عليها السرد, إذ يُشكّلُ مع الزمنِ البيئةَ ((التي تقعُ فيها الأحداث, وأفعالُ الشخصيّات (حركاتها وسكناتها), ومثلما لا يكونُ هناك قصٌّ بِلا زمنٍ, لا يمكن أنْ يكونَ قصٌّ بِلا مكانٍ, إذ لا يمكنُ لحدثٍ أن يتمَّ في زمنٍ معيّن من دونِ أن يكونَ له مكانٌ يحتضنه ويضمّه, مهما كان حيّزهُ محدوداً))[4].

---

[1] – السرد عند الجاحظ (البخلاء نموذجاً), فادية مروان الونسة, 87, أطروحة دكتوراه, جامعة الموصل, كلية الآداب– 2004م.

[2] – يُنظر: الزمن في الرواية العربية, 71.

[3] – التجريب في القصّة العراقية القصيرة , حقبة الستينات, 202.

[4] – البنية السرديّة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني, 87.

والمكانُ ذلك الحيّزُ الذي يؤطِّرُ الأحداثَ, والمسرح الذي تتحرّك فيه الشخصيّات[1], ولا يمكنُ افتراض المكان مجرّد إطارٍ يحتوي العناصر السرديّة أو مجرّد حيّزٍ للحياة فحسب, بل هو صورةٌ مهمّة من صورِ وجودها[2], فهو العنصر السرديّ الفعّال والمتواشج مع عناصر السرد, الذي يمكن له أن يُدلِّلَ على بعضِ سمات الشخصيّة الاجتماعيّة, وهو حتْماً المركزُ الذي يجري فيه الفعل الحدثي.

والمكانُ هو الإيقاع الذي ينظّم العلاقات الناشئة بين عناصر السرد, إذ يتّسِعُ لِيحتوي هذه العلاقات بين الشخصيّات والأحداث[3], ((ولمّا كان الخبرُ بنيةً سرديّةً قِوامها السهولة والإيجاز, فإنّ التنويعَ في الفضاءِ المكانيّ يكون محدوداً, إذ يؤثِّثُ الخبر مكاناً واحداً في أغلبِ الحالات, لأنّ الوظيفةَ المُتوخّاة منه محدّدةٌ وواضحة))[4].

وقد تعدّدت الاصطلاحات الدالّة على المكان عند النقّاد, فهو المكانُ تارةً, والفراغُ تارةً أُخرى, أو هو الحيّزُ أو الفضاء[5]. ولعلّ مُصطلحَي (المكان), و(الفضاء) هما الأشيع

---

[1] – يُنظر: مدخل إلى نظريّة القصّة, تحليلاً وتطبيقاً, 64.

[2] – يُنظر: سرد الأمثال, 170.

[3] – يُنظر: بنية الشكل الروائي (الفضاء, الزمن, الشخصيّة), 29.

[4] – آليّات بناء الخبر في السرد العربي القديم, دراسة في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة,104.

[5] – يُنظر: بناء الرواية, 53.

والأكثر قبولاً وانتشاراً لدى الدارسين والنقّاد[1].

وتستعمل سيزا قاسم مصطلح (المكان) لِكونه أكثرَ اتّساقاً مع لغةِ النقد[2], فيما يرى حميد لحمداني أنّ الفضاءَ أوسع وأشمل من المكان, إنّهُ مجموعُ الأمكنة التي تقوم عليها سيرورة الحكي, ثم أنّ الفضاءَ يتطلّبُ خَطّاً زمنيّاً لإدراكِهِ, بخلاف المكان الذي لا يتطلّب سيرورةً زمنيّة[3].

وإلى مثلِ هذا يُشيرُ سعيد يقطين بقولِه: ((إنّ الفضاء أعمُّ من المكان؛ لأنَّه يُشيرُ إلى ما هو أبعد وأعمق من التحديدِ الجغرافيّ, وإن كان أساسيّاً, إنّه يسمحُ لنا بالبحثِ عن فضاءاتٍ تتعدّى المحدودَ والمجسّد لِمعانقة التخييليّ الذهنيّ, ومختلف الصور التي تتّسعُ لها مقولَة الفضاءِ))[4], فهو قد يتجاوزُ الحيّزَ الواحد لِيكونَ دالّاً على مجموع هذه الأمكنة[5], بل قد يمتدُّ لِيدلَّ على مجملِ السرد بأحداثِه المتنوّعة, والذي قد يجري في أمكنةٍ متنوّعة[6].

وقد دُرِست الأمكنةُ في النصوصِ السرديّةِ دراساتٍ متعدّدةً, وقُسّمتْ أقساماً متنوّعةً؛ فمنهم من قسّمها على أمكنةٍ ذاتيّةٍ وأخرى جماعيّةٍ, ومنهم من قسّمها على أمكنةٍ ثابتة وأخرى متغيّرةٍ, ومنهم من رأى تقسيمَها على أمكنةٍ جاذبة وأخرى طاردة. كلُّ ذلك تبعاً للمتنِ المدروس[7].

---

(1) – يُنظر: رواية الكرنك لنجيب محفوظ, مقاربة في هندسة الفضاء, سهيلة دهيمي,14, رسالة ماجستير, جامعة محمد بو ضياف– المسيلة, كلية الآداب واللغات, الجزائر–2015م.

(2) – يُنظر: بناء الرواية, دراسة مقارنة في ((ثلاثيّة)) نجيب محفوظ,, 76.

(3) – بنية النصر السردي من منظور النقد الأدبي, 63.

(4) – قال الراوي, البنيات الحكائيّة في السيرة الشعبيّة,سعيد يقطين,237, المركز الثقافي العربي,ط1, بيروت–1997م.

(5) – يُنظر: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, 62.

(6) – يُنظر: رواية الكرنك لنجيب محفوظ, مقاربة في هندسة الفضاء, 24.

(7) – يُنظر: البنية السرديّة في كتاب الأغاني, 89.

وقد قسّمَ عبد الله إبراهيم المكانَ على (آمن) و (غير آمن)[1], فيما قسّمَ شجاع مسلم العاني المكانَ على أربعةِ أقسام, هي: (المكان المسرحيّ), و(المكان التاريخيّ), و(المكان الأليف), و(المكان المعادي)[2].

وبالنظر إلى طبيعةِ البناء السرديّ في "أخبار الشعراء", يمكنُنا رصدُ نمطين من الأمكنةِ, هما: المكان المألوف, والمكان غير المألوف.

أوّلاً: المكان المألوف

ونقصدُ به ذلك المكانَ الذي ينتمي إلى عالمِ الواقع والذي ((لا أثرَ فيه للرسمِ الخياليّ))[3], وهو المكانُ الذي يُشعِرُ بالأمانِ والدفء والحمايةِ والألفة[4], إذ تعيشُ فيه الشخصيّةُ بصورةٍ طبيعيّةٍ من دونِ أنْ تشعرَ بوجودِ أدنى خطرٍ فـ ((ثمّة حماية لهذا المكان من الخارج المعادي وتهديداتِه))[5].

وتتشكّلُ الألفةُ المكانيّة من عدمِها تبعاً لِعلاقةِ الشخصِ بالمكانِ وانطباعاتِه المعرفيّة, ((ولعلّ التركيزَ على عَلاقةِ الذات بالمكان, لدن فحصِ المكان من النصّ السرديّ في ضوءِ ثنائيّةِ الألفةِ والضدّيّة, يعني تحوّلَ تلك الذاتِ إلى عيارٍ يُقاسُ على أساسهِ توصيفُ المكانِ ضمنَ واحد من ذينك الوصفين))[6].

---

[1] – يُنظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق, دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقيّة المعاصرة, عبد الله إبراهيم,139–140, دار الشؤون الثقافيّة العامة, ط1, بغداد –1988م.

[2] – يُنظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق, الوصف وبناء المكان, شجاع مسلم العاني,31/2,وما بعدها, دار الشؤون الثقافيّة العامّة, ط1, بغداد–2000م.

[3] – تقنيّات السرد من منظور النقد الروائي, 144.

[4] – ينظر: التجريب في القصة العراقية القصيرة, حقبة الستينات,237, ويُنظر: البناء الفني في القصة القصيرة في العراق, من 1990–2000م, 237.

[5] – الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا, إبراهيم جنداري, 237, ط1, دار الشؤون الثقافيّة العامّة, بغداد– 2001م.

[6] – أنماط المكان وتكوين العالم الروائي (دراسة في أربع روايات من روايات طه حامد شبيب), د.سرحان جفات سلمان, 72, مجلة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة, المجلد الثامن, ع3–4, 2005م.

والمكانُ الأليفُ في الخبرِ ذلك المكانُ المُعتاد, والذي لا يُشكِّلُ ارتياباً, ولا يُحدِثُ نفوراً واستغراباً أو دهشةً وإلتفاتاً مثيراً, إنّما هو مكانٌ ألفتهُ النفسُ واعتادتْ عليه, كالبيوت, والقصور, والمساجد, والأماكن العامة, ونحوها.

وللمكانِ دَلائلُ وإيحاءاتٌ قد تُنبئ عن البيئةِ الثقافيّةِ التي نشأتْ في كنفها الشخصيّة, ومن ذلك ما وردَ في خبرِ نشأة أبي نواس, قيلَ: ((وقد نشأَ أبو نواس بالبصرة, وقرأَ القرآن على يعقوب الحضرميّ[1], فلمّا حَذَقَ القرآنَ رمى إليه يعقوب بخاتمه, وقال له: إذهبْ فأنتَ أقرأُ أهلِ البصرة))[2].

فـ(البصرة) في القرن الثاني الهجريّ بيئةٌ ثقافيّةٌ خصبة, وكانت مكتظّةً بالمجالس التي تُعنى باللغة والأدب والقراءات والنحو, وكان فيها علماء أعلام برعوا في كلّ فنّ[3], فلا ضيرَ أن تُلقي هذهِ البيئة بظلالِها على نشأة شاعرنا أبي نواس, لاسيما وقد شهدَ له أُستاذه الحضرميّ بالحذَق في القرآنِ بعد أنْ تلْمذَ له. ويعقوب الحضرميّ هذا من بيتِ علمٍ بالعربيّة والأدب, وقد ذاعَ تعليمُه للقراءات القرآنيّة, حتّى صار إمامَ البصرةِ فيها, وكان من أعلمِ أهل زمانه بمذاهب النحاة في القرآن الكريم, ووجوه الاختلاف فيه[4].

ومثلما يكشفُ المكان عن طبيعة البيئة التي تنشأ فيها الشخصيّة فإنّه قد يرصدُ تحركاتِ الشخصيّة, وسيرورةَ تنقّلاتِها اليوميّة التي قد تُفصحُ عن طابعِها السلوكيّ, ومن ذلك ما وردَ في خبرِ أبي نواس لمّا اجتمعَ بعددٍ من أصحابه فقال لهم: ((هلْ لكم أن نُدلجَ إلى الكرخ فإنّ بها حانةً لم أرَ مثلهَا في نظافتِها وطيبِها وحُسنِ شرابِها, وأنا اشتهي أن أسكرَ فيها, وأقيمَ بها أيّاماً...))[5].

---

(1) – أبو محمد يعقوب بن إسحاق بن يزيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي بالولاء، البصري المقرئ المشهور، وهو أحد القراء العشرة، وهو المقرئ الثامن وله في القراءات رواية مشهورة منقولة عنه، توفي في ذي الحجة، وقيل في جمادى الأولى، سنة (205هـ), يُنظر: وفيات الأعيان,390/6.

(2) – أخبار أبي نواس, ابن منظور,6/1.

(3) – يُنظر: أبو نواس, قصّة حياته وشعره, عبد الرحمن صدقي, 19, منشورات لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلاميّة, ط1, القاهرة–1944م.

(4) – يُنظر: وفيات الأعيان, 390/6.

(5) – أخبار أبي نواس, المهزمي, 36–37.

فـ(حانة الكرخ) مكانُ اللهوِ والعبثِ الذي حفّز أبو نواس صحبَه للولوجِ إليه؛ يكشِفُ سلوكاً عبثيّاً كان يتّبعه أبو نواس حيث السكر وما يُرافقُه, كلُّ ذلك أوحى به المكانُ (الحانة) الذي أخذ أبو نواس يصفُه وصفَ عارفٍ عليمٍ بتفاصيل المكان, وقد صحب أبو نواس المتهتّكين, وكان على رأسهم ((فقد كان حقّاً إباحيّاً غالياً في الإباحةِ))[1] والخروجِ على حدود الدين والعُرف, وكان من شأنِ المكان أن يكشفَ لنا جوانبَ من هذا العبث والمجون, إذ المكان لا يرِدُ في الغالب منفصلاً عن باقي عناصر السرد, بل يرد ملتحماً بها, متواشجاً معها لِرسم الطابع العام للخبر المُراد إيصاله, وإذ يصف أبو نواس المكان ويُزاوله, فإنّه يغدو أليفاً بالنسبة لاعتبارات الشخصيّة أو الجماعة المزاولة له.

وللمكانِ أن يُسهم في بناءِ الحدث ورسم معالمه, فلا يكون وقتَها مجرّدَ وعاءٍ لاحتواء الوقائع, بل يصبحُ عنصراً فاعلاً إلى جانبِ الشخصيّة, من ذلك ما جاء في خبرِ سيبويه المصريّ, وسببِ اختلاط عقله, قيل: ((وكان أبواه يسكنان يومئذٍ عند دور بني رسدين, فكان مقابلَ الدار بئرُ ماءٍ معين يستقي منه الجيران، فخرج أبوه يوماً يتصرفُ في معيشتِه, وخرجتْ أُمُّه لِحاجةٍ لها، وأَغلقتْ على سيبويه الباب، وهاج فرمى بنفسه من الطاقِ إلى الطريق، فوقعَ في البئرِ فضبطه الماء، ولولا ذلك لَتكسّر ووقعت الصيحة))[2].

فالخبرُ يسعى إلى إيضاحِ حدثٍ رئيسٍ تمثّل بسببِ اختلاطِ عقلِ سيبويه, فيما يمثلُ سقوطُ سيبويه في البئر (المكان) إيضاحاً لِهذا الحدث؛ ولِذا فالمكانُ في هذ الخبر بنيةٌ سرديّةٌ فاعلةٌ في بناءِ الحدثِ الخبريّ, وتأتي فاعليّة هذه البنية ممّا تشكّل من ثنائيّةٍ بين الألفة والضدّيّة, إذ يتحوّلُ المكان من كونه مصدراً للخوف والقلق, حيث السقوط في البئر؛ إلى مكانٍ آمنٍ مثَّلَ طوقَ النجاة للشخصيّة.

إنّ الأمكنةَ الأليفة كالبيتِ والوطنِ والبادية, ونحو هذا, تتميّز بالمواقفِ الإيجابيّة للشخصيّةِ منها, إذ تتمتّعُ هذه الأمكنة بقيمِ الحماية والألفة؛ ولِذا فإنّ المكان الأليف يُثبت الارتباط[3], ويُشعرُ الشخصيّة

---

(1) – أبو نواس, الحسن بن هانئ, عبّاس محمود العقّاد,29, ط1, منشورات المكتبة الصريّة, صيدا–1971م.

(2) – أخبار سيبويه المصري, 21.

(3) – يُنظر: المكان في شعر ابن زيدون, ساهرة عليوي حسن العامريّ,22, رسالة ماجستير, جامعة بابل, كلّيّة التربية,2008م.

بالانتماءِ والتواصل, فتقرأ في خبر المجنون أنَّهُ ((كان يأوي مع الوحش, وكان له رابّةٌ ربّتْهُ صغيراً, فكانَ لا يألف غيرها, ولا يقرُبُ منه أحدٌ سواها, فكانتْ تخرجُ في طلبِه في البادية...))[1].

وإذْ يأوي المجنونُ معَ الوحش , وفي البوادي, وفي كهوفِ الجبال[2], فإنَّ تلك الأماكن باتتْ أليفةً للمجنون, قد خبرها وتآلف معها , حتّى ماتَ بين حجارة الوديان[3].

ثانياً: المكان غير المألوف

وقد يُسمّيه بعضُهم المكانَ المعادي, ويُرادُ به كلُّ مكانٍ تخافُه النفس, وتأبى القرارَ فيه, لِخوفِها من سطوةِ شخصٍ أو سُلطة أو أيّ شيءٍ آخرَ كأن يكون حيواناً ما, أو فكراً مُخالفاً لِفكرِ الشخصيَّةِ وعقيدتِها[4].

وهو المكانُ الخانق المُلقى خارجَ النفس والذي قد يُثير في النفس الإنسانيّة الخوفَ, والقلقَ إلى حدِّ الاختناق[5], وقد يتمثَّلُ بذلك المكان الذي لم يُعتد السكنُ فيه أو الولوج إليه, فضلاً عن الحديثِ عنه بكَثرة, فهو مكانٌ ناءٍ عن طبيعةِ الحياةِ اليوميّة, وقد يكون من شأنهِ إثارةُ الدهشةِ والاستغراب لِما قد يحتملُه من خوفٍ أو قَلقٍ أو ارتياب.

ومن ذلك ما رُوي في خبرِ موتِ المجنون, فقد ذُكِرَ ((أَنَّ كُثيِّراً قال: بينما أنا عند مجنونِ بني عامر إذ جاءَ راكبٌ, فقال: تعزَّ يا قيس!, قالَ: عمّن؟ قالَ: عن ليلى, فقام إلى بعيره, وقمتُ إلى بعيري, ثمّ أتينا الحيَّ, فأُرشِدَ إلى قبرِها, فأقبلَ يُقبّلُه, ويلزمه, ويشمُّ تُرابه, ويُنشدُ الشعر, ثم شهق, فمات, فدفنتُه))[6].

---

(1) – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 45.

(2) – يُنظر: م. ن, 48.

(3) – يُنظر: م. ن, 58.

(4) – يُنظر: البنية السرديّة في كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني,105.

(5) – يُنظر: المكان في شعر ابن زيدون, 47.

(6) نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 58.

فالقبرُ, بعدِّهِ مكاناً, كان مثارَ فزع المجنون وريبته, فأثار قلقَه وذعرَه, كَمداً على ليلى حتّى شهقَ فماتَ من ساعتِه, كما قيل. وقد شكّل قبرُ ليلى موقفاً صادماً للمجنون, فهو مكانٌ يتّسمُ بضدّيّته للأمكنة التي خبرها المجنون واعتادها, إذ تكون الضدّيّة ((صفةً للمكانِ بناءً على أسس عديدة, فقد تكون نتيجةَ عواملَ تتحرّكُ في ذلك المكان, وموقفِ تلك الذات من محيطِها, وقد تكون نتيجةً لِما في ذلك المكانِ من عواملَ تضغطُ على الذاتِ محوّلةً احتمالاتِ الألفةِ في المكانِ إلى احتمالاتٍ ضدّيّة))[1].

وقد تكون غير مألوفيّة المكان غاية في الغرابة والدهشة, عندما يكون الحديث عن مكانٍ غير واقعيّ خارج حدود المألوف المعتاد, من ذلك ما جاء في خبرِ الحلّاج عندما كان يسيرُ مع نفر من أشياعه, وذكروا الحلاوةَ, وقالوا هي على الشيخ, فرفعَ الحلّاجُ رأسَهُ بالدعاء, فاستُجيب له, فهبطتْ على طريقِهم قِطعُ الحلاوةِ المُلوّنة, ثمّ يواصلُ أحدُهم قائلاً: ((فأكلنا، ولم يأكلْ منه، فلما استوفينا ورجعنا خطرَ بِبالي سوءُ ظنٍّ بِحالِه، و كنتُ لا أقطعُ النظرَ عن ذلك المكان، وحافظتُه أحوطَ ما يُحافظُ مثلُه، ثم عدلْتُ عن الطريق للطهارةِ، وهم ذاهبون، ورجعت إلى المكانِ، فلمْ أرَ شيئاً، فصلّيتُ ركعتين وقلتُ: اللهم خلّصني من هذه التهمة الدنية, فهتفَ هاتفٌ: يا هذا أكلتُم الحلاوةَ على جبلِ قاف، وتُطلبُ القطع ها هنا، أحسِنْ همَّك، فما هذا إلا ملكُ الدنيا و الآخرة))[2].

فجبل (قاف) مكانٌ مثيرٌ للدهشةِ والاستغراب, وهو محطُّ استفهامٍ وغرابةٍ عند عامّة الناس, إلى جانب دهشة الأحداث التي جرتْ وغرابتها, والتي عكستْ التواشجَ بين عناصرِ السردِ مجتمعةً لِرسمِ معالمِ عدمِ الألفةِ في الخبر, وسبق أن وقفنا عند هذا الخبر وما يماثلُه ضِمن حديثِنا عن التشكّل الفنّيّ للخبر؛ ولذا نكتفي بهذا التمثيل.

---

[1] – أنماط المكان وتكوين العالم الروائيّ (دراسة في أربع من روايات طه حامد شبيب), 75.

[2] – أخبار الحلّاج, 70.

المبحث الرابع: الحدث

الحدثُ عنصرٌ آخر من عناصرِ السردِ المهمّة, وإذا أمكنَ أن نتصوّرَ وجودَ بعض الشخصيّات الهامشيّة التي تلتزم السكون, فينعدم فعلُها في أثناء السرد النصّيّ, فإنّ من المستحيلِ تصوّر وجود حدثٍ من دونِ وجودِ شخصيّة, فالشخصيّةُ مصدرٌ أساس ((للحدثِ, لأنّها تُنْتجُ أفْعالاً تترابطُ فيما بينَها بعَلاقاتٍ سببيّة أو زمانيّة, وتتبلور هذه الأحداثُ في الزمانِ لتكوّنَ الحدث))[1].

وإذ يرتبطُ وجودُ الحدثِ بوجودِ الشخصيّة فإنّه ((لا يخفى الارتباط الوثيق للحدث بعُنصرَي الزمان والمكان, إذْ إنّهُ يتمثّلُ بمجموعةٍ من الوقائع المتناثرةِ في الزمانِ والمكان))[2].

والحدثُ سلسلةٌ من الوقائعِ المتّصلة[3], التي تنتظمُ أو تتناثرُ في الزمانِ وتكتسبُ ((خصوصيّتها وتميّزها من خلالِ تواليها في الزمانِ على نحوٍ معيّن, وإزاء هذا نجدُ أنّ الزمانَ حقيقةٌ مُطْلَقَةٌ تكتسِبُ صفتَها المحسوسةَ من خلالِ مرور تلك الوقائع؛ ولِهذا فكلٌّ من الحدثِ والزمان لا يكتسبُ خصوصيّةً إلّا من خلالِ تداخلهِ مع الآخر))[4].

وكان الشكلانيّون الروس أوّلَ من درسَ الأنساقَ البنائيّة للحدَثِ فقسّموها على أنساقٍ أربعة, هي: نَسقُ التضمينِ, ونسق التأطير, ونسق البناء ذو المراقي, ونسق التنضيد[5]. في حين قسّمَها تودوروف على ثلاثةِ أنساقٍ هي التضمين, والتتابع, والتناوب[6].

---

(1) – البناء الفنّي لرواية الحرب في العراق, دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقيّة المعاصرة, 18.

(2) – البنية السرديّة في شعر نزار قباني, انتصار جويد عيدان, 53, رسالة ماجستير, جامعة بغداد, كلّيّة التربية للبنات, 2002.

(3) – يُنظر: المصطلح السردي, 19.

(4) – البناء الفني لرواية الحرب في العراق, 27.

(5) – يُنظر: نظريّة المنهج الشكليّ, نصوص الشكلانيّين الروس, 123– 146.

(6) – يُنظر: الشعريّة, تزفيطان طودوروف, ترجمة: شكر المبخوت, رجاء بن سلامة, 7, ط1, دار طوبقال للنشر, المغرب– 1987.

ويختلفُ الدارسون في تقسيمهم للأنساقِ البنائيّة [1], تبعاً لاختلاف المتونِ المدروسة, وتوجيه السارد لها.

وإذ تتنوّعُ الأحداث بتنوّعِ الشخصيّات أو الأمكنة أو الأزمنة, فإنّ تنوّعَها وتعدّدها غير مرهونٍ ((بتعدّدِ الرواة, فبإمكانِ راوٍ واحد أنْ يعقدَ علاقات بين مقاطعَ حكائيّةٍ مختلفة))[2], كما أنَّ تعدُّدَ الأحداث غيرُ مرهونٍ بِتعدُّدِ الشخصيّاتِ أو تبدّلِ الأمكنة.

وبالنظرِ إلى المتون الأخباريّة المدروسة يُلحَظُ شيوعُ بعضِ الأنساقِ البنائيّة للحدثِ, سنقفُ عند أكثرها اطّراداً وحضوراً.

أوّلاً: النسق المُتتابِع

وهو البناءُ الذي تُقدَّمُ فيه الأحداثُ في خطٍّ متسلسلٍ تسلسلاً زمنيّاً مُطّرداً, على وفق ترتيبِ وقوعِها[3], وهو الأكثرُ شِيوعاً من بين الأنساقِ البنائيّةِ في السردِ العربيّ القديم, ((وقد هيمنَ مدّةً طويلَةً على فنّ القصّ بمختلفِ أجناسهِ, فقد كانت الأحداثُ تُقدّمُ للسامعِ بنفسِ ترتيبِ وقوعِها, أي سردها, وبحسبِ ترتيبِها الزمنيّ))[4].

وإذ يتتابعُ السردُ على وفقِ هذا النمط فإنّهُ يخلو من الارتدادِ, أو العودةِ إلى الخلفِ, وصولاً إلى نهايةٍ مُعيّنة[5].

إنَّ من أبرزِ خصائصِ المتونِ المُتتابعةِ, الخضوعُ لِمبدأ السببيّة, إذ الحدثُ السابقُ سببٌ للحدثِ اللاحق, واللاحقُ نتيجةٌ لِما سبقَه[6]. من ذلك ما جاءَ في (أخبار سيبويه المصريّ), عن بعضِهم قال:

---

[1] – يُنظر: البناء الفني لرواية الحرب في العراق, 27, ويُنظر: البناء الفنّي في القصّة القصيرة في العراق من 1990–2000م, 272.

[2] – بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي), 49.

[3] – يُنظر: البنية السرديّة في شعر نزار قبّاني, 58.

[4] – الفضاء الروائيّ عند جبرا ابراهيم جبرا,73.

[5] – يُنظر: البناء الفنّي لرواية الحرب في العراق, 28.

[6] – يُنظر: المتخيّل السردي,109.

((كُنّا في زُقاقِ القناديل[1] حتى جاءنا النذيرُ بسقوطِ سيبويه, فبادرْنا إليه, وأخرجناه من البئرِ لا نشكّ في موته إلّا أنّي رأيتُه يحرّك رجلَه, فقلتُ للناس هو حيّ, فأقامَ مدّةً طويلةً ثمّ برئ من عِلّته, وصار يعرج ويتوكّأ على عصا, وربّما لمْ يأخذ العصا, وكان كثيراً ما يقولُ: رُميتُ من ثماني طبقاتٍ, أربعٌ في عِنانِ السماء, وأربعٌ في تخومِ الأرضِ الرابعة السُفلى...))[2].

فقدْ توالت الأحداثُ بتتابعيّة سببيّة من دونِ أن يكونَ للمفارقات الزمنيّة مِنْ حضور, وإذ يشيعُ هذا النسقُ البنائيّ في متونِنا الخبريّة فإنّ ما يوجبُه طبيعةُ الخبر القائمة على الإيجازِ والاختزال, التي لا تسمحُ أحياناً بمزيدٍ من الارتداداتِ الزمنيّة, كما أنّ الغالبَ على السردِ العربيّ القديم – لاسيما السرد الخبري – طابعُ السرد التقليدي الخطّي أو التسجيليّ, فهو يتدرّجُ من الأمامِ إلى ما يليه[3].

ولعلّ شيوع هذا النسق البنائيّ في المتونِ السرديّة القديمة راجعٌ ((إلى طبيعةِ تأثيرِ التاريخ في السرد, فمن أخصّ ما يميّزُ التاريخَ هو نقلُ الواقعةِ الخبريّة نقلاً متتابعاً, دون انحرافاتٍ تخلّخلُ بنيتِها, وبِسببِ رسوخِ هذا النظام اعتُبِرَ من السمات الأساسيّة للآداب السرديّة))[4].

ومِن المُلاحظ أنّ نسقَ البناء المتتابع غالباً ما يحضرُ إذا كانَ السردُ ذاتيّاً, إذ يقومُ السارِدُ بمتابعةِ الأحداث برؤيةٍ ذاتيّة مشاركة أو مُراقبة, فيُوالي الأحداثَ متتابعةً , متّخذاً دورَ الشاهِد عليها, فيسردُها مفصّلة من دونِ أيّ ارتدادٍ زمنيّ أو استباق. من ذلك ما جاء في (أخبار الحلّاج), قالَ بعضُهم: ((دخلتُ على الحلّاج بين المغربِ والعشاء, فوجدتُه يُصلّي, فجلستُ في زاويةِ البيتِ كأنّه لمْ يحسَّ بي لاشتغالِه بالصلاة, فقرأَ سورةَ البقرة في الركعة الأولى, وفي الركعة الثانية آل عمران, فلما سلّمَ سجدَ وتكلّمَ بأشياءَ لمْ أسمعْ

---

[1] – محلّة بمصر مشهورة, فيها سوق الكتب والدفاتر والظرائف كالآبنوس والزجاج وغير ذلك ممّا يستظرف، وسمّي بذلك لأنّه كان منازل الأشراف, وكانت على أبوابهم القناديل , يقال له زقاق الأشراف لأن عمرو بن العاص كان على طرفه ممّا يلي الجامع, يُنظر: معجم البلدان, 145/3.

[2] – أخبار سيبويه المصريّ, 21–22.

[3] – يُنظر: انفتاح النص الروائي, النص والسياق, 47

[4] – السرديّة العربية – من التواصل إلى التفاعل – 19.

بمثلِها, فَلمّا خَاضَ في الدُّعاء رفعَ صوتَه كأنه مأخوذٌ عن نفسهِ ثم قال: يا إله الآلهة، ويا ربّ الأرباب، ويا من(..لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ..)[1], رُدَّ إليّ نفسي لِئلّا يُفتَتَن بي عبادُك, يا هو أنا وأنا هو[2]، لا فرقَ بين أنيّتي[3] وهُويّتك[4] إلاّ الحدث[5] والقِدَم[6], ثم رفعَ رأسَه ونظرَ إليّ وضحك في وجهي ضحكات،...))[7].

فالسرد الذاتيّ يُفتَتَحُ بقولِ السارد (دخلتُ), ثم يندفعُ سارداً الأحداثَ بتوالٍ مُتتابعٍ, إذْ يجِدُ الحلّاجُ يُصلّي فيجلسُ في زاويةِ البيت, فيما يُواصِلُ الحلّاجُ صلاتَه ودعاءه, ثمّ يلتفتُ إليه ويكلِّمه.

ويُؤدّى السردُ الذاتي غالباً بنسقِ التتابع الحدثيّ, ويُمثِّلُ في الغالبِ موقفاً معيّناً يندفعُ السارِدُ ببيانِه على وفقِ السردِ المتوالي للأحداث.

---

[1] – البقرة, 255.

[2] – وهذا من تداولات الصوفيّة واصطلاحاتهم الخطابيّة؛ فإذا قال الصوفيّ: (أنا أنت, وأنت أنا), فمعنى ذلك أنّه فنى عن أوصافه المذمومة, وبقيت له أوصافه المحمودة, يُنظر: معجم ألفاظ الصوفيّة, د.حسن الشرقاوي,59, ط1, مؤسسة مختار للنشر والتوزيع, القاهرة– 1987م.

[3] – الأنّيّة من اصطلاحات الصوفيّة, وتعني تحقُّق الوجود العينيّ من حيث رتبتهُ الذاتيّة, يُنظر: معجم اصطلاحات الصوفيّة, عبد الرزاق الكاشاني (730هـ), تح: د.عبد العال شاهين,58, دار المنار للطبع والنشر والتوزيع, ط1, مصر– 1992م.

[4] – الهويّة, من مصطلحات الصوفيّة, وتعني هويّة الحقّ الغيبيّة التي لا تظهر, وهي إشارة إلى كُنه ذات الله, يُنظر: معجم الصوفيّة, ممدوح الزوبي, 418, دار الجليل, ط1, بيروت–2004م.

[5] – وهو من اصطلاحات الصوفية, ومعناهُ اسم لما لم يكن فكان, يُنظر: معجم مصطلحات الصوفيّة, د.عبد المنعم الحفيني, 75, دار المسيرة, ط2, بيروت– 1987م.

[6] – القِدَم من مصطلحات الصوفيّة, يعني حكم الوجوب الذاتي, فالوجوب الذاتي هو الذي أظهر اسمه القديم للحقّ, لأنّ من كان وجوده واجباً بذاته لم يكن مسبوقاً بالعدم, يُنظر: معجم مصطلحات الصوفيّة, 214.

[7] – أخبار الحلّاج, 68– 69.

وإذ تميلُ رغبةُ الإنسان وطبيعته الفطريّة إلى ((فهمِ الأشياءِ تِباعاً, وبِشكلٍ بَسيط أفضل مّما لو تشابكتْ وتعقّدتْ بعضِها ببعض))[1], فإنّ ذلك قد يُفسِّر سبب شيوع هذا النسق وانتشاره في مجمل السرد القديم .

ثانياً: النسق المتداخل:

وهو البناءُ الذي تتداخلُ فيه الأحداثُ من دونِ اهتمامٍ بتسلسلِها الزمنيّ[2], إذ تتقاطعُ وتتداخلُ من دونِ ضوابطَ منطقيّة, وتُقدّمُ بغضّ النظرِ عن توالِيها[3], بما يفرضُه الموقفُ السرديّ أو وجهة نظر السارد.

تُصاغُ الأحداث السرديّة على وفقِ هذا النسق بصورةٍ متناثرةٍ في الزمانِ, فالحدثُ السابق لا يكونُ سبباً للحدثِ اللاحق, إنّما يُجاورُه, أو يتداخلُ معه[4].

وبهذا يكونُ هذا النسقُ البنائيّ مصدراً للاستباقات والاسترجاعاتِ الزمنيّة, تبعاً لِمقتضياتِ البناءِ الفنّي للنصّ السرديّ, من ذلك ما جاءَ في (أخبار أبي نواس), قال ابن منظور: ((من مليحِ ما قيل: التحرُّكُ للغناءِ, والسكونُ للاستماع, وكان أبوهفّان يطرب له, ويُنشِدُ قولَ أبي نواس في ذلك[5]: (الوافر)

وأهيفَ مثل طاقةِ ياسمينِ ... لهُ حظّانِ[6] من دنيا ودينِ

يُحرّكُ حينَ يشدو ساكناتٍ ... وتتبعثُ الطبائعُ للسكونِ[7]))[8]

---

(1) – بناء الحدث في شعر نازك الملائكة (مقاربة نصّيّة), نجوى محمد جمعة, 96, مجلّة آداب البصرة, ع44–2007م.

(2) – يُنظر: البناء الفني في القصّة القصيرة في العراق من 1990–2000م, 272.

(3) – يُنظر: البناء الفنيّ لرواية الحرب في العراق, 38.

(4) – يُنظر: السرديّة العربيّة – من التواصل إلى التفاعل–, 20.

(5) – ديوان الحسن بن هانئ ,357/4.

(6) – وفي الديوان: له خَطان, الديوان, 357/4.

(7) – في الديوان: بالسكون, يُنظر: م, ن, 357/4

(8) – أخبار أبي نواس, ابن منظور, 69/2.

فإذ يتحدّثُ ابن منظور عن مليح ما قيل, فإنّهُ يستحضرُ لحظةً سرديّةً سابِقة لِلحظةِ السردِ الأولى, تمثّلتْ بخبرِ أبي هفّان وإنشادِهِ لِشعرِ أبي نواس, لِيكونَ ذلك الاستحضار تدليلاً وتثنيةً على الحدثِ الأوّل الذي ساقَه ابنُ منظور.

ومن ذلك ما جاءَ في (الورقة) في خبرِ حبيبِ بن شوذب, عن بعضهم, قال: ((كان أبو الرمّيح حبيب بن شوذب الأسديّ يُفضّلُ الفرزدقَ على جرير, ويتعصّبُ لهُ عليه – وقد كان أدركهما – فسألتُهُ عن صفاتِهما, فقال: أمّا جرير فكانَ طويلاً مضطرباً أغنّ – فنعتَهُ فجعلَ يُوهِن خلقَه حتّى كان يخنّثَه – وأما الفرزدق: فكان غضنفراً، عظيمَ الهامةِ، رحبَ الصدر، عظيمَ القصرةِ كأنّه أسدٌ))[1]

فإذْ يُسألُ ابن شوذب عن جرير والفرزدق, فإنَّهُ يسترجعُ خارجيّاً أحداثاً سالفةً, أفصحتْ عن بعضِ صفاتِهما, وقد تمازجت الأحداثُ السرديّة جميعاً, وتداخلتْ ضمن البناءِ السرديّ, بما يُحقّقُ التماسكَ النصّي للخبرِ المسرود.

ونشيرُ إلى أنَّ جُلَّ الاستباقات والاسترجاعات الزمنيّة الداخلية والخارجيّة التي وقفنا عندها –سابقاً– تُمثّلُ تداخُلاً سردِيّاً, نَسجَ أحداثَ الخبرِ بنائيّاً, وأسهم في بلورة مضامينه.

ثالثاً: نسق التضمين:

وهو ذلك النسقُ الذي ((يقومُ على أساسِ نشوءِ قصصٍ كثيرةٍ في إطارِ قصّةٍ قصيرةٍ واحدة))[2]. والتضمينُ في السردِ الخبري هو إدراجُ خبرٍ مستقلٍّ في سياقِ خبرٍ آخر, لأسبابٍ لعلّ منها وحدة الشخصيّة, أو تقارب الموضوعات أو نحو ذلك[3].

---

[1] – الورقة, 80.

[2] – البناء الفني في الرواية العربيّة في العراق (بناء السرد), 19/1.

[3] – يُنظر: الخبر في الأدب العربي, 493.

ويطّردُ هذا النسقُ البنائيّ في أخبارِ المجنون التي رواها ابن المِبْرَد, ومن ذلك ما جاءَ في بدايةِ فصلٍ في الاختلاف في اسم المجنونِ ونسبه, قال ابن المِبْرَد: ((قد اختُلِفَ بالنسب في اسمه ونسبه,...قال أبو عمرو الشيبانيّ[1]: أخبرني أبو بكر الوالبي[2] عن بعض ولد عليّ رضيَ الله عنه, قال: هو قيسُ بن مُعاذ العُقيليّ, وقال أبو العالية[3]: هو الأقرعُ بن معاذ...))[4], ويواصلُ ابنُ المبرد تضمينَ الأخبار, فينقُلُ عن بعضِهم: ((كان في بني عامر ثلاثة مجانين؛ معاذ ليلى, وهو معاذ بن كُليبٍ أحدِ بني عامر بن عُبيد, وقيس بنُ مُعاذٍ, ومهديّ بن المُلوّحِ الجعديّ...))[5].

فإذ تتوالى الوحدات الخبريّة في ذكر الاختلافِ في نسبِ المجنون واسمه, فإنَّها تندرجُ في إطارِ خبرٍ مركزيٍّ مفادُه الحديث عن سيبويه ونسبه. وكانَ من أغراضِ التضمين تعضيدُ الخبرِ الأوّل الذي سِيقتْ حيالَه الأخبار.

رابعاً: النسق الدائريّ

وهو نسقٌ بنائيٌّ حاضرٌ في جملةٍ من أخبارِ الشعراء, ومفادُه ((أنْ تبدأَ الأحداثُ من نقطةٍ ما, ثمّ تعودُ في النهايةِ إلى نفسِ تلك النقطةِ التي بدأتْ منها))[6], مِن ذلك ما جاء في أخبار عُليّة بنت المهدي مع أخيها الرشيد. نقلَ الصوليّ عن بعضهم قال: ((كانتْ عُليّة تُحِبُّ أنْ تُراسِلَ بالأشعارِ من تخصُّه،

---

(1) – أبو عمرو إسْحَاق بن مرار الشّيبانيّ الكوفي (94 – 206 هـ), كانَ يُؤَدب أولاد الرشيد, وكانَ راوية أهل بغداد واسع العلم باللغة والشعر ثِقة في الحديث كثير السماع وله كتب كثيرة, منها: كتاب الجيم, كتاب النّوادر, كتاب أشعار القبائل, ختمه بِابْن هرمة, وغير ذلك الكثير, يُنظر: الوافي بالوفيات, 275/8.

(2) – أبو بكر الوالبي راوية ديوان المجنون, وقد ضنّت التراجم عن ترجمة وافية له, يُنظر: ديوان مجنون ليلى, المقدمة.

(3) – وهو رُفيع بن مهران الرياحيّ البصريّ, مولًى لامرأة من بني رياح بن يربوع, أدرك النبيّ (ص), وأسلم زمنَ خلافة أبي بكر, وهو إمامٌ مُقرئ حافظٌ مفسّر, قيل توفي سنة (90هـ), يُنظر: سير أعلام النبلاء, 207/4.

(4) – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 22.

(5) – م. ن: 23.

(6) – البناء الفنّي في الرواية العربيّة في العراق (بناء السرد), 44/1.

فاختصّتْ خادماً يُقال له طَلٌّ من خدمِ الرشيد تراسلُه بالشعر، فلم ترَه أيّاماً، فمشتْ على ميزابٍ حتّى رأتْهُ وحدثتهُ، فقالتْ في ذلك[1]: (الكامل)

قَــدْ كــانَ مــا كُلفتــهُ زَمَنــاً يــا طَــلُّ مِــنْ وَجْــدٍ بِهِــمْ يَكْفِــي

حَتَّــى أَتَيْتُــكَ زائِــراً عَجِــلاً أَمْشِــي عَلَــى حَتْفِــي إلــىَ حتفْــي

فحلفَ عليها الرشيدُ ألّا تُكلِّمَ طَلّاً الخادمَ، ولا تُسمي باسمه، فضمِنتْ له ذلك، فاستمع عليها يوماً وهي تدرسُ آخرَ سورةِ البقرةِ، حتّى بلغتْ إلى قولِه عزّ وجل: (..أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ..), وأرادتْ أن تقولَ (فَطَلٌّ) ، فلمْ تلفظ بهذا فقالتْ: فالذي نهانا عنه أمير المؤمنين (...وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[2], فدخلَ فقبّلَ رأسَها, وقالَ: قد وهبتُ لكِ طَلّاً، ولا منعتُكِ بعدَ هذا من شيءٍ تُريدينَهُ))[3].

فالنقطةُ التي يبدأُ منها الحدثُ الخبريّ هي مُراسلةُ عُليّة بنتُ المهديّ بالأشعارِ لِمنْ تختصُّهُ, ولاسيما خادم الرشيد (طَلّ), وبعد سردٍ لِجملةٍ مِنَ الأحداثِ يعودُ السردُ الخبريّ لِتلكَ النقطة التي بدأَ منها, والمتمركزة حول (عُليّة) والخادم (طلّ), إذ يسمحُ الرشيدُ لها أخيراً بتكليمهِ بعدَ منعٍ, بل يهبُهُ لها.

ومثلُ ذلك ما نقله المهزميّ عن بعضهم, قال: ((كان أبان اللاحقيّ يحسدُ أبا نواس, وكان انقطاعه إلى جعفر بن يحيى، فعرض جعفر على أبي نواس كلْبةً له وقال له: انعتْها باسمها أوّلاً، فقالَ: قد سمّيتُها أمَّ أبان. فغضبَ جعفر وقال: تعبثُ بنديمي وشاعري!!, فهجاهُ أبو نواس بقوله[4]: (الطويل)

أرى جعفــراً يــزدادُ لؤمــاً ودقّــةً إذا زادَه الــرحمنُ فــي ســعةِ الــرزقِ

---

(1) – يُنظر: ديوان عُلية بنت المهدي, تح: رحاب عكاوي, 56, دار الفكر العربي للطباعة والنشر, ط1, 2004م.

(2) – البقرة, 265.

(3) – الأوراق _ قسم أشعار أولاد الخلفاء, 56-57.

(4) – يُنظر: ديوان الحسن بن هانئ, بتقديم وتأخير وزيادة في الأبيات,50/2.

وأعظـمُ زهـواً مـن ذبـاب كنُـاسةٍ وأبخـلُ مـن كلـبٍ عقـورٍ علـى عـرقِ

فلمّـا قـدِمَ الفضـلُ مـن خراسـان سـألهُ جعفـر أنْ يجعـلَ أبانـاً علـى عطـاءِ الشـعراء وتمييـز مـا يُهنّـأ بـه مـن الشـعرِ ففعـل، وأعطـاهم علـى مراتبِهم وطبقـاتِهم، فلمّـا جـاء أبـو نـواس لِقبضِ جائزتِـه أعطـاهُ درهمـين، فرفـعَ أبـو نـواس يـدَه فصـفَعَ أبانـاً وقـال: سـارقُ غلّـة أمّـه، قـد بلغنـي أنْ أمّـك كسـبتْ عشـرةَ دراهم فخنتَها، فضحكَ الفضلُ, وقال لِجعفر: مُرْ أباناً لِيصالحَهُ))[1].

فـالملاحظ أنّ الخبـرَ يبـدأُ بحـدثٍ مفـادُه مـا كـان بـين (أبـان اللاحقـي وأبـي نـواس) مـن بغضـاء, وتُسـردُ الأحـداثُ بحسـبِ مواقفِهـا وأزمنتِهـا وأمكنتِهـا, ويُختَـتم بِمثـلِ مـا ابتُـدأ بـه, إذ يَطلِـبُ الفضل من أبان مصالحة أبي نواس.

ومـن ذلـك أيضـاً, مـا رواه البحتـري عـن مذاكرتـه مـع علـيّ بـن الجهـم[2] فـي شـأن أشـعار المحـدثين, قـال البحتـري: فلمّـا ذكرنـا أشـجع السـلمي ((قـال لـي: إنّـه يُخلـي, وأعادهـا مـرات ولـم أفهمهـا, وأنِفْـتُ أن أسـأله عـن معناهـا, فلمّـا انصـرفتُ فكّـرتُ فـي الكلمـة, ونظـرتُ فـي شـعر أشـجع السلمي[3], فـإذا هـو ربّمـا مـرّت لـه الأبيـات مغسـولةً لـيس فيهـا بيـت رائـع, فـإذا هـو يريـد هـذا بعينـه, أنّـه يعمـل الأبيـات فـلا يُصـيب فيهـا ببيـتٍ نـادر, كمـا أنّ الرامـي إذا رمـى برشـقه فلـم يُصـب فيـه بشيءٍ قيل: أخلى))[4].

فالحـدث يبتـدأ بتشـخيص ابـن الجهـم لظـاهرة الإخـلاء فـي شـعر أشـجع, وتتـوالى المواقـف بانصـراف البحتـري وهـو يقلّـب فكـره فـي معنـى مـا قيـل, وينظـر فـي شـعر أشـجع ليتوصّـل إلـى معنى الإخلاء في شعره, وهو ما عُقِد الخبر لأجله فابتُدئ به واختُتِمَ به.

---

[1] – أخبار أبي نواس, المهزميّ, 18.

[2] – أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود بن أسيد القرشي الشاعر المشهور, توفي سنة (249هـ), يُنظر: وفيات الأعيان, 3/355-356.

[3] – أشجع بن عمرو السلمي من ولد الشريد بن مطرود، مدح الرشيد والبرامكة، وانقطع إلى جعفر خاصة وأصفاه مدحه، ووصله الرشيد وأعجبه مدحه وتقدم عنده, وتوفي أشجع في حدود المائتين تقريباً, يُنظر: فوات الوفيات, 1/196- 197.

[4] – أخبار البحتري, 172.

توطئة:

تتجلّى قيمة كلّ فنٍ أدبي من خلال لغته التي يؤدّى بها, إذ ينفح الأديب من خلالها جوهر فنّه الأدبي. وتستمدّ اللغة قيمتها من كونها المادة الخام التي يتشكّل منها العمل الأدبي بعامة, فترسم بذلك سمات الخطاب الخاصة, وقيمته الفنّيّة والجماليّة.

إنّ اللغة هي ما يجعل العمل الأدبي فنّاً مميّزاً؛ ((لكونها القالب الذي يحمل إلى المتلقّي الفكرة أو العاطفة أو الجمال الحامل لرؤية الكاتب الإنسانيّة, وهي القادرة على جعل الماضي واقعاً معيشاً))[1] عبر ما تجسّده من فضاءاتٍ أدبيّة تتسق وروح الفن الأدبي.

ولا شكّ في أنّ اللغة تحملُ أبعاداً ووظائف معيّنة, فقد تكون وظيفتها إبلاغيّة, وهي وظيفة أساسيّة, وقد تكون وظيفتها جماليّة أدبيّة[2], وتبعاً لأبعاد اللغة الوظيفيّة تتحدّد بنية النص الخطابيّة؛ ذلك أنّ الخطاب إنتاجٌ لغويٌّ خالص ذو بنيةٍ مغلقة مكتفية بذاتها, وهو من جهةٍ أخرى ملفوظٌ تواصلي يتيح بناؤه اللغوي إمكانة التأويل, وتحديد المقاصد التي يتوخّاها منتج الخطاب[3].

إن اللغة هي الوسيلة المثلى في بناء عوالم الدلالة بغض النظر عن الضغوط التي تمارسها فيها النمطيّات الخطابية[4], كما تساهم اللغة، باعتبارها نسيجاً سرديّاً، في تصوير الأحداث, ورسم البيئة والشخصيّات وأحوالها النفسيّة وهيئاتها[5].

---

(1) – اللغة في (تجليات الروح) للكاتب محمد نصار, د.عبد الرحيم حمدان,104, مجلّة الجامعة الاسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانيّة), المجلد السادس عشر, ع2, فلسطين,2008م.

(2) – يُنظر: أدبيّة الخطاب في المثل السائر لابن الأثير, مولود بفورة, 175, أطروحة دكتوراه, جامعة الجزائر, كلّيّة الآداب واللغات,2006.

(3) – يُنظر: البلاغة والسرد والسلطة في الإمتاع والمؤانسة, د.هاشم مشبال,23, دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع, ط1, عمّان– 2015م.

(4) – يُنظر: علبة السرد, النظريّة السردية: من التقليد إلى التأسيس, د.إبراهيم جيران, 230, دار الكتاب الجديد, ط1, بيروت– 2013م.

(5) – يُنظر: صياغة الخبر وبناء القصّة في كتاب مصارع العشّاق لابن السرّاج البغدادي, 67, رسالة ماجستير, بختة هواشرية, المركز الجامعي بالبويرة, الجزائر– 2012م.

ومـع اتصـاف الأخبـار عامّـةً بالاقتصـاد اللغـوي, فـإنّ الوقفـات الوصـفيّة التـي تـؤدّي إلـى تبطئـة السـرد تكـاد تكـون غائبـة, ممـا يعضّـد فـي الخبـر سـمة الوجـازة والاختـزال المقتصـر علـى الإفهام التواصلي.

وإذ تجمـع لغـة الخبـر أحيانـاً بـين الشـعر والنثـر فإنّهـا ((اتّخـذت مـن النثـر القـدرة علـى التعبيـر والتصـوير, ومـن الشـعر الطاقـة علـى الإيحـاء والإيجـاز, فمزجـت بـذلك بـين مـاهو واقعـي وعقلـي, وبـين مـا هـو خيـالي وعـاطفي))[1]. ولمّـا كانـت أخبـار الشـعراء تهـدف إلـى ذكـر جُـلّ مـا يتعلّـق بالشـعراء حيـاةً وشـعراً وبيئـة, فإنّهـا اتخـذت مـن النثـر – فـي بعـض المواضـع– رباطـاً يوثِـقُ أنسـجة الخبر الذي قد يغلب عليه الطابع الشعري.

إنّ النظـر فـي لغـة أخبـار الشـعراء يمكّننـا مـن الوقـوف علـى جـانبين مهمّـين منهـا, الأوّل: جانـب الدلالـة, والآخـر: جانـب السـمات اللغويّـة المـائزة لهـذه اللغـة. وعلـى وفـق هـذا فسـيكون الحـديث عـن لغـة الخبـر علـى مبحثـين, نتنـاول فـي المبحـث الأوّل البنيـة الدلاليّـة للخبـر, فنتحـرّى دلالة ألفاظه سنداً ومتناً, وما ينتج عن ذلك من خصوصيّة أدبيّة للخبر.

ونقـف فـي المبحـث الثـاني عنـد سـمة لغويّـة حـاز عليهـا الخبـر بنيـةً, ذلـك هـو الاقتصـاد اللغـوي, وهـي سـمة تتماشـى مـع سـمات الخبـر العامـة التـي تميـل إلـى الاختصـار والإيجـاز, وهـي مـن قبـل سـمة العربيـة وخصيصـتها الراكـزة, وسـنكون فـي ذلـك عنـد أهـمّ مـا يُحقِّـق للخبـر سـمته الاقتصـاديّة مـن إيجـاز واعتـراض وكنايـة, ومـا يرافـقُ ذلـك مـن دواعٍ بلاغيّـةٍ تتكـوّن عبـر هـذه السمات اللغوية.

[1] – صياغة الخبر وبناء القصّة في كتاب مصارع العشّاق لابن السرّاج البغدادي, 70.

المبحث الأوّل: البنية الدلاليّة لِألفاظ الخبـر

اعتنـى الـرواة الأخبـاريّون بـدلالات ألفـاظهم علـى المُـراد الخبـريّ؛ فبـذلوا قُصـارى جهـودهم فـي تخيّـر الألفـاظ سـنداً ومتنـاً, لِتجـيءَ دالّـةً علـى مقاصـدهم الأدبيّـة والتوثيقيّـة علـى حـدٍّ سـواء, ولـم يكـن مُؤلِّفـو كتـب أخبـار الشـعراء أو رُواتهـا بمعـزلٍ عـن الواقـع التـأليفيّ والروائـي العربـيّ, بـل كـانوا جـزءاً مـن هـذا الواقـع الـذي خـيّم علـى غالـبِ رواياتِهم وتأليفـاتهم الأدبيّـة, فكـانوا إزاء ذلـك يتشـدَّدون – فـي أحيـانٍ كثيـرة – بضـبط سلسـلة السـند, ومـا يترتّـب علـى ذلـك مـن دلالاتٍ لغويّـة لِمُتخيَّـرِ ألفاظ الخبر, سنداً ومتناً.

وإذ تـأثّر الأخبـاريّون بـرواة الحـديث[1] – ولا سـيما تـأثرهم بألفـاظ التحمّـل والأداء – فـإنّ ألفـاظ السـند أصـبحت تحمـلُ مـدلولاتٍ اصـطلاحيّة تعـارف عليهـا المُحـدِّثون والأخبـاريّون, وهـي حتمـاً تُصـنِّفُ دلاليّـاً مراتـب التحمّـل والأداء الروائِـي – كمـا سيتّضـح – , إذ ليسـت ألفـاظ السـند, أو المـتن علـى رُتبـةٍ واحـدةٍ فـي الدلالـة, فتبـاين التراكيـب اللفظيّـة يُسـفرُ عـن دلالاتٍ مختلفـة وعاهـا الـرواة وهـم يـروون الأحاديـث والأخبـار, ورصـدها علمـاء الحـديث والأدب وهـم يُتـابعون ذلـك المرويّ ويُعيّنون دلالات ألفاظه.

وقـد تنوّعـت الـدلالات اللغويّـة لألفـاظ المـتن, بـين ألفـاظٍ تُشـير إلـى خلفيّـاتٍ مرجعيّـة زمانيّـة ومكانيّـة, وألفـاظٍ تحمـلُ فـي مـدلولاتها أوصـافاً نُعِـتَ بهـا الشـعراء, حتّـى غـدتْ تلكـم الأوصـاف مـن متعارف الرواة ونَقدةِ الأدب .

وعلـى هـذا فـإنّ إمعـان النظـر فـي كتـب أخبـار الشـعراء يقـف بنـا علـى دلالاتٍ لغويّـة تـوافر عليهـا الخبـر سـنداً ومتنـاً, فكـان هـذا المبحـث علـى قسـمين, الأوّل: دلالات ألفـاظ السـند, والثـاني: دلالات ألفاظ المتن.

أوّلاً: دلالات ألفاظ السند

فـي الوقـت الـذي تـأثّر فيـه الأخبـاريّون بـرواة الحـديث النبـوي مـن جهـة التـزام السـند – فـي

[1] – يُنظر: تاريخ آداب العرب, مصطفى صادق الرافعيّ, 222/1– 236, دار الكتب العلميّة, ط1, بيروت – 2000م.

الغالـب –, فـإنّ قسـماً مـن أولئـك الأخبـاريّين قـد تخلّـى عـن السـند وباشـر المـتن الخبـريّ[1], وقـد كـان لتخلّـي الـرواة الأخبـاريّين عـن السـند أو التزامـه دواعٍ ومسـوغات قـد يكـون منهـا قـرب الـراوي أو بعـده – زمنيّـاً – عـن الشـاعر المـروي لـه ؛ ولـذا قـد تغيـبُ سلسـلة السـند كلّيّـاً أو جزئيّـاً عنـدما يكون الراوي من معاصري الشاعر, أو أصحابه, أو رواة أخباره.

إنّ سـند الروايـة الأدبيّـة فـي كتـب أخبـار الشـعراء اتّخـذَ لنفسـهِ ألفاظـاً افتتاحيّـة, أو كمـا يُقـال: (أوائـل دلاليّـة)[2], صـارت سـمتاً لـه, أسـوةً بمـا يُجـاوره مـن كتـب الحـديث والأخبـار الأخـرى, لا يحيد عنها في الغالب, وقد تنوّعت دلالاتُها اللغويّة.

لقـد حـدّدَ علمـاء الحـديث, وهـم يبحثـون فـي أغـوار الحـديث النبـويّ سـنداً ومتنـاً, ثمـاني مراتـب لتحمّـلِ الحـديث وأدائـه, هـي: السـماع, والقـراءة أو (العـرض), والإجـازة, والمناولـة, والمكاتبـة, والإعـلام, والوصـيّة, والوِجـادة[3]. ولـيس كـل ألفـاظ التحمّـل والأداء علـى مسـتوًى واحـد مـن الوثاقـة لـدن العلمـاء, فهـي تختلـف تبعـاً لِـدلالتها علـى قـرب الـراوي أو بعـده زمنيّـاً مـن الحادثـة, أو مصـدر الرواية المنقولة.

ولا يخفـى كـون الألفـاظ الافتتاحيّـة تمثِّـلُ الإعـلان عـن فعـل السـرد فـي الخبـر قـديماً فـي ضـمن نطـاق السـند الـذي يُـذكَرُ فيـه الـرواة الـذين تنـاقلوا هـذا الخبـر, ومـن الملاحـظ أنّ هـذهِ الألفـاظ, نحـو: (قـال, وأخبـر, وحـدّثَ), ذات طـابعٍ شـفويّ دخلـت مجـال الكتابـة فصـارت مـن مقوّماتهـا الأسـلوبيّة [4], فعنـدما يقـول الـراوي: (أخبرنـي), أو(حـدّثني), قـد يُـدلِّلُ علـى أنّ المـرويّ

---

[1] – وقفنا عند تفصيل ذلك في الفصل الأول.

[2] – وتعنـي أنّ لكـلّ خطـاب مجموعـةً مختـارة مـن الألفـاظ تمثِّـلُ منطلقـه اللغـويّ المُفضّـل, ولا تـأتي هـذه الألفـاظ فـي صـدارة النصـوص اعتباطـاً, إنّمـا وجودهـا محكـومٌ بنظـامٍ فكـريّ ينـتظم اختيـار هـذه الألفـاظ الأوائـل, ويتّخـذها وسـيلةً للتعبيـر والتواصـل, يُنظر: الذات الناقدة في النقد العربيّ القديم, ظافر الشاهري, 23, أُطروحة دكتوراه, جامعة الملك سعود, الرياض– 1430هـ.

[3] – يُنظـر: تـدريب الـراوي فـي شـرح تقريـب النـواوي, السـيوطي, تـح: أبـو معـاذ طـارق بـن عـوض الله بـن محمـد, 418/1, دار العاصمة , ط1, الرياض–2003م.

[4] – يُنظر: معجم السرديّات, 245.

الخبـريّ وصـلَ إليـه مشـافهةً عبـر سلسـلة المحـدِّثين حتّـى صـار إلـى الـراوي المـدوّن, وبـذا أفصحتْ تلك الألفاظ الافتتاحيّة عن تعايش المشافهة والتدوين وتجاورهما واتّصالهما[1].

ويُحـدِّد سـعيد يقطـين صـيغ الأداء الروائـي قـديماً بـثلاث صـيغ تسـتوعب مجمـل الصـيغ الأخـرى, أوّلهـا: صـيغة (أنشـدنا), وهـي مسـتوعبة لصـيغٍ عـدّة, نحـو: (قـال الشـاعر), و(أنشـدَ), ونحوهمـا. وثانيهـا: صـيغة (حـدّثنا), ويـدخل فـي بابهـا مثـل قـولهم: قـالَ, وقيـلَ, ويُقـال, وهـي تُشـير بشـكلٍ أو بـآخر إلـى جـنس الحـديث, خطبـةً أو وصـيّةً أو دعـاءً أو حكمـةً أو قـولاً مـأثوراً. وثالثهـا: صـيغة (أخبرنـا), ويـدخل فـي ضـمنها مثـل قـولهم: (روى), و(حكـى), و(قـصّ), و(زعمـوا), و(قـال الـراوي), و(مّمـا يُحكـى), ونحـو ذلـك, وهـذه الصـيغة تُشـيرُ فـي الغالـب إلـى جـنس الأخبـار القصـار أو الطـوال, التـي تتضـمّن قصـصَ الجـن وحكاياتـهِ, أو الأوليـاء الصـالحين, أو الوقـائع التاريخيّـة, وما إلى ذلك[2].

وقبـل أن نلـجَ إلـى تحـرّي دلالات ألفـاظ السـند فـي كتـب أخبـار الشـعراء لابـدّ أن نقـفَ ابتـداءً عنـد هـذه الكتـب, ونعـرفَ نسـبةَ إسـنادها إلـى مؤلّفيهـا, أ نُقلـت عـنهم إجـازةً, أم كتبوهـا هـم فتناقلهـا النّسّـاخ عـنهم, ومـا يُرافـق ذلـك مـن إجـراءات نقليّـة, إلـى جانـب ذلـك الوقـوف عنـد أهـمّ مصـادرهم الخبريّة.

لقـد أدّت المجايلـة أو المعاصـرة دوراً فـي ميـدان الروايـة الخبريـة, وكـان لهـا أثـرٌ واضـح فـي كـلِّ ذلـك؛ فلمّـا كـان أبـو هفّـان المهزمـيّ مـن معاصـري إبـي نـواس وأصـحابه, فإنّـه ألّـفَ كتابـه (أخبـار أبـي نـواس) اعتمـاداً علـى مـا تـوافر لديـه مـن أخبـار شـهدها هـو بنفسـه, أو حدّثـه بهـا أحـدهم, كيوسـف بـن الدايـة مـثلاً[3] – وكـان ابـن الدايـة راويـةً لأخبـار أبـي نـواس[4]– الـذي أخـذ

---

[1] – يُنظر: الخبر في الأدب العربي, 168.

[2] – يُنظر: الكلام والخبر, 193.

[3] – يُنظر: أخبار أبي نواس, المهزمي, 19, 27, 98.

[4] – يُنظر: معجم الأدباء, 557/2.

عنـه جُـلّ مـن كتـب فـي أخبـار أبـي نـواس, مثـل ابـن منظـور, إذ يفتـتحُ بعـض أخبـاره بـ (قـال يوسف بن الداية)[1].

وملاحـظٌ أنّ جُـل (أخبـار أبـي نـواس) للمهزمـيّ تبتـدئ بعبـارة (أبـو هفّـان قـال), ومـن المـرجّح أن تكون هذه العبارة من عمل النسّاخ الذين تناقلوا هذا الكتاب.

ونجـد ابـن الجـرّاح فـي كتابـه (الورقـة) فـي أخبـار الشـعراء قـد تخلّـى فـي جُـلِّ أخبـاره عـن السلسـلة السـنديّة, معتمـداً – أحيانـاً – علـى مـا سـمعه مـن بعضـهم مـن أخبـار [2], أو مـا كتبـه إليـه بعض معارفه[3], أو ما أنشده إيّاه بعض من يعرف[4].

ونلاحـظ أنّ أبـا بكـر الصـوليّ قـد ألّـف كثيـراً مـن المصـنّفات الخبريّـة – لاسـيما فـي أخبـار الشـعراء – , ومـن هـذه المصـنّفات كتـاب (أخبـار أبـي تمّـام), وقـد بعـثَ بـه إلـى مـزاحم بـن فاتـك, مصـدِّراً إيّـاه برسـالة خـصَّ بهـا مزاحمـاً, وقـد التـزم الصـولي فـي تأليفـه هـذا إسـناد الأخبـار فجـاءت أخبـاره عمّـن سـمعَ[5], أو أنشـدهُ[6], أو وجـد بخطّـه[7], وإنّـه مـن الأمـور الثابتـة أن يكـون هـذا الكتـاب مـن تـأليف الصـوليّ نفسـه, وروايتـه هـو, ويتّضـح ذلك مـن رسـالته لابـن فاتـك التـي أوضـح من خلالها دواعي تأليفِه هذا.

ولـيس ببعيـدٍ عـن هـذا الـنهج فـي التـأليف والتـزام الإسـناد؛ كُتـب الصـوليّ الأخـرى, نحـو: (أخبار البحتري) و(الأوراق/ قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم, وقسم أخبار الشعراء).

---

(1) – يُنظر: أخبار أبي نواس – مثلاً – , ابن منظور, 166/1.

(2) – يُنظر – مثلاً – : الورقة, 20.

(3) – يُنظر: م. ن: 33, 110.

(4) – يُنظر: م. ن, 13, 20, 45, 75, 79, ونحوها.

(5) – يُنظر: أخبار أبي تمّام, 6, 62, 66.

(6) – يُنظر: م. ن, 130, 133, 36, 274, 276.

(7) – يُنظر: م. ن, 183, 207, 242, 269, 279.

ولِأنّ الصـوليّ قـد عـاش نـديماً لجماعـة مـن الخلفـاء, وخـالطهم عـن قـرب[1], فـإنّ ذلـك مكّنـه مـن روايـة الكثيـر مـن الأخبـار التـي عرفهـا عـنهم – ولاسـيما الشـعراء مـنهم – كمـا فـي كتابـه (أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم).

وإذ يكـون كتـاب (الأوراق/ قسـم أخبـار الشـعراء) ممّـا ألّفـه الصـوليّ, فإنّنـا نجـد عبـارة (قـال الصـوليّ) و(حـدّثنا الصـوليّ) أو (قـال أبـو بكـر)؛ ملازمـةً لجُـلّ أخبـار هـذا الكتـاب, ولعلهـا مـن فعل تلاميذ الصوليّ الذين حدّثهم بهذه الأخبار مشافهةً.

غيـر أنّنـا نجـد خبـراً واحـداً أُسـنِدَ إلـى المرزُبـاني والصـولي معـاً, نـصُّ سـنده ((قـال المرزبـانيّ, وأخبرنـي محمـد بـن يحيـى [الصـوليّ] ...))[2], وهـو أمـرٌ يُـرجّح أن يكـون قـد عمـد أحـد تلاميـذ الصـوليّ إلـى تـدوين هـذه الأخبـار, فلمّـا وجـد أنّ المرزبـانيّ قـد حدّثـه بـالخبر نفسـه فأنـه أورده مسنداً إلى الشيخين معاً.

وبـالنظر فـي كتـاب (أخبـار السـيّد الحميـريّ) للمرزبـانيّ, فإنّنـا نلاحـظ أنّ هـذه الأخبـار – علـى مـا يبـدو– ممّـا ألقـاهُ المرزبـانيّ علـى تلاميـذه وأخبـرهم بـه, وذلـك يتّضـح ممـا جـاء فـي سـند الخبـر الأوّل, قـال: ((أخبرنـا علـى سـبيل الإجـازة أبـو عبيـد الله محمـد بـن عمـران بـن موسـى المرزبـاني عـن أشـياخه, وأخبرنـا المرزبـانيّ عـن الصـوليّ, قـال: ...))[3], فمـن قولـه: (أخبرنـا علـى سـبيل الإجـازة) يتّضـح أنّ المرزبـانيّ قـد روى لتلاميـذه هـذه الأخبـار مُجيـزاً لهـم نقلهـا عنـه, والأمـر الآخـر أنّ المرزبـانيّ يـروي هـذه الأخبـار عـن أشـياخه مـرّةً, وعـن الصـوليّ مـرّةً أُخـرى, وإنّمـا خُـصّ الصـوليّ بالـذكر عـن أشـياخ المرزبـانيّ – وهـو مـنهم – لكونـه قـد ألّـفَ كتابـاً مسـتقلّاً في أخبار السيّد الحميريّ[4], ولعلّ هذا الخبر منه.

---

(1) – يُنظـر: نزهـة الألبّـاء فـي طبقـات الأدبـاء, أبـو البركـات الأنبـاري (ت:577هـ), تـح: إبـراهيم السـامرائي,204, مكتبـة المنـار, ط3, الأردن–1985م.

(2) – يُنظر: أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم, 2.

(3) – أخبار السيّد الحميريّ,20.

(4) – يُنظر: وفيات الأعيان, 356/4.

وقـد وردت الأخبـار جميعـاً مصـدّرةً بقـول الـراوي (حـدّثنا المرزبـانيّ), أو (أخبرنـا المرزبـانيّ), باستثناء خبرٍ واحدٍ جاء فـي سلسلة سنده ((حدّثنا الطيّب بن محمد[1], قال: حدّثنا أبو عبيد الله المرزباني, قال: أخبرنـي محمد بن يحيى[2], قال: ...))[3]. وفـي ترتيـب سلسـلة السند الخبريّ هـذا خطـأٌ واضـحٌ بلحـاظ أمـرين, الأوّل: إنّ الأخبـار منقولـة – إخبـاراً وإجـازةً – عـن المرزبـانيّ مباشـرة فـي كـلّ الكتـاب, ولا مناسـبة لأن يكـون المحـدّث هنـا ابتـداءً (الطيّـب بـن محمـد), والثـاني: إنّ ترتيـب سلسـلة السـند ينبغـي أن يكـون علـى وفـق الآتـي: ((حدّثنا أبـو عبيـد الله المرزبـانيّ, قـال: حـدّثنا محمّـد بـن يحيـى, قـال: أخبرنـي الطيّـب بـن محمّـد)), وهـذا الأمـر تعضّـده أمـورٌ عِـدّة, منهـا مـاورد فـي سـند خبـرٍ سـابق مـن (أخبـار السـيّد الحميـريّ) جـاء فيـه: ((أخبرنـي أبـو عبيـد الله المرزبـانيّ, قـال: أخبرنـا محمـد بـن يحيـى, قـال: حـدّثني الطيّـب بـن محمّـد البـاهلي...))[4], فالمرزبـانيّ ينقـل عـن الصـوليّ, والصـوليّ عـن البـاهليّ. ومـن الملاحـظ أنّ الصـوليّ يُحـدِّثُ كثيـراً عن الطيّب بن محمد الباهليّ, كما في العديد من المصادر القديمة[5].

والملاحـظ أيضـاً أنّ جملـة مـن الأخبـار تَـرِدُ مسـندةً إلـى أبـي عبيـدة المرزبـانيّ[6], وهـو حتمـاً

---

(1) – الطيّب بن محمد الباهليّ, ولم أعثر له على ترجمة, بيد أنّ اسمه يرد في أسانيد بعض الأخبار بهذه الصورة (الطيّب بن محمد بن موسى بن سعيد بن سلم الباهليّ), يُنظر: تاريخ دمشق, 356/46, ونجد لجدّه (سعيد بن سلم الباهليّ) أخباراً في الكامل, تتضمّن بعض المواقف والأشعار التي قيلت فيه, بِلا مزيد تعريفٍ به, يُنظر: الكامل في اللغة والأدب, لإبي العباس المبرد (ت:285هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, 5/3, دار الفكر العربيّ, ط3, القاهرة–1997م.

(2) – محمد بن يحيى الصولي.

(3) – أخبار السيّد الحميريّ, 45.

(4) – م. ن: 23.

(5) – يُنظر – مثلاً – : الأوراق– قسم أخبار الشعراء, 76, ويُنظر: المصون في الأدب, أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت:382هـ), تح: عبد السلام هارون, 148, مطبعة حكومة الكويت, ط2, 1984م, ويُنظر: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني, تح: علي محمد البجاوي, 43, 140, 237, 266, 274, دار نهضة مصر, ط1, مصر– 1965م, ويُنظر: الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي, أبو الفرج المُعاض بن زكريا بن يحيى النهرواني (390هـ), تح: عبد الكريم سامي النجدي, 566, دار الكتب العلميّة, بيروت, ط1– 2005م, ويُنظر: تاريخ دمشق, 133/28, وغير ذلك الكثير.

(6) – يُنظر: أخبار السيّد الحميري,36, 42, 44, 48, 49, 51, 54.

تحريفٌ عن أبي عبيد الله المرزبانيّ[1].

وإذا ما انتقلنا إلى (أخبار سيبويه المصريّ) لابن زولاق فإنّنا نجد أنّ هذا الكتاب ممّا ألّفه ابن زولاق بجمعه هو وبخطِّ يدهِ, كما هو مثبّتٌ في الصفحة الأولى من الكتاب, وكما أثبته التحقيق العلميّ لهذا المؤلَّف[2].

وقد استقى ابن زولاق أخباره ممّا رأى أو سمع هو من سيبويه مباشرةً[3], إذ كان هو من أصحابه ومعاصريه, وربّما حدّث – أحياناً – عن مُحَدِّثٍ آخر رآى سيبويه أو سمع منه[4].

ونجد ابن الساعي البغداديّ قد ألّفَ كتاباً في (أخبار الحلّاج), وقد اتّسمت السلسلة السنديّة بالقِصَر والإيجاز في الغالب, على الرغم من أنّ المدّة الزمنيّة التي تفصل ابن الساعيّ عن الحلّاج[5] أكثر من ثلاثة قرون ونصف, فكانت جُلّ أخباره مسندة إلى واحدٍ من الرواة العلماء[6], وكثيراً ما يروي ابن الساعي البغدادي أخباره مسندةً إلى رجال الصوفيّة ممّن عاصر الحلّاج أو سمع ممّن عاصره[7], كإبراهيم بن شيبان[8], وأبي بكر الشبليّ[9] .

ونصلُ إلى ابن منظور فنجده قد ألّف كتاباً في (أخبار أبي نواس), وهو كتابٌ مقطوعٌ بنسبته لابن منظور كما يتّضح ذلك من مقدّمته, إذ ألّفه انتصاراً لأبي نواس لّما رأى أنّ أبا

---

(1) – كل من ترجم للمرزبانيّ قال: هو أبو عبيد الله المرزبانيّ, إلّا في مواضع نادرة يُقال – تحريفاً – : (أبو عبد الله المرزبانيّ), يُنظر: معجم الأدباء, 2677/6.

(2) – يُنظر: أخبار سيبويه المصريّ, مقدمة المحقق ,11– 12.

(3) – يُنظر: م. ن, 19, 22, 31, 35, 37, 43.

(4) – يُنظر: م. ن, 28, 33, 36, 37, 57.

(5) – وفاة الحلّاج سنة (309هـ), يُنظر: تاريخ بغداد, 122/8.

(6) – يُنظر: أخبار الحلاج, 63, 68, 70, 71, 72, وغير ذلك.

(7) – يُنظر: م. ن: 65, 74, 76, 80, 81, وغير ذلك.

(8) – إبراهيم بن شيبان (ت:330هـ), وقد سبقت ترجمته.

(9) – وهو أحد شيوخ الصوفيّة المعدودين وزهّادهم الموصوفين, وهو في الطبقة الرابعة من طبقات أئمّتهم, يُنظر: تاريخ دمشق, 50/66, ويُنظر: الوافي بالوفيات, وينظر: طبقات الصوفيّة, لأبي عبد الرحمن السلمي (ت: 412هـ), تح: مصطفى عبد القادر عطا, 257, دار الكتب العلميّة, ط1, بيروت–1998م.

الفـرج الأصـفهانيّ لـم يقـف علـى ترجمـةٍ لـه فـي أغانيـه, وقـد تعجّـبَ مـن هـذا ابـن منظـور كثيـراً, مُرجّحاً أن تكون ترجمة أبي نواس قد أُسقطت من أغاني أبي الفرج فيما بعد[1].

ونلحـظُ أنّ ابـن منظـور لا يلتـزم بسلسـلةِ السـند الخبـريّ فيُباشـر المـتن غالبـاً, وربّمـا أسـندَه إلـى غائبٍ فافتتحه بـ (قيلَ)[2].

وقـد أفـاد ابـن منظـور مـن المصـادر الخبريّـة السـابقة عليـه , سـواءٌ كانـت تلـك المصـادر رواةً سـمع عـنهم, أم كتبـاً أخـذ عنهـا, فهـو يـروي فـي كثيـرٍ مـن الأحـايين عـن يوسـف بـن الدايـة[3], أو قـد يـروي بعـض أخبـاره عـن أبـي هفّـان المهزمـيّ, وهـي أخبـارٌ منقولـةٌ عـن كتـاب (أخبـار أبـي نـواس) الـذي ألّفـه المهزمـيّ, منزوعـة السـند محتفظـةً بالمضـمون الخبـري[4], وقـد تختلـف روايـةً فـي بعض تفاصيلها[5].

ونُلفـي ابـن المِبْـرد الحنبلـيّ فـي كتابـه (نزهـة المسـامر فـي أخبـار مجنـون بنـي عـامر) حريصـاً علـى إسـناد أخبـاره, والملاحـظ أنّ السلسـلة السـنديّة تطـول فـي غالـب الأخبـار, فتمتـدّ مـن أوّل مُحـدِّثٍ حـدَّث ابـن المِبـرد أو سـمع ابـن المبـرد عنـه؛ حتّـى تصـل إلـى مـن عاصـر المجنـون أو سـمع عمّـن عاصـره, وعلـى هـذا فقـد تربـو سلسـلة السـند الخبـري أحيانـاً علـى خمسـة عشـر محـدِّثاً أخباريّاً[6].

ومـن الثابـت أنّ هـذا الكتـاب مّمـا ألّفـه يوسـف بـن حسـن الحنبلـيّ المعـروف بـابن المِبـرد, بروايتـه هـو, وخـطّ يـده كمـا يُشـير التحقيـق لـذلك[7]. وكانـت مـن أهـمّ مصـادر ابـن المِبـرد الخبريّـة

---

(1) – يُنظر: أخبار أبي نواس, ابن منظور, 1/1.

(2) – يُنظر: م. ن, 4/1, 5, 6, 32, 33.

(3) – سبقت ترجمته.

(4)– يُنظر – مثلاً – : أخبار أبي نواس لابن منظور,55,106/1, وهي في (أخبار أبي نواس) للمهزميّ تباعاً, 20, 27.

(5) – يُنظـر: أخبـار أبـي نـواس, ابـن منظـور, 169/1, 86/2, 87, 1/ 238, 57/2, 111/1, وهـي فـي (أخبـار أبـي نـواس) للمهزميّ تباعاً: 30, 34, 35, 36, 38, 40.

(6) – يُنظر – مثلاً – : نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر,21.

(7) – يُنظر: م. ن, المقدّمة, 13.

مـا أُخبـر بـه إجـازةً[1], ومـا وجـده بخـطّ أشـياخه[2], ومـا نقلـه عـن والـده[3], ومـا ذُكِـرَ فـي ديـوان شـعر المجنـون[4], ومـا سـمعه مـن الشـعر الشـائع فـي عصـره, الـذي يُنسـب للمجنـون[5], ومـا نقلـه من بعض الكتب المُؤلّفة الشائعة في زمانه[6].

ويؤلّـف الملـك المنصـور محمـد بـن عمـر الأيّـوبيّ كتابـه (أخبـار الملـوك ونزهـة المالـك والمملـوك فـي طبقـات الشـعراء) فنـراه فـي الغالـب مُباشـراً للمـتن الخبـريّ ابتـداءً مـن دون إسـنادٍ, وذلـك عائـدٌ إلـى كونـه قـد تـرجم لشـعراءَ جُلهـم مـن معاصـريه, فكـانوا فـي ضـمن القـرنين الخـامس والسـادس للهجـرة[7]. والملاحـظ أنّ هـذا الكتـاب منسـوخ عـن نسـخةٍ هـي مـن إمـلاء المُؤلِّـف[8], أملاها مّما خَبِرهُ وسمعه من أخبارٍ لشعراء عاصرهم.

إنّ مـا تقـدّم يمكـن لـه أن يضـعنا فـي صـورة التصـانيف الخبريّـة مـن جهـة أسـانيدها, وطرائـق تحمّـل أخبارهـا وأدائهـا, وهـو الأمـر الـذي يسـمح لنـا بتحـرّي دلالات ألفـاظ السـند الخبـريّ, ويُهيّـئ لنـا السـبيل سـانحةً للنظـر فيهـا وتقصّـيها, وسـنقف عنـد ألفـاظ السـند التـي تـوافرت عليهـا أخبـار الشعراء.

1- ألفاظ السماع:

صـورة السـماع أن يـؤدّى الخبـرُ مسـنداً عبـر صـيغٍ أدائيّـة يُفتـتح بهـا, وأكثـر هـذه الصـيغ وروداً فـي أسـانيد الأخبـار قـولهم: (سـمعتُ), و(حـدّثنا), و(أخبرنـا), و(أنبأنـا), إلّا أنّ أرفـع هـذه

(1) – يُنظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 21, 22, 33, 36.

(2) – يُنظر: م. ن, 74, 95.

(3) – يُنظر: م. ن, 36, 60.

(4) – يُنظر: م. ن, 96,98.

(5) – يُنظر: م. ن: 94, 95, 98.

(6) – يُنظر: 99, 115.

(7) – يُنظر: أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طقات الشعراء, 16.

(8) – يُنظر: م. ن, 358.

العبارات (سمعتُ)[1].

وخلاصـة السـماع ((أن يسـمع المتحمّـل مـن لفـظ شـيخه, سـواءٌ أ حدّثـه شـيخه مـن كتـابٍ يقرؤه أم من محفوظاته, وسواءٌ أ أملى عليه أم لم يُملِ عليه))[2].

وينقـل الخطيـب البغـداديّ عـن بعضـهم قولـه: إنّ (((حـدّثنا) أحسـن شـيءٍ فـي هـذا, و(أخبرنـا) دون (حـدّثنا), و(أنبأنـا) مثـل (أخبرنـا) وقـد قـال بعـض أهـل العلـم بالعربيّـة: هـذه الألفـاظ الثلاثـة بمنزلـة واحـدة فـي المعنـى))[3], وقـال بعضـهم: (((حـدّثنا) و(أنبأنـا) أدخـل فـي السـلامة مـن التـدليس مـن (أخبرنـا), وإنّمـا اسـتعمل مـن اسـتعمل (أخبرنـا) ورعـاً ونزاهـة لأمـانتهم فلـم يجعلوهـا للينها بمنزلة (حدّثنا) و(نبّأنا), وإن كانت (أخبرنا) تحتمل ما تحتمله (حدّثنا) و(نبّأنا)))[4].

ويـرى ابـن الصـلاح (ت: 643هـ) أنّ (حـدّثنا) و (أخبرنـا) أرفـع مـن سـمعتُ, إذ لـيس في(سـمعتُ) دلالـةً علـى أنّ الشـيخ روّاه الحـديث وخاطبـه بـه, وفـي (حـدّثنا) و(أخبرنـا) دلالـةٌ علـى أنّه خاطبه به ورواه له[5].

لقـد كشـفت لنـا دلالات ألفـاظ السـند فـي كتـب (أخبـار الشـعراء) بتنوّعهـا ومراتبهـا –كمـا هـي كتـب الأخبـار الأدبيّـة الأخـرى– عـن ((ثـراء المعجـم المسـتعمل فـي كـلّ حالـة مـن الحـالات, ممّـا ينمُّ عن حرصٍ شديد على الضبط والتدقيق))[6].

---

(1) – يُنظـر: الكفايـة فـي علـم الروايـة, الخطيـب البغـدادي (ت:463هـ), تـح: أحمـد عمـر هاشـم,283–284, دار الكتـاب العربي, ط1, بيروت– 1985.

(2) – علوم الحديث ومصطلحه, د.صبحي الصالح, 88, دار العلم للملايين, ط15, بيروت– 2009م.

(3) – الكفاية في علم الرواية, 287.

(4) – م. ن: 287.

(5) – يُنظـر: علـوم الحـديث (المعـروف بمقدمـة ابـن الصـلاح), أبـو عمـرو عثمـان بـن عبـد الـرحمن المعـروف بـابن الصـلاح, تـح: نور الدين عتر, 135, دار الفكر, ط1, بيروت–1986م.

(6) – الخبر في الأدب العربيّ, 251.

إنّ هـذه الألفـاظ المعتمـدة فـي أسـانيد الأخبـار تُفصـحُ عـن عُـرفٍ أدبـيّ استسـاغه الـرواة والتزمـوا بـه, حتّـى صـار ذلـك مـن لـوازم الروايـة الأدبيّـة؛ سـعياً مـنهم لتحقيـق قـدرٍ وافـر مـن الأمانـة النقليّة, واحتياطاً من التزيّد والاختلاس.

إنّ ألفاظـاً مثـل (حـدّثني/ حـدثنا), و (أخبرنـي/ أخبرنـا), و(أنبـأني/ أنبأنـا), و(سـمعتُ) نجـدها الأكثـر حضـوراً فـي أسـانيد أخبـار الشـعراء – كمـا سـيتبيّن– , والملاحـظ أنّ بعـض الأخبـار اعتمـدت الازدواج الإسـنادي – إن جـازَ التعبيـر– , فتـرِدُ أحيانـاً مسـندةً عـن طـريقين إسـناديّين, وهو أمرٌ يُعضِّد الوثاقة الخبريّة, ويؤكّد رواية الخبر.

وإذ يحضـر الازدواج الإسـنادي فـي سـند بعـض الأخبـار, فـإنّ مـؤلفي كتـب الأخبـار قـد ربطـوا بـين سلسـلتي السـند بحـرف العطـف (الـواو) تـارةً[1], أو ربّمـا ربطـوا بـين سَـندي الخبـر بـ (كـذلك), كمـا يُلاحـظ ذلـك فـي (نزهـة المسـامر فـي أخبـار مجنـون بنـي عـامر) إذ يُشـكِّل الازدواج السـندي في هذا المؤلَّف الأخباري ظاهرةً ملحوظة[2].

وقـد تنوّعـت الـدلالات اللغويّـة لألفـاظ السـند الخبـريّ تبعـاً لتنـوّع الأسـانيد الخبريّـة صـياغةً وبنـاءً بالاعتمـاد علـى سُـنن الأداء التـي اتّبعـوا فيهـا أصـحاب الحـديث ورواتـه, معبّـرين فـي بعـض الأحيـان عـن خصوصـيّة أدبيّـة, كمـا فـي قـولهم: (أنشـدنا), و(أنشـدني), و(أنشـدتُ), إذ تُمثِّـل مثـل هـذه الألفـاظ السـماعيّة ((خصوصـيّة مـن خصوصـيّة الروايـة الأدبيّـة مـن خـلال لغـة الإسـناد فيهـا, وهو ما يدلّ على تميّز الرواية الأدبيّة ببعض السمات التي تميّزها عن رواية الحديث))[3].

ولمّـا كانـت كتـب أخبـار الشـعراء تتحـدّث عـن كـلّ مـا يتّصـل بالشـعراء مـن تعريـفٍ بهـم, وذكـرٍ لطـرفٍ مـن أحـوالهم ومـواقفهم؛ لـم يكـن الشـعر بمعـزلٍ عـن ذلـك، بـل كـان حاضـراً فـي جـلّ

---

(1) – يُنظر: أخبار أبي نواس, المهزمي,98, ويُنظر: الأوراق– أشعار أولاد الخلفاء, 2.

(2) – يُنظـر: نزهـة المسـامر فـي أخبـار مجنـون بنـي عـامر, 22, 25, 26, 33, 36, 38, 42, 44, 47, 49, 53, 54, 67, 68, 69, 70, 95, 101.

(3) – بلاغـة العقـل العربـيّ, تجلّيـات المثاقفـة فـي التـراث النقـدي, محمـد بـن سـعد الـدكان, 99, المركـز الثقـافي العربـي–بيـروت, الدار البيضاء– المغرب, ط1, 2014م.

الأخبار, وكانت صيغة (أنشدني/ أنشدنا) من أكثر صيغ الأداء تمثيلاً له, كما يُلحظ ذلك في (أخبار أبي تمام)[1], و (أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم)[2], و(الورقة)[3], ونحو ذلك من كتب أخبار الشعراء.

ولا تقِلّ هذه الألفاظ وثاقةً عن ألفاظ السماع الأخرى في الرواية الأدبيّة, بل إنّ لفظاً مثل (أنشدني) قد يردُ حاملاً لأقصى دلالات الوثاقة, ولاسيما إذا كان السياق يُعينُ على ذلك, ومثاله ما نجده في سند خبرٍ يرويه ابن زولاق المصريّ, قال: ((وأنشدني سيبويه لنفسه...))[4], فضمير المتكلّم في فعل الإنشاد دلّ على اختصاص الإنشاد بالأخباريّ (ابن زولاق) دون غيره, وإسناد الرواية لِسيبويه (الشاعر) نفسه يقطعُ ما يُمكن أن يُستدرك على سلسلة المُحدِّثين من جهة وثاقتهم أو تضعيفها.

ومن ألفاظ السماع الأخرى التي نراها مطّردة الحضور في أخبار الشعراء الفعل (قال)[5]. بيد أنّ هذه الصيغة الأدائيّة قد توهم التدليس, شأنها في ذلك شأن قولهم (عن فلان)[6], إذ قد تكون (عن) في مقامِ تدليس ما ليس بسماع[7], فلا يُعرف ما إذا قال المروي عنه للرواي مباشرةً, أم أنّه مما قرأه الراوي أو سمعه, فليس من ضرورة حين ذاك تحتّم أن يكون هذا اللفظ دالّاً على سماعٍ مباشر, وهو نظيرٌ لقولنا أحياناً (قال تعالى)؛ ولذا فإنّ (قال) أو حتّى (ذكرَ) من دون (لي)؛ هي أضعف العبارات في عُرفِ المُحدِّثين[8].

---

(1) – يُنظر: أخبار أبي تمّام, 130, 236, 274, 276.

(2) – يُنظر: الأوراق/ قسم أشعار أولاد الخلفاء, 22, 38, 51, 380.

(3) – يُنظر: الورقة,13, 20, 45, 75, 79, 86, 89, 90.

(4) – أخبار سيبويه المصريّ, 38.

(5) – يُنظر – مثلاً – : أخبار أبي تمّام, 76–79, ويُنظر: أخبار البحتري,81, 109, 121, 124, 129, وينظر: أخبار الحلّاج, 66, 68, 71, 75.

(6) – وهي صيغة سنديّة يكثرُ ورودها في (أخبار الحلّاج), يُنظر: أخبار الحلّاج, 27, 63, 65, 67, 68 70, 72, 73, 74, 75, 76, 77, 81, 82, 91.

(7) – يُنظر: الكفاية في علم الرواية, 292.

(8) – يُنظر: تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي, 429/1.

كـذلك نجـد أنّ الفعـل (سـمعتُ) كثيـراً مـا يحضـرُ فـي (أخبـار البحتـري)[1], إذ يسـندُ الصـوليّ مـن خلالـه الخبـر إلـى مثـل عبـد الله بـن المعتـز[2], وأحيانـاً إلـى يحيـى بـن البحتـري[3], الـذي يـروي بعض أخبار أبيه ومواقفه.

إنّ ألفـاظ السـماع مهمـا تمـايزت فـي درجـة وثاقتهـا فـإنّ بنيتهـا التركيبيّـة فـي سـياقاتها المخصوصـة تكـون فـي الغالـب موجّهـةً لـدلالتها المعنويّـة والاصـطلاحيّة, فعلـى الـرغم مـن أنّ لفظـاً مثـل (حـدّثني) و(أخبرنـي) هـو فـي غايـة الوثاقـة فـي عُـرفِ الـرواة والمُحـدِّثين, فإنّـه قـد يُبنـى أحيانـاً للمجهـول, فيقـول الـراوي حينهـا: (وحُـدِّثتُ)[4] أو (وخُبِّـرتُ)[5] مُغيّبـاً سلسـلة الإسـناد أو مُحدِّثـه فـي أقـل اعتبـار, وهـو الأمـر الـذي ينحـو بمثـل هـذه التراكيـب اللفظيّـة لأن تكـون موضـع إيهامٍ أو تشكيك. ومثل ذلك الفعل (ذكرَ)[6], و(حكى)[7], و (قالَ)[8] إذا ما بُنيتْ للمجهول.

ومـن ألفـاظ السـماع التـي نجـدها حاضـرةً فـي (أخبـار الشـعراء) قـولهم: (ذاكرنـي)[9], وهـي مـن الفعـل (ذاكـرَ) علـى زنـة (فاعـل), وتـدلّ علـى المشـاركة[10], فـ(ذاكرني فـلان) أي: كـالمني[11], وعلـى هـذا فهـي مـن ألفـاظ السـماع. ولـيس ببعيـدٍ عـن هـذا اللفـظ فـي الدلالـة علـى المشـاركة قـولهم: (جـاذبني), فـإذ يتجـاذب الطرفـان الحـديث تكـون دلالـة فعـل المشـاركة أوثـق وأحـرى للأخـذ بـالخبر

---

[1] – يُنظر: أخبار البحتري, 57, 79, 95.

[2] – يُنظر: م. ن,72.

[3] – يُنظر: م. ن, 82,83, 111, 126, 130, 131.

[4] – يُنظر: أخبار أبي نواس, للمهزميّ, 44, 45, 58, 59, 75, 85, ويُنظر: أخبار سيبويه المصريّ, 28.

[5]– يُنظر: أخبار أبي نواس, المهزميّ, 21, 27.

[6] – يُنظر: أخبار الحلّاج, 65, ويُنظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 96, 98.

[7] – يُنظر: أخبار سيبويه المصري, 57, ويُنظر, أخبار أبي تمام, 244, 245.

[8] – يُنظر: أخبار أبي نواس, ابن منظور, 4, 5, 6, 32, 33.

[9] – يُنظر: أخبار البحتري, 173, ويُنظر: أخبار السيّد الحميريّ,20.

[10] – يُنظـر: معجـم الصـواب اللغـوي, د.أحمـد مختـار عمـر, وفريـقٌ مـن العمـل, 384/1, عـالم الكتـب, ط1, القـاهرة – 2008م.

[11] – يُنظـر: معجـم اللغـة العربيّـة المعاصـرة, د.أحمـد مختـار عمـر, وفريـقٌ مـن العمـل, 814/1, عـالم الكتـب, ط1, القـاهرة – 2008م.

لمـا يحمـل مـن دلالات علـى السـماع المباشـر مـن الآخـر المُحـدِّث, ومثالـهُ مـا جـاء فـي (أخبـار أبـي تمّـام), قـال الصـوليّ: ((وجـاذبني يومـاً بعـض مـن يتعصّـب علـى أبـي تمّـام بالتقليـد لا بالفهم...))[1].

مّمـا تقـدّم يتّضـح أنّ ألفـاظ السـماع يمكـن لهـا أن تُشـير دلاليّـاً إلـى قُـرب الـراوي مـن مصـدر الخبـر المنقـول, بـل إنّ ألفـاظ السـماع قـد تـدلّ علـى أقصـى درجـات قـرب الـراوي الأخبـاري مـن مصدر الخبر.

2- ألفاظ القراءة:

وصـورة القـراءة أن يقـولَ التلميـذ عنـد أداء روايتـه: قـرأتُ علـى الشـيخ وهـو يسـمع, وإنْ كـان القـارئ سـواه قـال: ((قُـرئ علـى الشـيخ وهـو يسـمع وأنـا كـذلك أسـمع))[2]. وجـوّزَ كثيـرٌ مـن أهـل الحـديث أن يقـول التلميـذ عنـد الأداء: حـدّثنا الشـيخ قـراءةً عليـه, أو أخبرنـا قـراءةً عليـه, أو سـمعتُ مـن الشـيخ قـراءةً عليـه, بـذكر هـذا القيـد الأخيـر إلزامـاً؛ لأنّ عـدم ذكـره يـوهم حصـول (السـماع) الذي هو أعلى صور التحمّل[3].

والقـراءة علـى مراتـب ((أجودهـا وأسـلمها أن يقـول: قـرأتُ علـى فـلان, أو قُـرِئ علـى فُـلانٍ وأنـا أسـمع فـأقرّ بـه, فهـذا سـائغٌ مـن غيـر إشـكالٍ. ويتلـو ذلـك مـا يجـوز مـن العبـارات فـي السـماع مـن لفـظ الشـيخ مطلقـةً, إذا أتـى بهـا هـا هنـا مقيّـدةً, بـأن يقـول: حـدّثنا فـلان قـراءةً عليـه, أو أخبرنـا قراءةً عليه, ونحو ذلك))[4].

---

(1) – أخبار أبي تمّام, 79.

(2)– الكفاية في علم الرواية, 296.

(3) – يُنظر: علوم الحديث ومصطلحه, 95.

(4) – علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح), 138.

ونُقِـلَ عـن بعضـهم أنّـه يكفـي الـراوي أن يقـول فيمـا سـمعه قـراءةً (أخبرنـا) ولا يحتـاج إلـى أن يقـول: (قـراءةً)[1]. وقـد يُلحـظ أنّ مـن أظهـر ألفـاظ القـراءة حضـوراً فـي أسـانيد الروايـة الأدبيّـة قولهم: (قرأَ), و(قُرِئ), و(قرأتُ), و(قراءةً عليه) [2], ونحو هذا من ألفاظ القراءة.

ومـن أمثلـة ذلـك مـا جـاء فـي (نزهـة المسـامر), قـال ابـن المِبـرد: ((قُـرئ علـى النظّـام[3] وأنـا أسـمع...))[4]. وقـد أدّى لفـظ القـراءة وظيفـة دلاليّـة مهمـة مفادهـا تأكيـد الخبـر وتعضـيد سـنده, وإلّا فإنّ سماع ابن المِبرد كافٍ للتدليل على وثاقة الخبر, إذ السماع أعلى مراتب الوثاقة السنديّة.

وبـالنظر فـي كتـب أخبـار الشـعراء, نلحـظُ أنّ ألفـاظ القـراءة نـادرة الـورود؛ ولعـلّ ذلـك راجـعٌ لكـون المؤلّـف الأخبـاري أحيانـاً يكـون هـو الـراوي لهـذه الأخبـار مـن دون أن يكـون ذلـك قـراءةً عليـه مـن غيـره, فهـو مصـدر الخبـر الأول ومَنشـأ الأخبـار, مثلمـا يُلحـظ ذلـك – أحيانـاً– عنـد أبـي هفّـان المهزمـي, والصـولي, ونحوهمـا, إذ يكـون اعتمـاد الـراوي الأخبـاري علـى مـا تسـعفه بـه الـذاكرة, مـن مرويّـاتٍ شـفاهيّة؛ ذلـك أنّ الكتابيّـة لـم تكـن بـديلاً عـن المشـافهة ((بـل جـاءت رافـداً ثقافيّاً لحركة الرواية, ومسانداً توثيقيّاً للراوي))[5].

كـذلك فـإنّ القـراءة قـد تُشـير دلاليّـاً إلـى أنّ الخبـر أو الأخبـار كانـت مكتوبـةً عـن الشـيخ أو سـواه, فقُـرِأت عليـه, لِيُقرَّهـا أو يُبـدي رأيـاً فيهـا. مـن ذلـك مـا جـاء فـي (أخبـار أبـي تمّـام), قـال الصـوليّ: ((حـدّثني محمـد بـن يزيـد النحـويّ, وكـان قـد عمـل كتبـاً لطافـاً, فكنـتُ أنتخـب منهـا وأقـرأ عليه, فقرأت عليه من كتابٍ سماه كتاب المحن والفطن, قال:...))[6].

---

(1) – يُنظر: الكفاية في علم الرواية,296.

(2) – يُنظر: بلاغة العقل العربي, تجلّيات المثاقفة في التراث النقدي, 92.

(3) – إبراهيم بن سيار بن هانئ البصريّ المعتزلي, يُنظر: الوافي بالوفيات, 6/ 12.

(4) – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 62, 72, 75, 93.

(5) – بلاغة العقل العربي, تجلّيات المثاقفة في التراث النقدي, 117.

(6) – أخبار أبي تمام, 158.

3- ألفاظ الإجازة:

وتكـون الإجـازة مـن الشـيخ إلـى تلاميـذه أو أحـدِهم أو عامّـة النـاس أو خاصّـتهم[1]. وللإجـازة ألفـاظ دلالــة عليهـا, نحـو: (أخبرنـا إجـازةً), أو (أجـاز لــي), أو (أجـاز لنـا), وهـذه الألفـاظ, ومـا شابهها وقاربها معنًى, هي من أدلّ الألفاظ على الإجازة في إسناد الرواية الأدبيّة[2].

بيـد أنّ مـا نجـده فـي أسـانيد كتـب أخبـار الشـعراء نـدرة ألفـاظ الإجـازة فاقتصـر علـى سـتّةِ مواضع[3].

4- ألفاظ المكاتبة:

والمكاتبــة صــورةٌ أخــرى مــن صــور تحمّــل الأخبــار وأدائهــا, ومفادهــا أن يكتــب الشــيخ إلــى الطالـب وهـو غائـبٌ عنـه شـيئاً مـن حديثـه بخـطِّ يـده , أو يكتـب لـه ذلـك وهـو حاضـرٌ, وقـد تقتـرنُ المكاتبــة بالإجــازة, وقــد تتجــرّد عنهــا[4]. ومــن أجلــى صــور المكاتبــة قــولهم (فــي كتابــه إلــيّ), أو (كتب إليّ)[5] أو (كتب إلينا)[6].

وعلــى الــرغم مــن دلالــة هــذه الألفــاظ علــى صــورة المكاتبــة, فإنّهــا تختلــف فــي التــدليل علــى الخصـوص والعمـوم تبعـاً للضـمائر المتّصـلة بمثـل هـذه الصـيغ, فـ(كتبَ لـي) فيهـا خصوصـيّة يُشـير إليهـا ضـمير المـتكلّم فـي (لـي), إذ خُـصّ راوي الخبـر بـه دون غيـره. ومثالـه مـا رواه ابـن الجرّاح, قال ((كتبَ إليّ الكرّاني[7]...))[8].

---

(1) – يُنظر: علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح), 151- 158.

(2) – يُنظر: بلاغة العقل العربي, تجلّيات المثاقفة في التراث النقدي, 93-94.

(3) – يُنظر: أخبار السيّد الحميريّ, 20, ويُنظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 21, 22, 36.

(4) – يُنظر: علوم الحديث (ابن الصلاح), 173.

(5) – يُنظر: الورقة, 33, 110, وينظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر,56.

(6) – يُنظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 22.

(7) – أحمد بن محمد بن عاصم أبو علي الكَرّاني (ت:339هـ), يُنظر: سير أعلام النبلاء, 24/12.

(8) – الورقة, 33, 110.

وقد تُشير مثلُ صيغة (كتب إلينا) إلى عموميّة تجاه المكتوب إليهم تبعاً للضمير المتصل بصيغة الأداء؛ بيد أنّ ضمير المتكلمين في (إلينا) قد يدلّ على المفرد, وإنّما يُقصدُ من ورائه التفخيم والتبجيل.

وممّا يُلاحظ أنّ ألفاظ المكاتبة يندر حضورها في أسانيد أخبار الشعراء؛ ولعلّ ذلك راجعٌ في الغالب إلى البعد الزمنيّ بين راوي الخبر الأوّل ومؤلفي كتب أخبار الشعراء.

5- ألفاظ الوجادة:

وصورتها أن يقف أحدُهم ((على كتابِ شخصٍ, فيه أحاديث يرويها بخطّه, ولم يلقَهُ, أو لقيه ولم يسمعْ منه ذلك الذي وجده بخطّه, ولا له منه إجازةٌ ولا نحوها. فله أن يقول: وجدتُ بخطّ فلان))[1].

ولا يُشترط في الوجادة إجازةٌ أو مناولةٌ أو مكاتبةٌ, إنّما الشرطُ فيها أن يقول الناقل: قرأتُ بخطّ فلان, أو في كتابِ فلان, وينصّ على ذلك[2].

ومع أنّ الوجادة على درجةٍ كبيرة من الوثاقة إلّا أنّها تختلف دلاليّاً تبعاً لورودها السياقيّ, فعندما يقول الراوي: (وجدتُ بخطّ فلان), فإنّ ما وجده لا يُعرف أكان في كتابٍ معروفٍ له, أم في رسالةٍ مخصوصة منه, أم هو خبرٌ في صحيفة مُتداولة بين تلاميذ المروي عنه ليس غير. ومثال هذا ما نراه في بعض الأخبار التي يرويها الصوليّ[3], وابن المِبرد الحنبليّ[4]. وليس ببعيدٍ عن هذه الدلالات الغامضة التي توحي بها بعض أسانيد الأخبار قولُ الراوي: ((وجدتُ في كُتبي))[5].

---

(1) – علوم الحديث (مقدمة ابن الصلاح), 178.

(2) – يُنظر: طبقات فحول الشعراء, ابن سلّام الجمحيّ (231هـ), تح: محمود محمد شاكر, 1/ 53 (مقدمة المحقّق), دار المدني, ط3, القاهرة–1980م.

(3) – يُنظر: أخبار أبي تمّام, 184, 207, 269, 279, ويُنظر: الأوراق/ قسم أشعار أولاد الخلفاء, 97.

(4) – يُنظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 79, 95.

(5) – يُنظر: أخبار أبي تمّام, 242.

وأوثق من هذا وجادةً لو قال الأخباريّ: (وجدتُ في كتاب فلان), فقد أشارَ حينها إلى كتابٍ مخصوص ودلّ عليه, ومثاله ما رواه الصوليّ قال: ((وجدتُ في كتاب أبي الفضل ميمون بن هارون[1]...))[2]. ومثيلٌ لذلك رواية ابن المِبرد عندما يقول: ((وذكرَ صاحب منازل الأحباب[3]...))[4], أو قوله: ((وذكر الغزاليّ في الإحياء[5]...))[6], أو عندما يروي أشعاراً للمجنون نقلاً عن ديوان شعره, فيقول: ((وممّا ذُكر له في ديوان شعره:...))[7].

6- ألفاظ الاختيار:

في الوقت الذي سار فيه رواة أخبار الشعراء على نهج رواة الحديث وعلمائه في الإسناد الحديثيّ, وطرق تحمّله وأدائهِ؛ فإنّهم حاولوا أن يُعبّروا عن خصوصيّةٍ أدبيّة في رواية الأخبار, ظهرت من خلال ألفاظٍ سنديّة نحو (أنشدنا) و(أنشدني).

وعلى ضوء هذا نجد أنّ رواة أخبار الشعراء قد استهلّوا شيئاً من مرويّاتهم الخبريّة بألفاظٍ تمثِلُ اختياراتهم الأدبيّة .

---

(1) – ميمون بن هارون بن مخلد بن أبان, أَبُو الفضل الكاتب صاحبُ أخبارٍ وحكايات وآداب وأشعار توفي سنة(277هـ), يُنظر: تاريخ دمشق, 278/15.

(2) – أشعار أولاد الخلفاء:63.

(3) – صاحب (منازل الأحباب ومنازه الألباب) هو الحسن بن شاور بن طرخان بن الحسن بن النقيب الكنانيّ المعروف بالفقيسيّ, توفّي سنة (687هـ), يُنظر: الوافي بالوفيات, 29/12, ويُنظر: فوات الوفيات, 324/1, وقد حقّقَ د.محمد الديباجي هذا الكتاب ونسبه لِشهاب الدين بن سلمان الحلبي, يُنظر: منازل الأحباب ومنازه الألباب, شهاب الدين محمود بن عمر بن سلمان الحلبي (ت:725هـ), تح: د.محمد الديباجي, دار صادر, ط1, بيروت–2000م, واستدرك على هذا المُحقَّق أحدُ الباحثين مُشكّكاً في نسبته للحلبي, مرجّحاً بالتحقيق نسبته لابن شاور, مؤاخذاً على الدكتور الديباجي – في ضمن مؤاخذاته– عدم متابعته وبحثهِ في نسبة الكتاب إلى مؤلّفه, يُنظر: نظرات نقديّة في كتاب منازل الأحباب ومنازه الألباب, أ.عباس هاني الجراخ, 755–770, مجلة العرب, ج11–12, السعودية–2005م.

(4) – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 99.

(5) – إحياء علوم الدين, الغزاليّ (505هـ), (15) جزء, دار الشعب, مصر, د.ت.

(6) – نزهة المسامر, 115.

(7) – م. ن: 96, 98.

والاختيـار لغـةً : الانتقـاء والتخيّـر[1]. وعُرّفـت الاختيـارات فـي معـاجيم الأدب بأنّهـا مجموعـة مـن القطـع المختـارة نثـراً أو شـعراً لِمؤلّـفٍ واحـدٍ أو أكثـر, وغرضـها تعريـف القـارئ بخيـر مـا كُتِـبَ مـن الأدب[2]. وإذ يخضـع الاختيـار لعـدّة معـايير ذوقيّـة وذاتيّـة, فـإنّ الشـهرة قـد تكـون معيـاراً لهـذه الاختيارات, لا سيما الشعريّة منها [3].

ونعنـي بـ (ألفـاظ الاختيـار) تلـك الألفـاظ التـي تصـدّرت الروايـات الشـعريّة, وكشـفت عـن اختيـارات الأخبـاريّين الأدبيّـة بنـاءً علـى تـرجيحهم الـذوقي وتخيّـرهم الأدبـيّ, نحـو: (واختيـاري مـن شعره), أو (ومن شعره), أو(وهو القائل), أو(وله), وما يُماثل هذا من تراكيب.

ومثـال ذلـك مـا أورده الصـوليّ فـي أخبـار عبـد الله بـن موسـى الهـادي[4], قـال: ((ومـن ملـيح شعره ... : (المنسرح)

مَـــا أَوْلَعَ الْحُبّ بِالْكِرامِ وَمَـــا أَوْلَعَ بِالْهَجرِ كُلّ مَحْبُـــوبِ

قَدْ حَجَبَ الْهَجْرُ مَنْ هَويتُ فَمَا يُسْعِفُنِي وَهُوَ غَيْرُ مَحْجُـوبِ

...))[5].

والاختيـار – بالإضـافة إلـى دلالتـه الذوقيّـة – قـد يكـون مـن أغراضـه (التمثيـل), فـإذ يعمـد الـراوي لـذكر جملـة مـن أخبـار الشـاعر فإنّـه يُعضّـدها بجملـة مـن أشـعاره مثـالاً علـى الشـائع مـن شعره, فيقول: ((ومن شعره: كذا))[6], أو: ((ومن قوله: كذا))[7], أو ((وله: كذا))[8].

---

(1) – يُنظر: لسان العرب, مادة (خار), 257/4.

(2) – يُنظر: معجم المصطلحات الأدبيّة في اللغة والأدب, 344.

(3) – يُنظـر: الشـهرة معيـاراً فـي كتـب الاختيـارات الشـعريّة, صـبا عبـد السـتار, 2– 6, مجلّـة كلّيّـة التربيـة الأساسـيّة للعلـوم التربويّـة والإنسانيّة, جامعة بابل, ع18, كانون الأوّل – 2014م.

(4) – هو عبد الله بن موسى بن الهادي بن المهديّ بن المنصور, يُنظر: الوافي بالوفيات,345/17.

(5) – الأوراق– أشعار أولاد الخلفاء, 85.

(6) – يُنظر: م. ن, 51, 54.

(7) – يُنظر: الورقة, 16, 25, 29– 31, 50, 54– 57, 60, 71, 72, 87.

(8) – يُنظر: م. ن, 60, ويُنظر: الأوراق– أشعار أولاد الخلفاء, 37.

إنّ الاختيـار الـذوقيّ فـي تصـنيف الشـعر والشـعراء مـنهجٌ راسـخٌ فـي التـأليف العربـيّ القـديم, إذ راح العلمـاء العـرب علـى وفـاق هـذا يُصـنِّفون الكتـب فـي الاختيـارات الشـعريّة, كمـا فعـل المفضّـل الضـبي (168هـ), والأصـمعيّ (ت:216هـ)[1], وابـن سـلّام الجمحـي (ت:231هـ) فـي طبقاته[2], وابن المعتز (ت: 296ه)[3], وغيرهم.

وتكثـر الاختيـارات الشـعريّة عنـد الملـك المنصـور محمـد بـن عمـر الأيّـوبيّ, فهـو ينحـو بمـا كتبـه لِأن يكـونَ كتـاب طبقـات, إذ نـراه يأخـذ بـإطلاق الأوصـاف علـى شـعر مـن اختـارهم بـين مفلـقٍ ومحسّـنٍ ومطبـوع, ومـا إلـى ذلـك مـن الأوصـاف التـي سـنأتي إليهـا فيمـا بعـد, وعليـه فإنّـه عنـدما يقـول: ((واختيـاري مـن شـعره...))[4] يُفصـحُ عـن اختيـاره الانطبـاعي الـذوقي, الـذي حـدا بـه صـــوب هـــذه الأوصـــاف التصـــنيفيّة, ومثـــل هـــذا عنـــدما يقـــول: وهـــو القائـــل: ...[5], أو ومـــن شعره[6].

7- ألفاظ الإنشاء:

الانشـاء فـي اللغـة: الابتـداء, وأنشـأ فـلانٌ حـديثاً, أي: ابتـدأ حـديثاً[7], وإنشـاء الشـيء: إيجـاده وإحداثه[8], وقولهم: أنشأ الشاعر, أي: ابتدأ يقول[9].

---

(1)- يُنظر: كتاب الاختيارين, الأخفش الأصغر (ت: 315ه), تح: د.فخر الدين قباوة , مؤسّسة الرسالة, ط2-1984م.

(2) - يُنظر: طبقات فحول الشعراء, ابن سلّام الجمحي (ت:231ه), تح: محمود محمد شاكر.

(3) - يُنظر: طبقات الشعراء, ابن المعتز (ت: 296ه), تح: عبد الستار أحمد فرّاج, دار المعارف , ط3, مصر.

(4) - يُنظـر: أخبـار الملـوك ونزهـة المالـك والمملـوك فـي طبقـات الشـعراء, 25, 38, 71, 84, 87, 88, 94, 214, 222, 229, 249, 255.

(5) - يُنظر: م. ن,159, 160- 172, 180, 183, 186, 190, 191, 196, 200, 202, 205, 208, 211,213, 220, 228, 253, 272.

(6) - يُنظر: م. ن: 149, 150.

(7) - يُنظر: تاج العروس, 466.

(8) - يُنظر: معجم اللغة العربيّة المعاصرة, 3/ 2208.

(9) - يُنظـر: الإبانـة فـي اللغـة العربيّـة, أبـو منـذر سـلمة بـن مسـلم الصُـحاري, العـوتبي (ت:511هـ), تـح: د.عبـد الكـريم خليفـة, وآخرين,284/3, وزارة التراث القومي والثقافة , ط1, عُمان-1999م.

ونعني بـ (ألفاظ الإنشاء) هنا, تلك الألفاظ التي استهلّ بها الرواة أخبارهم والتي حملتْ دلالاتها اللفظيّة والسياقيّة إشارات دلّتْ على أنّ هذا المروي من اجتراح الرواة وخلْقِهم, بناءً على مواقف ومشاهدات خاصّة بهم, ومن أكثر ألفاظ الإنشاء شيوعاً في (أخبار الشعراء) ما نجدهُ في مثل قولهم: (رأيتُ فلاناً...), و(سألتُ فلاناً...), و(صرتُ إلى فلان يوماً...), ونحوها.

وتكثر (ألفاظ الإنشاء) في كتب الأخبار التي عاصر مؤلِّفوها الشعراء المروي لهم, لاسيما إذا كانتْ هناك علاقة شخصيّة بين الراوي والمروي له, على نحو ما نجده عند ابن زولاق مؤلِّف (أخبار سيبويه المصريّ), الذي كثُرتْ في أسانيد أخباره (ألفاظ الإنشاء), من ذلك قوله: ((ورأيتُ سيبويه...))[1], وقوله في خبرٍ آخر: ((وسألتُه يوماً وأنا خالٍ به [يعني سيبويه]))[2], وقوله: ((وصرتُ إلى سيبويه يوماً وهو في منزلٍ يسكنه...))[3].

إنّ ألفاظاً افتتاحيّة مثل: (رأيتُ), و(سألتُ), و(صرتُ) تركنُ في الغالب إلى سياقاتها للتدليل على ابتكار الخبر وإنشائهِ. فمن الملاحظ أنّ اجتراح المؤلِّف للخبر قد لا تُدلِّل عليه – في بعض الأحيان – ألفاظٌ بعينها, إنّما يُفهم من السياق العام للخبر أو الأخبار, من ذلك جملة من الأخبار التي أوجدها ابن زولاق بناءً على مواقفَ له مع سيبويه المصريّ, وصدّرها بقوله: ((وكانت لي مع سيبويه قصص))[4], ومن ذلك أيضاً قوله: ((وكنتُ يوماً في المسجد بعد العصر حتّى وافى أبوه [أبو سيبويه المصريّ] إلى أبي بكر بن الحدّاد وهو يبكي...))[5].

وفي ضوء ما تقدّم فقد لاحظنا أنّ ألفاظ السند قد تباينت في دلالاتها اللغويّة, المعجميّة والتركيبيّة, ولم تكن على مرتبةٍ واحدة في الوثاقة الإسناديّة, وقد حملتْ دلالاتٍ إشاريّة

---

(1) – أخبار سيبويه المصريّ, 23, 42, 52.

(2) – م. ن: 47.

(3) – م. ن: 35.

(4) – يُنظر: م. ن, 50.

(5) – م. ن: 24.

أفصـحتْ عـن قـرب المؤلِّـف أو بعـده مـن المـروي لـه أو عنـه, لاسـيما قـرب الأخبـاريّين أو بعـدهم عـن الشـعراء أو رواة أخبـارهم, كمـا كشـفت تلـك الـدلالات – أحيانـاً – عـن إيهـامٍ إزاء المـروي عـنهم, لاسـيما إذا مـا بُنـي لفـظ السـند للمجهـول نحـو: (أُخبـرتُ), و(قيـل), أو صُـدِّرَ اللفـظ بحـرف الجـرّ (عـن), فقـد عُـدَّ حـرف الجـرّ (عـن) فـي قـول القائـل: حـدّثنا فـلان عـن فـلان ...., دلـيلاً علـى وجودِ فجوةٍ في سلسلة السند بسقوط حلقةٍ أو أكثر من حلقاتها[1].

ثانياً: دلالات ألفاظ المتن

تـوافرت بنيـة المتـون الخبريّـة علـى دلالاتٍ مختلفـة تجسّـدتْ مـن خـلال ألفـاظٍ كـان لهـا حضـورٌ ملحـوظ فـي تلـك المتـون. والمعنـيّ بألفـاظ المـتن هنـا تلـك الألفـاظ التـي حضـرت فـي بنيـة المـتن, وحملـتْ فـي طيّاتهـا دلالات لغويّـة أفصـحتْ عـن أوصـافٍ كـان عليهـا الشـعر أو الشـعراء, أو أبانـت عـن إحـالاتٍ مرجعيّـة تـردّ المـروي الخبـري إلـى زمـن حدوثـه, مُكسـبةً تلـك النصـوص صِفتها التاريخيّة والواقعيّة.

وقـد أسـفرتْ مثـل تلـك الأوصـاف – أحيانـاً – عـن رؤيـةٍ نقديّـة إزاء شـاعرٍ أو قصـيدة, حتّـى غدتْ بعض الأوصاف مصطلحاتٍ نقديّةً دالّة.

وسـنقف – هنـا – عنـد أهـمّ ألفـاظ المـتن متفحّصـين مـا تحمـل مـن دلالاتٍ لغويّـة تُكسِـب المتن قيمتَه الأدبيّة والمعرفيّة.

1- ألفاظ الوصف:

يعنـي الوصـف فـي الخطابـات السـرديّة أُسـلوباً ((مـن أسـاليب الـنصّ يتّخـذُ أشـكالاً لغويّـة, كـالمفردة, والمركّـب النحـوي, والمقطـع, وأيّـاً يكـن شـكله اللغـويّ فهـو يخضـع لبنيـةٍ أساسـيّة تتكـوّن من تسميةٍ وتوسعةٍ لهما))[2].

---

[1] – يُنظر: الخبر في الأدب العربيّ, 245.

[2] – معجم السرديّات, 472.

ويمكـن للوصـف أن يصـوّر لنـا جانبـاً أو جوانـب مـن السـمات الفكريّـة أو الثقافيّـة التـي تتسـم بهـا الشخصـيّة أو البيئـة الثقافيّـة أو الاجتماعيّـة أو الدينيّـة. والوصـفُ ((إنشـاءٌ يُـرادُ بـه إعطـاء صورةٍ ذهنيّة, عن مشهدٍ أو شخصٍ أو إحساسٍ أو زمانٍ, للقارئ أو المستمع))[1].

والمقصـود بألفـاظ الوصـف فـي المـتن الخبـري تلـك الألفـاظ التـي تحمـل فـي دلالاتهـا أوصـافاً ذاتيّـة أو تصـنيفيّة للشـعراء الـذين صُـنِّفوا تبعـاً لـذوقِ الأخبـاري ورؤيتـه النقديّـة, وهـو تصـنيفٌ قـد لا يبتعدُ – أحياناً – عن الميول الانطباعيّة الذاتيّة .

والأوصـاف التـي نُعـتَ بهـا الشـعراء قـديماً كثيـرة, حتّـى صـارت ألقابـاً اصـطلاحيّة دالّـة , فـإذا مـا أُطلقـتْ دلّـت علـى منزلـة الشـاعر الأدبيّـة بـين الشـعراء, وقـد نقـل الجـاحظ عـن بعـض العلمـاء قـولهم: الشـعراء ((أربـع طبقـات, فـأوّلهم: الفحـلُ الخنذيـذ. والخنذيـذ هـو التـام, قـال الأصـمعي: قـال رؤبـة: الفحولـة هـم الـرواة. ودون الفحـل الخنذيـذ, الشـاعر المُفلِـق, ودون ذلـك الشـاعر فقـط. والرابع الشعرور...))[2].

ومثـل هـذا قـال بعضـهم: ((الشـعراء أربعـة: شـاعرٌ خنذيـذ, وهـو الـذي يجمـع إلـى جـودة شـعره روايـة الجيّـد مـن شـعر غيـره,... وشـاعرٌ مُفلـقٌ, وهـو الـذي لا روايـة لـه, إلّا أنّـه مجـوّدٌ كالخنذيـذ فـي شـعره, وشـاعرٌ فقـط وهـو فـوق الـرديء بدرجـة, وشـعرور, وهـو لا شـيء. قـال بعـض الشـعراء لآخر هجاه: (الكامل)

يا رابعَ الشعراءِ كيفَ هجوتني وزعمتَ أنّي مُفحمٌ لا أنطقُ

وقيـل: بـل هـم: شـاعرٌ مُفلِـق، وشـاعر مُطلـق، وشـويعر، وشـعرور، والمفلـق: هـو الـذي يأتي في شعره بالفلق، وهو العجب، وقيل: الفلق الداهية))[3]

---

[1] – معجم المصطلحات العربيّة في اللغة والأدب, 433.

[2] – البيان والتبيين, الجاحظ (ت:255هـ), تح:عبد السلام هارون, 9/2, مكتبة الخانجي, ط7, القاهرة– 1998م.

[3] – العمدة في محاسن الشعر وآدابه, 114/1.

ومـن الألقـاب الأخـرى التـي أطلقهـا العلمـاء النقّـاد علـى الشـعراء, السُّـكّيتُ, والمُصـلّي[1], والمُحبِّـر[2], والمُحسِّـن[3]. والسُّـكّيتُ الـذي يكـون فـي آخـر الشـعراء تشـبيهاً بـالفرس التـي تكـون آخـر الحلبـة[4], والمُصـلّي السـابق المتقدِّم, وهـو مُشَـبَّهٌ بالمصـلّي مـن الخيـل، وهـو السـابق الثـاني, وإنمـا قيـل للفـرس الثـاني مصـلٍّ؛ لأنـه يتبـع الأول، فيكـون عنـد صَـلَوَيه، وصَـلوا الفـرس والبعيـر مـا اكتنـف الـذنب عـن يمـين وشـمال[5], والمُحبِّـر الـذي يُـنقِّحُ شـعره علـى الـدوام, ومثلـه المُحسِّـنُ الـذي يعمـل علـى تحسـين شـعره[6]. وقـد أحصـى الـدكتور أحمـد مطلـوب ثمانيـة عشـر مصـطلحاً نقـديّاً في ألقاب الشعراء[7].

واحتفظـت لنـا طائفـة مـن كتـب الأخبـار بألقـابٍ وصـفيّة صـنّفت الشـعراء علـى طبقـاتٍ, مـن ذلـك مـا نجـده فـي كتـاب (الورقـة) لابـن الجـرّاح, فقـد نَعـتَ فريقـاً مـن الشـعراء بجملـة مـن الألقـاب فهـذا شـاعرٌ محسّـنٌ[8], وذاك شـاعرٌ مطبـوع مُجيـد [9], وآخـر ملـيحُ الشـعر[10], وغيـره شـاعرٌ ظريـف[11]. وهـي ألقـابٌ تُعـرِبُ عـن تقيـيمٍ نقـديّ لشـعرِ أُولئـك الشـعراء الموصـوفين, حُكِّـمَ فيـه الـذوق الأدبـيّ الحصـيف الـذي كـان يتمتّـع بـه جهابـذة الـرواة العلمـاء بالشـعر والشـعراء كصـاحبنا أبـي عبـد الله محمـد بـن داود الجـرّاح, الـذي لـم يُـرَ فـي زمانـه أفضـلَ منـه كمـا ينقـل ابـن

---

(1) – يُنظر: الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء, 154, ويُنظر: طبقات فحول الشعراء, 375/2.

(2) – يُنظر: فحولة الشعراء, الأصمعيّ (ت:216هـ), تح: ش. تورّي, 10, دار الكتاب الجديد, ط2, بيروت–1980م.

(3) – يُنظر: الشعر والشعراء, ابن قتيبة الدنيوري, 396/1, 600/2, 603, 624, 851.

(4) – يُنظر: معجم مصطلحات النقد العربي القديم, د.أحمد مطلوب, 260, مكتبة لبنان ناشرون , ط1, بيروت–2001م.

(5) – يُنظـر: الزاهـر فـي معـاني كلمـات النـاس، أبـو بكـر الأنبـاري(ت: 328هـ), تـح: د. حـاتم صـالح الضـامن, 131/1, مؤسسـة الرسالة, ط1, بيروت–1992.

(6) – يُنظر: معجم مصطلحات النقد العربي القديم, 260–261.

(7) – يُنظر: م. ن, 260–262.

(8) – يُنظر الورقة, 100, 131.

(9) – يُنظر: م. ن, 120.

(10) – يُنظر: م. ن, 107

(11) – يُنظر: م. ن, 120, 131.

النـديم, وقـد كـان عالمـاً آخـذاً عـن العلمـاء والفصـحاء والشـعراء, وألّـف مـا لا يُحصـى مـن الكتب[1].

ولـيس ببعيـد عـن هـذا الوصـف التصـنيفي مـا فعلـه الملـك المنصـور محمـد بـن عمـر الأيّـوبيّ فـي كتابـه (أخبـار الملـوك ونزهـة المالـك والمملـوك فـي طبقـات الشـعراء), فلمّـا كـان مؤلَّفـه هـذا فـي طبقـات الشـعراء فإنّـه راح يصـنّفهم علـى وفـق طبقـاتهم الشـعريّة, فهـذا مفلـقٌ محسِّـن[2], وذاك مُجيـدٌ مفلـق[3] وآخـر شـاعرٌ بـديع[4], وغيـره شـاعرٌ أديـب[5], وشـاعرٌ قـال عنـه مُقِـلّ[6], وغيـره مُكثـر[7], ووصـف بعضـهم الآخـر فقـال: وهـو مـن فحـول الشـعراء[8], وقـال عـن بعضـهم: هـو شـاعرٌ كثيـر المُلـح[9], وصـنّفَ آخـر فقـال: هـو شـاعرٌ مطبـوع[10], أو هـو شـاعر مُفلـق[11], أو هـو شـاعرٌ مجوّد[12].

وقـد تخـرج هـذه الأوصـاف مـن حيّـز تصـنيف الشـعراء علـى وفـق طبقـاتهم الشـعريّة إلـى حيّـز الوصـف الفكـري والعقائـدي, ومثالـه مـا سـاقه الملـك المنصـور الأيّـوبي فـي

---

(1) – يُنظر: الفهرست, 161.

(2) – يُنظر: أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء,17.

(3) – يُنظر: م. ن, 23, 58, 220, 231, 232, 277, 338.

(4) – يُنظر: م. ن, 29.

(5) – يُنظر: م. ن, 29, 31, 32.

(6) – يُنظر: م. ن, 72, 214, 217, 308.

(7) – يُنظر: م. ن, 310, 352.

(8) – يُنظر: م. ن, 44, 140, 142, 233.

(9) – يُنظر: م. ن, 45, 46, 74, 82, 271, 272.

(10) – يُنظر: م. ن, 71, 108, 116, 136, 137, 138, 146, 147, 188.

(11) – يُنظر: م. ن, 43.

(12) – يُنظر: م. ن, 78.

وصـف أحـد الشـعراء, قـال: ((كـان صـوفيّاً أحمـق))[1], ووصـفَ آخـر فقـال : كـان فريـد عصره وواحد زمانه[2].

ولقـد دلّـت تلـك الأوصـاف علـى مكانـة الشـعراء الأدبيّـة علـى وفـق معـاييرَ أدبيّـة أعربت عن اتّساع الأُفق النقدي والذوقي للرواة المُصنِّفين.

2- **الألفاظ المرجعيّة:**

ونعنـي بهـا جملـة مـن الصـيغ الفعليّـة التـي تتـوافر عليهـا المتـون الخبريّـة والتـي تُحيـل إلـى مصـادر تحصـيل الكـلام وتعيـين أصـوله, وتتجلّـى وظيفتُهـا الدلاليّـة فـي أنّهـا تُعـين المتلقّـي ((علـى تحديد مرجعيّة النمط السردي, من حيث طبيعته وأصوله وامتداداته))[3].

إنّ اسـتخدام الـرواة – قـديماً – لمثـل هـذه الألفـاظ المرجعيّـة, التـي تـرتبط بـزمن معـيّن علـى كل حال؛ إنّما يجيء لإكساب هذه النصوص صفتها التاريخيّة والواقعيّة.

ولقد دلّت الكثير من ألفاظ المتن على المرجعيّة الزمنيّة للخبر من خلال حضور الأفعال الماضية نحو (كان), و(كنتُ), و(قال), و(رأيتُ), وكشفتْ هذه الألفاظ بما حملته من إشاراتٍ مرجعيّة عن زمن المروي الخبريّ, أو حادثته, من ذلك ما نجده في ما رواه أبو هفّان عن بعضهم ((قال: مرَّ بي أبو نواس في غداة يومٍ من أيّام الربيع, وقد طشّت السماء ساعةً, فلمّا طلعَ عليَّ من الباب أنشأ[4]: (السريع)

ما مثلُ هذا اليومِ في طيبِهِ[5] عُطِّلَ منْ لهْوٍ ، ولا ضُيّعَا

فما ترَى فيه ؟ وماذا الذي تُحبّ هذا اليوْم أن نصْنعَا ؟

---

(1) – أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء,80.

(2) – يُنظر: م. ن, 33, 48, 154, 247, 286, 292.

(3) – بلاغة العقل العربي, تجلّيات المثاقفة في التراث النقدي,252.

(4) – يُنظر: ديوان الحسن بن هانئ, 205/3, 206.

(5) – وفي الديوان: لم أرَ مثل اليوم...., يُنظر: ديوان الحسن بن هانئ, 205/3.

هــلْ لــك أنْ تَغْــدُو علــى قَهْــوَةٍ[1] تسْـــرعُ فـــي المـــرءِ إذا أسْـــرَعَا

مـــا وَجَـــدَ النّـــاسُ ، ولا جرّبـــوا ، للهـــمّ شـــيئاً مثْلَهـــا مـــدفَعَا

قال: فقلت له: ما كان يساعدني على هذا اليوم غيرك...))[2].

فدلالــة الفعــل (مــرَّ) الزمنيّــة والســياقيّة تكشــف عــن صــورة الحــدث المرجعــيّ, عنــدما كــان الــراوي بصــحبة أبــي نــواس فــي يــومٍ مــن أيّــام الربيــع, إذ المطــر المتســاقط والشــعر المرتجل.

ومثلمــا تحمــل هــذه الألفــاظ المرجعيّــة إشــاراتٍ زمانيّــة فإنّهــا تتــوافر أحيانــاً علــى إشــاراتٍ مكانيّــة تُعــيّنُ مكــان المــروي الخبــري, مــن ذلــك مــا رواه إبــراهيم بــن فاتــك, قــال: ((دخلــتُ يومــاً علــى الحــلّاج فــي بيــتٍ لــه علــى غفلــةٍ منــه فرأيتــه قائمــاً علــى هامــة رأســه, وهــو يقــول: يــا مــن لازمنــي فــي خَلَــدي قربــاً، وباعــدني بُعــد القِــدَم مــن الحــدث غيبــاً. تتجلّــى علــيَّ حتــى ظننتــك الكــلّ، وتُســلَب عنّــي حتــى أشــهد بنفيــك. فــلا بُعــدك يبقــى، ولا قُربــك ينفــع، ولا حربــك يغنــي، ولا سِــلْمك يــؤمن. فلمّــا أحــسّ بــي قعــد مســتوياً وقــال: أدخل ولا عليك. فدخلت وجلست بين يديه...))[3].

فالفعــل (دخــلَ) ومــا تــوافر معــه مــن ســياقٍ نصّــي, يُشــير إلــى مرجعيّــة الخبــر التاريخيّــة والمكانيّــة, وحتّــى يُكســب الــراوي خبــره وثاقــةً إخباريّــة فإنّــه أحــال إلــى مرجعيّــة حصــوله مكانيّــاً, فيكــون عنــدها أدعــى للقبــول والتصــديق, فقــد كــان الــراوي قــديماً حريصــاً علــى ربــط الآخــر المتلقّــي بخــيطٍ مــن الحقيقــة ينــتظم حبّــات الأحــداث, حتّــى صــار يتمثّــل

(1) – وفي الديوان: هل لك أن تغدو على خمرةٍ, يُنظر: 206/3

(2) – أخبار أبي نواس, للمهزمي, 20.

(3) – أخبار الحلّاج, 65-66.

عبارات ظلّتْ تُشكّلُ لازمةً سرديّة في أشكالٍ سرديّة معيّنة من تراثنا العربي, نحو: (زعموا), أو (بلغني)[1], أو نحو هذا.

ومن الملاحظ أنّ الأفعال الماضية في (أخبار الشعراء) بوصفها ألفاظاً مرجعيّة كثيراً ما تقترن بـ (لمّا) السابقة لها مكوّنةً تركيباً مرجعيّاً يحمل إشاراتٍ دلاليّة ومكانيّة وزمانيّة.

من ذلك ما جاء في أخبار المجنون وليلى, قال الراوي: ((فلمّا اشتهر أمره حُجِبتْ, ولامَ قيسٌ أهلَه على ذلك...))[2], ومثله ما جاء في أخبار الحلّاج, قيلَ: ((لمّا قُطِعتْ يداه ورجلاه قال: إلهي أصبحتُ في دار الرغائب أنظر إلى العجائب, إلهي إنّك تتودّد إلى من يؤذيك فكيف لا تتودّدُ إلى من يؤذى فيك))[3].

وقد ذكر النحاة أنّ (لمّا) إذا ما اختصّت بالماضي فهي ظرفٌ بمعنى (حين), وتكون وقتها حرف وجود لوجود؛ لأنّها تقتضي جملتين وجدت ثانيتهما لوجود أولاهما[4], وجواب لمّا عند النحاة إمّا فعل ماضٍ, أو جملة اسميّة مقرونة بـ (إذا) الفجائيّة, أو جملة اسميّة مقرونة بالفاء, أو قد يكون فعلاً مضارعاً[5].

ومن الملاحظ أنّ جواب (لمّا) في جلّ مواضع ورودها في (أخبار الشعراء) فعلٌ ماضٍ, كما يُلحظ ذلك في أخبار أبي تمام[6], والأوراق/ قِسمَي, أخبار الشعراء[7],

---

(1) – يُنظر: أنماط السرد في تراثنا العربي, نصر صابر,422, مجلّة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانيّة), المجلّد21, ع(2), فلسطين–2007م.

(2) – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 30.

(3) – أخبار الحلاج, 75.

(4) – يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, ابن هشام الأنصاري(ت:761هـ), تح: د.مازن مبارك, محمد علي حمد الله, 369, دار الفكر, ط5, بيروت– 1979م.

(5) – يُنظر: م. ن, 370.

(6) – يُنظر: أخبار أبي تمّام, 213.

(7) – يُنظر: الأوراق/ قسم أخبار الشعراء, 28, 51, 151, 250.

وأشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم[1], و الورقة[2], ونزهة المسامر[3], وأخبار سيبويه[4], وأخبار الحلّاج[5].

وعليه فإنّ اقتران (لمّا) الظرفيّة الزمانيّة بالفعل الماضي وكون جوابها فعلاً ماضياً؛ أمرٌ يجعل من التركيب الجملي متضافر الدلالات المرجعيّة التي تُشير إلى زمان وقوع الحدث. من ذلك ما جاء في أخبار أبان اللاحقي, قال الراوي: ((لمّا وليَ معاذ بن معاذ[6] قضاء البصرة كتبَ اليه أبان: (مجزوء الرمل)

يا معاذ بن معاذ الـ خير يا خير حكيم
قد تهيّا اللاحقيّو ن وأصناف تميم
لزموا مسجدنا في ضيقه أيّ لزوم

...))[7].

فالخبر يشير دلاليّاً من خلال ألفاظه المرجعيّة إلى مناسبة قول أبان الشعر في معاذ, التي تمثّلت بتولية معاذ قضاء البصرة, وقد حفظَ لنا هذا الحدث السردي في طيّاته أنموذجاً من شعر أبان اللاحقيّ, شأنه في ذلك شأن الكثير من المرويّات التي تضمّنت قصائد شعريّة أو مقاطع منها, الأمر الذي يؤشِّر خصوصيةً أخرى من خصوصيّات الرواية الأدبيّة, إذ اكتنزت الأخبار القديمة – لاسيما أخبار

---

(1) – يُنظر: أشعار أولاد الخلفاء, 9, 6, 26, 62, 82.

(2) – يُنظر: الورقة,67, 70.

(3) – يُنظر: نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر,31, 33, 36.

(4) – يُنظر: أخبار سيبويه المصري,25.

(5) – يُنظر: أخبار الحلّاج, 63, 65, 75.

(6) – معاذ بن معاذ بن نصر بن حسان , أَبُو المثنى العنبري, ولي قضاء البصرة لهارون الخليفة, يُنظر: أخبار القضاة, وكيع البغدادي (ت:306هـ), تح: عبد العزيز مصطفى المراغي, 2/137–139, المكتبة التجارية الكبرى, ط1 , القاهرة– 1947.

(7) – الأوراق/ قسم أخبار الشعراء,28.

الشـــعراء – بـــالكثير مـــن المرويّـــات الشـــعريّة, فأبانـــت بـــذلك عـــن تعـــالق الخبـــر الســـردي بالشعر, وامتزاجهما معاً في كثيرٍ من الأحايين.

وممـــا تقـــدّم نجـــد أنّ ألفـــاظ المـــتن قـــد حملـــت فـــي طيّاتهـــا دلالاتٍ أعربـــت عـــن أوصـــافٍ ذاتيّـــة أو تصـــنيفيّة, خُـــصَّ بهـــا الشـــعراء, اعتمـــاداً علـــى مـــا تمتّـــع بـــه العلمـــاء الـــرواة مـــن ذوقٍ نقـــديّ. وقـــد كانـــت تلـــك الأوصـــاف فـــي جلّهـــا ألقابـــاً اصـــطلاحيّة أعربـــتْ عن تقييمٍ نقديٍّ أسفر عن اتّساع الأُفق النقديّ والذوقي للرواة المُصنِّفين.

كـــذلك دلّـــت ألفـــاظ المـــتن علـــى مرجعيّـــات الخبـــر الزمانيّـــة والمكانيّـــة, مـــن خـــلال مـــا حملته من إشاراتٍ دلاليّة وسياقيّة متعاضدة.

المبحث الثاني: الاقتصاد اللغويّ في لغة الخبر

عُـرفَ الخبـرُ بصـورة عامّـة بالميـل إلـى الإيجـاز والاختـزال؛ لطبيعتـه البنائيـة القائمـة علـى الوحـدات الصـغيرة فـي الغالـب, وكـان ذلـك الإيجـاز متحقِّقـاً مـن خـلال لغتـه عبـر أسـاليب أدائيّـة مختلفة حقّقت له خصوصيّة الأدبيّة.

والاقتصـاد اللغـوي سـمةٌ ظـاهرة مـن سـمات الخبـر , وهـو مـن قبـلُ سـمة العربيـة وطابعهـا الـذي انتظمـت فيـه, بحكـم الظـروف الطبيعيـة البدويّـة التـي كـان يحياهـا العربـيّ, ونتيجـةً لـذلك الواقـع الاجتمـاعي والبيئـي كـان العربـي يميـل إلـى ((التقشّـف وحـب الاختصـار, ويميـل إلـى التقليـل والتخفيف في جُلّ مناحي الحياة التي يحياها))[1].

وعلـى وفـق هـذا فالاختصـار جُـلّ مقصـد العـرب وعليـه مبنـى كلامهـم ؛ ولـذا عمـدوا إلـى تحقيقـه بشـتّى الأسـاليب, فوضـعوا بـاب الضـمائر لأنّـه أخصـرُ مـن الأسـماء الظـاهرة, ولا سـيما ضـمير الغيبـة, وكـذا بـاب الحصـر بـ(إنّما) و(إلّا), فالجملـة فـي مثـل هـذا تنـوب منـاب جملتـين, ومثلـه بـاب العطـف, إذ تُغنـي حروفـه العاطفـة عـن إعـادة العامـل, وبـاب النـداء, إذ ينـوب الحـرف منـاب (أدعو) و(أنادي)[2], وغير ذلك الكثير, وكلها تحقِّق مبدأ الاقتصاد اللغويّ.

ولمّـا كـان الاختصـار مقصـوداً لتحقيـق الوجـازة التـي تهـدي إلـى الإقتصـاد اللغـوي, مـن دون أن يكـون ذلـك مـدعاةً لِلَـبسٍ أو اضـطراب؛ ذهـب علمـاء العربيّـة إلـى القـول بـأنّ ((اختصـار المُختصـر لا يجـوز))[3], فحـذف الحـرف – مـثلاً– اختصـاراً لا يحـوز ((لأنّ الحـروف إنّمـا جِـيءَ بهـا اختصـاراً أو نيابـةً عـن الأفعـال, فـ (مـا) النافيـة نائبـة عـن أنفـي, وهمـزة الاسـتفهام نائبـة عـن اسـتفهم, وحـروف العطـف عـن (أعطـف), وحـرف النـداء عـن (أنـادي). فـإذا أخـذتَ تحـذفها كـان

---

(1) – الإيجاز في القرآن الكريم, الحاج بكي, 72, رسالة ماجستير, جامعة أبي بكر بلقايد, كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة, الجزائر– 2001م.

(2) – يُنظر: الأشباه والنظائر في النحو, جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ), تح: د.عبد العال سالم مكرّم,70,مؤسّسة الرسالة, ط1, بيروت–1985م.

(3) – م. ن: 79.

اختصـاراً لمُختصـر, وهـو إجحـافٌ, إلّا أنّـه وردَ حـذف حـرف النـداء كثيـراً لِقـوّة الدلالـة علـى المحـذوف, فصـارت القـرائن الدالـة علـى المحـذوف كـالتلفّظ بـه))[1], ومـن ذلـك حـذف حـرف الاستفهام أيضاً.

والاقتصـاد اللغـوي ((أداءٌ مكثّـف مختـزل, ينقُـل الفوائـد الكثيـرة بوسـائل تعبيريّـة ميسّـرة تُخفِّـفُ القـدر الكبيـر ممّـا تتطلبـه المعـاني للإبـلاغ, إبّـان المعانـاة فـي التفكيـر والصـياغة, واسـتخدام جهـاز النطق والتعبير))[2].

وإذ ينحـو الاقتصـاد اللغـوي إلـى الحـدّ مـن ظـاهرة التبـذير فـي الاسـتعمال اللغـويّ[3], والانسـجام مـع طـابع العربيـة الآخـذ بالاقتصـاد اللفظـي والثـراء المعنـوي, فإنّـه ((مبـدأٌ فـي التعبيـر عـن المقصـديّة أو المعنـى بصـورةٍ أقـل جهـداً فـي النطـق وأخصـرَ طريقـاً فـي التعبيـر))[4], وهـو علـى وفق هذا يدور في جملة من المسالك الصوتيّة والصرفيّة والتركيبيّة والدلاليّة[5].

والاقتصـاد لا إفـراط ولا تفـريط, إنّمـا هـو وسـطٌ بينهمـا, فـإذ يكـون التفـريط هـو التقصـير, والإفـراط هـو الإسـراف؛ فالاقتصـاد ((أن يكـون المعنـى المضـمر فـي العبـارة علـى حسـب مـا يقتضيه المُعبّر عنه في منزلته))[6].

وبإمعـان النظـر فـي أخبـار الشـعراء نجـد أنّ الاقتصـاد اللغـوي فيهـا قـد تحقّـقَ عبـر أسـاليب بلاغيّة عِدّة, كان من أهمّها: الإيجاز , والاعتراض, والكناية, وسنقف عليها تباعاً.

---

(1) – شرح المفصّل للزمخشري, ابن يعيش (ت: 643هـ), تح: د. أميل بديع يعقوب, 362/1, دار الكتب العلميّة , ط1, بيروت, 2001م.

(2) – الاقتصاد اللغويّ في صياغة المفرد, د. فخر الدين قباوة,31, الشركة المصريّة العالميّة – لونجمان , ط1, مصر–2001م.

(3) – يُنظر: بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي, د. فاخر الياسري,57, دار الحامد للنشر والتوزيع, ط1, عمان–2011م.

(4) – م. ن: 43.

(5) – يُنظر: م. ن, 43– 56.

(6) – المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, ضياء الدين بن الأثير(ت:637هـ), تح: د.أحمد الحوفي, د. بدوي طبانة,178/3, دار نهضة مصر للطباعة والنشر, ط2– 1973.

أوّلاً: الإيجاز

الإيجـاز مـن أهـمّ خصـائص العربيّـة, فقـد كـان العـرب لا يميلـون إلـى الإطالـة والشـرح والإسـهاب, وكـانوا يعـدّون الإيجـاز هـو البلاغـة, فبـه يصـل المـتكلّم إلـى هدفـه مـن غيـر تمهيـدٍ أو زيـادة لا يقتضـيها المعنـى, الأمـر الـذي يجعـل الكـلام قصـيراً مـوجزاً سـهل الحفـظ والروايـة, وبهـذا الأسلوب تصل المعاني إلى القلب من أقصر طريقٍ فتؤثِّر فيه بالذي يسرُّ أو لا يسرّ[1].

وقـد آثـر العـرب الإيجـاز وحمـدوا الاختصـار, وذمّـوا الإكثـار والتطويـل والتكـرار, وكـلّ مـا زاد عـن المقـدار[2]. والإيجـاز مـرام البلاغـة ومرادهـا, ذلـك أنّ ((البلاغـة إصـابة المعنـى والقصـد إلـى الحجّة مع الإيجاز))[3].

وإذ تكـون البلاغـة داعيـة الإيجـاز, فـإنّ السـياق – غالبـاً – هـو مـا يقتضـي ذلـك الإيجـاز مـن عدمـه, فربّمـا ((كـان الإيجـاز محمـوداً, والإكثـار مـذموماً, وربّمـا رأيـتَ الإكثـار أحمـد مـن الإيجـاز, ولكـلٍّ مـذهبٌ ووجـهٌ عنـد العاقـل, ولكـلِّ مكـانٍ مقـال, ولكـلِّ مكـانٍ جـواب, مـع أنّ الإيجـاز أسـهل مراماً وأيسر طلباً من الإطناب, ومن قدَر على الكثير كان على القليل أقدر))[4].

فالإيجـاز أو التطويـل أمـرٌ يقتضـيه المقـام, ويوجبـه السـياق المقـالي, وكـان ((الكاتـب يـوجز تـارةً ويُطنِـبُ أُخـرى وفقـاً للظـروف التـي يكتـب فيهـا رسـالته, وكـان مـن الخطبـاء مـن يُطيـلُ, وكـان مـنهم مـن يـوجز, ولا يرجعـون فـي ذلـك إلـى قاعـدة غيـر المناسـبات التـي توجـب الكـلام, فتقضـي مرّةً بالإطناب, وتقضي حيناً بالإيجاز))[5].

---

(1) – يُنظر: أساليب بلاغيّة, الفصاحة, البلاغة, المعاني, د.أحمد مطلوب, 206–207, وكالة المطبوعات, ط1, الكويت, 1980.

(2) – يُنظر: رسائل الجاحظ, عمرو بن بحر الجاحظ, تح: عبد السلام هارون, 151/4, دار الجليل, ط1, بيروت–1991م.

(3) – م. ن, 151.

(4) – م. ن, 152.

(5) – النثر الفني في القرن الرابع, زكي مبارك, 59, مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة, ط1– 1934م.

والإيجـاز ((تأديـة المقصـود مـن الكـلام بأقـلِّ عبـارة متعـارف عليهـا))[1], وعليـه فـإنّ خصيصـة الإيجـاز تنضـوي ((تحـت مبـدأ الاقتصـاد فـي اللغـة, الـذي يعنـي التعبيـر عـن المضـامين العلميّـة بأقلّ عدد ممكن من الألفاظ من غير الإخلال بالمعنى))[2].

والإيجـاز عنـد ابـن الأثيـر قسـمان ((أحـدهما: الإيجـاز بالحـذف, وهـو مـا يُحـذف منـه المفـرد والجملـة, لِدلالـة فحـوى الكـلام علـى المحـذوف, ولا يكـون إلّا فيمـا زاد معنـاه علـى لفظـه. والقسـم الآخـر: مـا لا يُحـذف منـه شـيءٌ, وهـو ضـربان: أحـدهما: مـا سـاوى لفظـه معنـاه ويسـمى (التقدير), والآخر: ما زاد معناه على لفظه ويسمى (القِصَر)))[3].

إنّ إدخـال ابـن الأثيـر المسـاواة فـي بنيـة الإيجـاز لِكـون المسـاواة مهيّئـة لاستحضـار هـوامش دلاليّـة إضـافية ليسـت مـن مواضـعها الأصـليّة, ويعتمـد هـذا الاستحضـار علـى أبعـادٍ زمانيّـة ومكانيّة, أو حاليّة ومقاميّة[4].

وقـد اشـترط علمـاء البلاغـة لقبـول الإيجـاز البلاغـي بنوعيـه؛ أن تـؤدّي العبـارةُ المعنـى مـن دون إنقـاصٍ, فـإنْ كـان ثمـة انقـاصٌ مـن الدلالـة سـمّوا ذلـك (إخـلالاً)[5], لأنّهـم اشـترطوا أن يكـون الإيجـاز تكثيفـاً للّفـظ وتركيـزاً لـه علـى نحـوٍ يخـرج فيـه مُـثقلاً بالدلالـة مشـبعاً بـالمعنى, ((وقـد رأى فيه العرب الصورة المثلى للبيان العالي, وأنسوا فيه جماليّة أعلوا من شأنها كثيراً))[6].

وقـد اسـتقرّ الإيجـاز البلاغـي عنـد العـرب علـى قسـمين رئيسـين, سـنخوض فيهمـا, همـا: إيجـاز الحذف, وإيجاز القِصَر.

---

(1) – الطراز, للإمام يحيى بن حمزة العلويّ اليمني(ت: 705هـ), تح: د.عبد الحميد هنداوي,176/3, المكتبة العصريّة, ط1, بيروت– 2002م.

(2) – علم المصطلح, أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة, د. علي القاسميّ, 70, مكتبة لبنان, ناشرون, ط1– 2008م .

(3) – المثل السائر, 2/ 264.

(4) – يُنظر: البلاغة العربيّة, قراءة أخرى, د. محمد عبد المطلب, 334, الشركة المصريّة العالميّة للنشر– لونجمان, ط2–2007م.

(5) – يُنظر: الإيجاز في القرآن الكريم, 321.

(6) – م. ن, 321.

1- إيجاز الحذف:

الحذف بابٌ من أبواب الإيجاز, وهو ((إسقاط كلمةٍ للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام..., وإنّما صار الحذف في مثل هذا أبلغَ من الذكر لأنّ النفس تذهب فيه كل مذهب, ولو ذُكِرَ الجواب لَقُصِرَ على الوجه الذي تضمّنه البيان))[1], وهو ظاهرةٌ لغويّة يُرادُ بها الايجاز والاقتصاد, إذ تُؤثّر في المتلقي فتجعله يتصوّر ما يُناسب من المعاني المتوهّمة التي يُحتملُ معناها في اللفظ المحذوف, ويُشترط في مثل هذا الحذف ألّا يؤدّي إلى غموضٍ أو فسادٍ في معنًى[2].

والحذف على هذا بابٌ من (شجاعة العربية) كما يسميه ابن جنّي[3], ((وهو عبارة عن حذف شيء من لوازم الكلام, وثوقاً بمعرفة السامع به))[4], مثل قوله تعالى:(كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ)[5], أي: إذا بلغت الروح, ولم يجرِ لها ذكر, وفي مثل هذا فأنّ الفصيح يُقيم معرفة السامع مقام التصريح بذكر المحذوف[6].

ولابدّ للحذف من أن يراعيَ جملة من الأمور، منها عناصر التركيب الذي يقع فيه الحذف، والعلاقة بين العنصر المحذوف والعناصر القائمة تركيبياً أو دلالياً، وقدرة المخاطب على إدراك المحذوف إدراكاً يقوّيه السياق، كما يُراعى قصد المتكلم من الحذف، والسياق المقامي

---

(1) – النكت في إعجاز القرآن, أبو الحسن علي بن عيسى الرماني, في ضمن كتاب (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن), تح: محمد خلف الله أحمد, د.محمد زغلول سلام,76, دار المعارف, ط5, 2008م.

(2) – يُنظر: سمات الاقتصاد اللغوي في العربيّة, دراسة وصفيّة تحليليّة, وردة غديري, 63, رسالة ماجستير, جامعة الحاج لخضر – باتنة, كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة, الجزائر– 2003م.

(3) – يُنظر: الخصائص, ابن جني (ت:392هـ), تح: محمد علي النجار, 362/2, ط5, دارالكتب المصرية, مصر– 2010م.

(4) – أنوار الربيع في أنواع البديع, ابن معصوم المدني (1120هـ), تح: شاكر هادي شكر, 192/5, مطبعة النعمان, ط1, النجف – 1969م.

(5) – القيامة: 26.

(6) – يُنظر: أنوار الربيع في أنواع البديع, 192/5–194.

الـذي يُجيـز صـحّة التركيـب الـذي يقـع فيـه الحـذف مـن عدمـه[1] . كـذا لابـدَّ مـن أن يـدلَّ علـى الحـذف دليـل، وأدلـة الحـذف كثيـرة، منهـا: أن يـدل العقـل علـى ذلـك المحـذوف المقـدّر، مـع تـوافر الدلائل السياقية والعرفية[2].

والحـذف نوعـان، الأول: حـذف جـزءٍ مـن الجملـة، وهـو علـى صـور منهـا، حـذف الفاعـل ، أو حـذف المفعـول بـه، أو حـذف الفعـل وجوابـه ، أو حـذف المضـاف أو المضـاف إليـه وإقامـة أحـدهما مقـام الآخـر، أو حـذف الموصـوف أو الصـفة وإقامـة أحـدهما مقـام الآخـر ، أو حـذف الشـرط وجوابـه، أو حـذف بعـض حـروف النفـي أو الاسـتفهام أو العطـف، أو حـذف شـيءٍ مـن اللفـظ. والثـاني: حـذف الجملـة المفيـدة أو غيـر المفيـدة[3]، ولكـلِّ حـذفٍ سـياقاته ومبرراتـه وعلائمـه الدالة عليه.

وقـد كـان إيجـاز الحـذف موضـع عنايـة النحـويين والبلاغيـين، وإذ وزّعـه النحويّـون علـى موضـوعات وأبـواب علـى وفـق أصـولهم فـي تركيـب الجملـة؛ فـإنَّ البلاغيـين تحـدّثوا عـن أثـره فـي مجـال التقـدير والتأويـل، وأخرجـوا مـن هـذا النـوع مـن الإيجـاز مجـاز الاسـتعارة والمجـاز المرسـل ونحوهما على الرغم من تقدير محذوفٍ تأويلي فيهما، إذ أنّ المجازات عموماً من الإيجاز[4].

وتقـدير المحـذوف فـي هـذا النـوع مـن الإيجـاز قـد يأخـذ باتجـاه التأويـل، ومـا كـان ليكـون هـذا النـوع مـن الحـذف المـوجِز لـولا كراهـة التكـرار والنشـوز علـى العـادات اللغويـة التـي أُلِفـت فـي بنـاء الجمل والنصوص؛ ولذا يكون (الإيجاز بالحذف) صورة من صور الاقتصاد اللغوي .

ومـن صـور الإيجـاز بالحـذف فـي أخبـار الشـعراء مـا جـاء فـي خبـر ذهـاب أبـي نـواس وجماعـة مـن أصـحابه إلـى حانـةٍ فـي الكـرخ للشـراب واللهـو، قـال أحـد أصـحابه –

---

[1]– يُنظر: بلاغة الإيجاز في الشعرية العربية، يوسف بديدة، 26،رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر–باتنة، الجزائر–2009م.

[2]– يُنظر: أساليب بلاغية ، 212–214.

[3] – يُنظر: م. ن،214–228.

[4] – يُنظر: في النص القرآني و أساليب تعبيره، د. زهير غازي زاهد،201، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1, الأردن–2012.

متحـدثاً عـن فُحـش أبـي نـواس وإنكـاره المعـاد ومـا إليـه – :((فامتعضـنا مـن ذلـك وأنكرنـاه، واستفضـعناه، وقلنـا: والله مـا نُقِـرُّ لـك علـى هـذا، فقـد والله أفرطـت، وجـاوزت المقـدار، وجُـزتَ إلـى أن تُكـذِّبَ بالمعـاد، وإنَّـا نخـاف أن يُنـزلَ الله بنـا قارعـة، أو تُصـيبنا جائحـة[1] إذا رضـينا بقولـك، و أصـغينا إليـك، ولـم نعـذلك ولـم ننكـر عليـكَ، فـإن رجعـتَ وإلّا هجرناك وفارقناك...))[2] .

ففـي قولـه: ((ولـم ننكـر عليـك)) حُـذِفَ المفعـول بـه إيجـازاً واختصـاراً ، وإنمـا تقـدير الكـلام ((ولـم ننكـر عليـك فعلَـك)) ، وهـو تقـديرٌ يُشـير إليـه السـياق ويُـوحي بـه . كـذلك حـذفٌ آخـر نجـده فـي قولـه: ((فـإن رجعـت وإلّا هجرنـاك))، و التقـدير : فـإن رجعـت رجعنـا أو قبلنـا أو كـان خيـراً أو نحـو ذلـك ممـا يـوائم السـياق ويتناسـق معـه ، وقـد حُـذف فـي هـذا المثـال جـواب الشـرط اختصـاراً وإيجـازاً ، وهـو أمـرٌ شـائعٌ مطّـردٌ فـي كـلام العـرب، فمثلـه مـا جـاء فـي قولـه تعـالى : (وَلَـوْ أَنَّ قُرْآنًـا سُـيِّرَتْ بِـهِ الْجِبَـالُ أَوْ قُطِّعَـتْ بِـهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّـمَ بِـهِ الْمَـوْتَى...)[3] فقـد أرجـعَ الخطـابي جـواز الحـذف فـي هـذه الآيـة إلـى دلالـة السـياق، قـال : ((وإنّمـا جـاز حـذف الجـواب فـي ذلـك وحَسُـن؛ لأنَّ المـذكور منـه يـدلُّ علـى المحـذوف والمسـكوت عنـه مـن جوابـه؛ لأن المعقـول مـن الخطـاب عنـد أهـل الفهـم كـالمنطوق بـه ، والمعنـى : لـو أن قرآنـاً سـيّرت بـه الجبـال أو قُطِّعـت بـه الأرضُ أو كُلِّم به الموتى لكان هذا القرآن))[4] .

---

[1]– جائحة: مصيبة , ونزلت به جائحة من الجوائح, أي نزلت به مصيبة, يُنظر: العين, 260/3.

[2] – أخبار أبي نواس، المهزمي،37–38.

[3] – الرعد: 31.

[4]– بيان إعجاز القرآن, أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت:388), ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, تح: محمد خلف الله أحمد, د.محمد زغلول سلام,52, دار المعارف, ط5, مصر– 2008م.

ومثـال إيجـاز الحـذف مـا نجـده فيمـا رواه عبـد الـرحمن الأوزاعـي[1]، قـال: بعـثَ إلـيَّ عبـد الله بـن علـي[2]، فأُدخِلـتُ عليـه ، ((فأدنـاني ثـم قـال لـي: يـا عبـد الـرحمن مـا تقـول فـي مخرجنـا هـذا؟[3]، فقلـت: أصـلح الله الأميـر قـد كانـت بينـي وبـين أخيـك داود[4] مودّة فأعفِني، قال: لتخبرنّي، فقلت: لأصدقنّه, واستبسلت للموت فقلت))[5].

ففـي قـول الأوزاعـي الأخيـر (فقلـت) حـذفٌ مضـمر، إذ حُـذف معمـول الفعـل (المفعـول بـه)، والتقـدير– علـى مـا يبـدو – : فقلـت مـا لا يرضـيه، أو فقلـت الحـق الـذي أرى، أو فقلـت مـا ينبغـي لـي قولـه أو مـا يقـارب هـذا معنًـى. وإنّمـا حُـذف المعمـول هـا هنـا إيجـازاً واختصـاراً، وقـد دلّ علـى معنـاه سـياق الخبـر ومناسـبته، إذا تتمثـل بلاغـة الحـذف فـي أن المـتكلم يـرى فـي بعـض الأحيـان أن تـرك الـذكر أفصـح مـن الـذكر ، وأن المحـذوف إذا مـا دلّ عليـه دليـل اسـتُثقِلَ ذكـره ؛ لأنـه سـيكون عنـدها تعريفـاً لمـا عُـرِّف ، وبيانـاً لمـا بُـيِّنَ ، ولهـذا فالحـذفُ ((بـاب دقيـق المسـلك، لطيـف المأخـذ، عجيـب الأمـر، شـبيه بالسـحر، فإنّـك تـرى بـه تـرك الـذكر أفصـح مـن الـذكر، والصـمتَ عـن الإفـادة أزيـد للإفـادة، وتجـدك أنطـق مـا تكـون إذا لـم تنطـق، وأتـمَّ مـا تكـون بيانـاً إذا لـم تُبِن))[6]، وهو على هذا من أجلى وجوه الاقتصاد اللغوي الذي أخذت به العربية.

---

(1) – هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، عالم أهل الشام وفقيههم، والأوزاع بطن من بطون همدان ، وكان قد ولد سنة ثمانين ، وتوفي في بيروت سنة سبعٍ وخمسين ومائة ، يُنظر : الوافي بالوفيات ، 123/18.

(2) – هو عبدالله بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ، عم المنصور والسفّاح، سجنه المنصور يوم ظفر به في بيتٍ قد بناه وجعل أساسه ملحاً، وأرسل عليه الماء فوقع عليه فمات سنة سبع وأربعين ومائة ، يُنظر: فوات الوفيات، 192/2.

(3) – المقصود يوم خرجوا للشام فقتلوا جملة من بني أمية ومعهم ابن اختهم عمر بن أبي سلمة ، وكان الأوزاعي يميل إلى بني أمية، يُنظر: تاريخ دمشق، 77/45.

(4) – داود بن علي بن عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب، ولّاه أبو العباس مكّة والمدينة ثم أقام في المدينة أشهراً ، ومات سنة ثلاث ومائة، يُنظر: سير أعلام النبلاء, 444/5.

(5) – أشعار أولاد الخلفاء،303.

(6) – دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت:474هـ)، تح: محمود محمد شاكر، 146، مطبعة المدني، ط3, القاهرة–1992م.

ونجـد إيجـاز الحـذف متحققـاً فـي سـياق الفـاء الفصـيحة، وهـي فـاء التعقيـب حينمـا يكـون المعطـوف عليـه مقـدّراً ، نحـو قولـه تعـالى: (... فَقُلْنَـا اضْـرِبْ بِعَصَـاكَ الْحَجَـرَ فَـانْفَجَرَتْ مِنْـهُ اثْنَتَـا عَشْـرَةَ عَيْنًـا...)[1]، أي: فضـرب فـانفجرت[2]، وهـي علـى هـذا فـاءٌ فصـيحة متعلقـة بالمحـذوف المقـدّر ، ولا تقـع إلا فـي كـلام بليـغ[3]. وكقولـه تعـالى: (... فَتُوبُـوا إِلَـى بَـارِئِكُمْ فَـاقْتُلُوا أَنْفُسَـكُمْ ذَلِكُـمْ خَيْـرٌ لَكُـمْ عِنْـدَ بَـارِئِكُمْ فَتَـابَ عَلَـيْكُمْ...))[4]، أي فـامتثلتم فتـاب علـيكم[5]، ومنـه قولـه تعـالى : (فَكُلُـوا مِمَّـا غَنِمْـتُمْ حَـلَالًا طَيِّبًـا...)[6]، بطـيّ: أبحـثُ لكـم الغنـائم؛ لدلالـة الفـاء فـي (فكلـوا)[7] . وإنمـا سُـمِّيت فصـيحةً لأنهـا تُفصِـحُ عـن محـذوفٍ ، أو لأنهـا ممّـا يعرفـه الفصـيح ويميزه ، فسميت فصيحة بالمجاز[8].

وتتنـوع الفـاء الفصـيحة بتنـوع مـا يـدلُّ عليـه المحـذوف، فقـد يـدل المحـذوف علـى أمـرٍ أو نهـيٍ أو شرط[9]، ونحو ذلك.

ومـن أمثلـة الفـاء الفصـيحة مـا جـاء فـي أخبـار المجنـون، قيـل: ((... لمّـا ظهـر مـن المجنـون مـا ظهـر ورأى قومـه مـا ابتُلـيَ بـه ، اجتمعـوا إلـى أبيـه ، وقـالوا لـه : يـا هـذا ! قـد تـرى مـا ابتُلـيَ بـه

---

(1) – البقرة :60.

(2) – يُنظر: الفاء الفصيحة ،محمد بن أسعد ، جلال الدين الدّاوني(ت:928هـ)، تح: د. طه محسن،35، تموز ، طباعة، نشر، توزيع، ط1، دمشق–2011م

(3) – يُنظر: الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري (ت: 538)، تح: عادل أحمد عبد الموجد, علي محمد عوض، 274/1، مكتبة العبيكان,ط1, الرياض– 1998م.

(4) – البقرة:54.

(5) – يُنظر: مفتاح العلوم ، السكاكي (ت:626هـ) ، تح: د. عبدالحميد هنداوي، 388، دار الكتب العملية، ط1، بيروت–2000م.

(6) – الأنفال:69.

(7) – يُنظر: م. ن،389.

(8) – يُنظر: الفاء الفصيحة ،380.

(9) – يُنظر: م. ن، 44.

ابنـك، فلـو خرجـتَ بـه إلـى مكّـةَ، فعـاذ ببيـت الله، وزار قبـر النبي(صـلى الله عليـه وسـلم)، ودعـا الله – عز وجلّ – ، رجونا أن يرجعَ عقلُه ، ويُعافيه الله ...))[1] .

ففي قوله: (فعاذ ببيت الله) يكون تقدير الكلام: فخرج فعاذ ببيت الله ، وقد أفصحت الفاء عن الفعل المحذوف، فكان الحذف معها أمراً يدركه السامع بدلالة السياق المتضمن للفاء الفصيحة . ومثل ذلك أيضاً ما جاء في خبر قيس أنّه لمّا ((كان بمنًى نادى منادٍ من بعض تلك الخيام: يا ليلى! فخرّ قيس مغشياً عليه ، واجتمع الناس حوله، ونضحوا على وجهه الماء، وأبوه يبكى عند رأسه))[2].

ففي قولـه: (فخر قيس مغشيّاً عليه) يكون تقدير ما حُذِفَ وأفصحت عنه الفاء : فسمعه فخرَّ قيس مغشيّاً عليه.

ويتضح لنا أنّ علماء البلاغة في بحثهم لسياقات الحذف كانوا يرومون ((رصد الإمكانات التعبيرية في اللغة، وما ينتج عنها من تطبيقات في الكلام الإبداعي والإخباري على السواء. وهي إمكانات تهتم بالتنوعات التي لا تقوم على أساس فردي ، وإنما تهتم بالمحيط الأسلوبي العام الذي يرتبط بموقفٍ كلاميّ أو نمطٍ أدبي تتحرك على أساسه الصياغة، لِتستقرَّ في سياقات محددة))[3].

ويلاحظ البلاغيون أنّ ظاهرة (الحذف) تتسلط على البنى اللغوية ، الإفرادية والتركيبية ، تسلّطاً لا يقيم اعتباراً لمقولة النحاة إزاء (الفضلة والعمدة)؛ لأنّ الأدبيّة لها القدرة على التغلب على كثيرٍ من المقولات النحوية المحفوظة، لكنها تحتفظ لها بحقوقها الشرعية باعتبار الأصل، في المستوى العميق[4].

2- إيجاز القِصَر:

وهـو مـا يُسـمّى بإيجـاز البلاغـة, ويتحقّـق بـأداء المعـاني الكثيـرة بالألفـاظ القليلـة مـن دون حـذفٍ, وهـو مـراد البلغـاء ومطمحهـم[5], ويعنـي فـي عُـرف البلاغيـين ((الوصـول

---

[1] – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر، 34.

[2] – م. ن, 35.

[3] – البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبدالمطلب، 326،الشركة المصرية العالمية للنشر – لونجمان،ط3،مصر –1994م.

[4] – يُنظر: البلاغة العربية– قراءة أخرى ، 3328.

[5] – يُنظر: الإيجاز في القرآن الكريم, 322.

إلى الغرض بأقلّ ما يمكن من الألفاظ, دون أن يحدث خللاً أو لبساً في العبارة, وهنا يكون التعبير يتّسع لمعانٍ كثيرة عن طريق الإيحاء أو الإشارة أو التلميح في استعمال الألفاظ استعمالاً فنّياً عالياً))[1]؛ ولِذا فإنّه ((يحتاج إلى فضل تأمّل, وطول فكرة, لِخفاء ما يُستدلّ عليه, ولا يستنبط ذلك إلّا من رست قدمُه في ممارسة علم البيان, وصار له خليقةً وملكة))[2].

وعلى وفق هذا فإنّ إيجاز القِصَر صورة أخرى من صور الاقتصاد اللغوي القائم ((على ضربٍ من التقابل بين البنية اللغويّة والمعاني المختلفة التي يمكن استخلاصها من تلك البنية, وهو بكل بساطة تقليلٌ يُقصَدُ به التكثير, أو هو الاقتصاد في البنية اللغويّة والإطناب في مستوى المعاني الممكن استخلاصها من تلك البنية))[3], وذلك ما يعطي الخبر طابعاً اختزاليّاً ينهض على الاكتناز المعنوي إزاء الاقتصاد اللفظي, وهو ما دعاه القدامى بـ ((تقليل اللفظ وتكثير المعنى))[4].

وإذ تتطلّب القدرةُ على صياغة العبارة المكثّفة براعةً أدبيّةً, وخبرة بمسلك الوصول إلى المعنى وإيصاله, وإثارة الكامن المضمر في اللغة؛ فإنّ القارئ ((مدعوٌّ بما اختزن من نماذج لغويّة راقية, وبما اكتسب من معاشرة لنصوص الأدب والشعر من خبرةٍ وباع؛ أن يقطعَ المسافة الفاصلة بين الروائز اللغويّة الماثلة في النصّ وطبقات المعاني المحتجبة وراءها))[5]

---

[1] – في النص القرآني وأساليب تعبيره, 196– 197.

[2] – المثل السائر, 2/ 265.

[3] – بلاغة الوفرة والندرة, مبحث في الإيجاز والإطناب, نور الهدى باديس, 118–119, المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر, ط1, بيروت– 2008م.

[4] – كتاب الصناعتين, الكتابة والشعر, أبو هلال العسكري (ت:395هـ), تح: علي البجاوي, ومحمد أبو الفضل إبراهيم, 17, ط1, دار إحياء الكتب العربيّة, القاهرة–1952م.

[5] – بلاغة الوفرة والندرة, 120.

إنّ إيجـاز القصـر اختصـارٌ للمعـاني الـوفيرة بالألفـاظ القليلـة مـن دون أن يكـون ذلـك مـدعاةً لحـذفٍ لفظـيٍّ صـريح, إنّمـا هـي معـانٍ اتّسـع لهـا اللفـظ ودلّ عليهـا السـياق, واسـتنبطها المتلقّـي مـن خلال السياقات النصّيّة والمرجعيّات العرفيّة.

ومـن مصـاديق إيجـاز القِصَـر مـا رواه ابـن زولاق عـن سـيبويه المصـريّ أنّـه قـال: ((إنّ أفضـلَ الكـلامِ مـا اعتـدلت مبانيـه, وعـذبت معانيـه, وأسـلسَ علـى ألسـن ناطقيـه, ولـم يسـتأذنْ علـى آذانِ سـامعيه))[1], فقـد عبّـرت تلـك الجمـل الـوجيزة عـن معـانٍ مختزلـة لصـفة الكـلام البليـغ الـذي يحسُـن لـدى متلقّيـه؛ فاعتـدال المبـاني أمـرٌ يُقوّمـه حسـن الاختيـار والتـأليف بـين الألفـاظ, وعذوبـة المعـاني تكمـن فـي عمـقِ دلالـة تلـك الألفـاظ علـى معانيهـا المقصـودة, حتـى يخـرج المعنـى عـذباً, واللفـظُ سلسـاً فـي أفـواه النـاطقين بـه, وحتـى يكـون لـه وقـعٌ فـي آذان متلقّيـه, وكـلّ تلـك الأمـور تُفضـي إلـى صـفة الكـلام البليـغ الـدالّ, وقـد اختزلهـا سـيبويه المصـريّ بتلـك الجمـل المـوجزة التـي تفـيضُ بالمعـاني الـوفيرة؛ وإنّمـا كـلام سـيبويه هـذا فـي أصـله مقولـةٌ بليغـة فـي صـفة الكـلام, قالهـا خالـد بـن صـفوان[2], وظـلّ أهـلُ البلاغـة يتمثّلونهـا كلّمـا أوجـزوا فـي صـفة الكـلام؛ ذلـك أنّ خالـد بـن صـفوان سُـئل عـن أحسـن الكـلام, فقـال: هـو ((مـا شَـرُفت مبانيـه, وظرُفـت معانيـه, ولـذَّ فـي أفـواه القـائلين, وحسُنَ في آذان السامعين...))[3]

ومثـل هـذا مـا نجـده فـي (أخبـار أبـي تمّـام), فقـد قيـل إنّ أبـا تمّـام كـان سـريع البديهـة فـإذا ((كلّمـه إنسـانٌ أجابـه قبـل انقضـاء كلامـه كأنّـه كـان عَلِـمَ مـا يقـول فأعـدّ جوابـه, فقـال لـه رجـلٌ: يـا أبـا تمّـام, لِـمَ لا تقـولُ مـن الشـعر مـا يُعـرف؟, فقـال: وأنـت لِـمَ لا تعـرفُ مـن الشـعر مـا يُقـال؟, فأفحمه))[4].

---

[1] – أخبار سيبويه المصريّ, 22.

[2] – خالد بن صفوان بن عبد الله بن عمرو بن الأتهم التميميّ البصريّ, أحدُ فصحاء العرب وخطبائهم, كان راويةً للأخبار وخطيباً مفوّهاً, وكانت وفاته سنة (135هـ), يُنظر, معجم الأدباء, 3/1231-1236.

[3] – تاريخ دمشق, 16/105.

[4] – أخبار أبي تمّام, 72.

فالـذي يُعـرَفُ مـن الشـعر مـا قرُبـتْ معانيـه ووضـحت مقاصـده, وكـان يسـيراً علـى متلقّيـه, علـى خـلاف شـعر أبـي تمّـام الـذي كـان يغـوص فـي المعـاني, ويقصـد إلـى مرمًـى بعيـد, وقـد أوجـز السـائل كـلّ مـا يمكـن أن يُقـال مـن قـرب المعنـى, ووضـوح العبـارة, وسـهولة التلقّـي, ومـا إلـى ذلـك بقولـه: (لِمَ لا تقول من الشعر ما يُعرف؟), وقد أوجز أبو تمّام بقولـه: (لِمَ لا تعرف من الشعر مـا يُقـال؟), وهـو جـوابٌ مـوجزٌ لعـلّ مُـراده لِمَ لا تتعمّـق المعـاني وتغـوص إلـى أعمـاق دلالاتهـا فتُصـيب المقاصـد بمـا كلّفـتَ بـه نفسـك, وأجهـدتَ بـه تفكيـرك, وآثـرت المعـاني الواضـحة التـي تصـل إلـى المتلقّـي – أي متلـقٍّ – مـن دون إعمـال الفكـر, وتـدبّر المغـازي, وكـلّ ذلـك أوجـزه أبـو تمّام بمقالته تلك.

إنّ الإيجـاز – لا سـيما إيجـاز القِصَـر– سـمةٌ راكـزة مـن سـمات فـن الخبـر, وهـو مـا يسـمح لـه – وللاقتصـاد بشـتّى تمثّلاتـه – بـأن يكـونَ خصوصـيّة أخـرى مـن خصوصـيّات الخبـر الأدبـي, فـبحكم كـون الخبـر أصـغر وحـدة سـرديّة علـى مسـتوى التركيـب, أضـحى الاقتصـاد سـمةً مـن سماته المائزة[1].

وإذا كـان إيجـاز القِصَـر تكثيـف الألفـاظ ووفـرة المعـاني, أو حمـل الألفـاظ –مـن دون حـذف– لـدلالات معنويّـة ثريّـة, فإنّنـا نجـد بعـض الأوصـاف التـي تُطلـق علـى الشـعراء مـاهي إلّا ألفـاظٌ مـوجزة ذات دلالات عميقـة وافـرة, تلـك الأوصـاف التـي غـدت فيمـا بعـد مصـطلحات نقديّـة دالّـة؛ ذلـك أنّ المصـطلح خاضـعٌ لخصيصـة الإيجـاز[2]، فـإذا مـا قيـل عـن شـاعرٍ مـا, كـان (خنذيـذاً), أو (محسِّـناً) أو (مفلقـاً), أو نحـو هـذا مـن الأوصـاف[3]؛ فـإنّ ذلـك قـد دلّ علـى مكانتـه الأدبيّـة, ورتبتـه ومنزلتـه بـين الشـعراء, فكانـت تلـك الألفـاظ الواصـفة واسـعة الدلالـة, وعليـه فـإنّ أوصـاف الشـعراء الاصطلاحيّة هذه, تمثِّلُ وجهاً آخر من وجوه الاقتصاد في لغة الخبر.

---

(1) – الخبر في الأدب العربي, 391.

(2) – يُنظر: علم المصطلح, أسسه النظريّة وتطبيقاته العلميّة, 70.

(3) – يُنظر – مثلاً – : الورقة, 100, 107,120.131.

ونجـد إيجـاز القِصَـر مـاثلاً فـي مثـل خبـر إبـراهيم بـن المهـدي يـوم جلـس المـأمون لـه, وأمـر بإحضـار النـاس علـى مـراتبهم, قيـل: ((فجـيء بـإبراهيم فـي قيـدٍ فسـلّم, فقـال لـه المـأمون: لا سـلّم الله عليـك, ولا حفظـك, فقـال: علـى رسـلك يـا أميـر المـؤمنين, فلقـد أصـبحت ولـيّ ثـأري, والقـدرة تُذهب الحفيظـة, ومـن مُـدّ لـه فـي الأمـل هجمـت بـه الأنـاة علـى التلـف, وقـد أصـبح ذنبـي فـوق كـلّ ذنب, وعفوك فوق كلّ عفو, فإن تُعاقب فبحقّك, وإن تغفر فبفضلك...))[1].

ففـي قولـه: (القـدرة تُـذهب الحفيظـة) إيجـازٌ واضـح, يختـزل طلـب إبـراهيم للعفـو والصـفح مـن المـأمون, وقـول إبـراهيم هـذا إنّمـا هـو فـي أصـله مثـلٌ جـرى علـى ألسـنة القـوم فـي طلـب الصـفح والتلطّـف فـي مسـألة العفـو, وقـد ذكـره ابـن سـلّام فـي أمثالـه فـي (بـاب مياسـرة الإخـوان وتـرك الخـلاف علـيهم)[2], وهـو قـولٌ مقتصـد وافـر المعـاني, فقـد أوجـز فـي طلـب العفـو والاعتـذار بقولـه هـذا, فكـان غايـةً فـي الاقتصـاد, وقـد ذكـر أبـو حيّـان التوحيـدي فـي إحـدى لياليـه أنّ رجـلاً مـن جلّـة العلمـاء, لـه سـهمٌ وافٍ فـي زمـرة البلغـاء كـان كثيـراً مـا يقـول: مـا أحسـن معونـة الكلمـات القصـار, المشـتملة علـى الحِكَـم الكبـار, وإذ يُسـأل التوحيـدي عـن تمـام الخبـر بـذكر تلـك الكلمـات التـي أشـار إليهـا الشـيخ فإنّـه يـذكر منهـا قـولهم: إنّ المقـدرة تـذهب الحفيظـة[3], ومعنـاه الواسـع أنّ تمكّنـك مـن عـدوّك يزيـد غضـبك عليـه[4], والحفيظـة بمعنـى الغضـب عنـد أهـل اللغـة[5]. وهـذا الإيجـاز فـي الحِكَـم والأمثـال والمواقـف هـو مـن سـمات العربيّـة وخصائصـها الواضـحة, حتّـى أصـبحت هـذه المقدرة البيانية سليقة العربي حين يجسّم المعنى ويزيده قوّةً وحِدّة[6].

---

(1) – أشعار أولاد الخلفاء, 18.

(2) – يُنظر: الأمثال, أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي البغدادي (ت: 224هـ), تح: عبد المجيد قطامش, 155, دار المأمون للتراث, ط1, دمشق –1980.

(3) – يُنظر: الإمتاع والمؤانسة, أبو حيّان التوحيدي (ت: 400هـ), تح: أحمد أمين, أحمد الزين, 148/1, دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع,مصر –1942م

(4) – يُنظر: الأمثال, أبو الخير الهاشمي (ت:400هـ),78, دار سعد الدين, ط1, دمشق–1423هـ.

(5) – يُنظر: معجم مقاييس اللغة, 87/2 .

(6) – يُنظر: تاريخ الأدب العربي, العصر الجاهلي, د.شوقي ضيف,409, دار المعارف, ط22, القاهرة– 2000م.

ومثل هذه الوجازة والاختزال في الخبر السالف قول إبراهيم: (ومن مُدّ له في الأمل هجمت به الأناة على التلف), وهي جملة حِكَميّة مقتصدة, تنطوي على معنًى كبير في طلب العفو والرأفة, فكأنه يقول له إنّ أناتك وحلمك خلاصٌ لي من تلفي وضياعي, إن شئت العفو بفضلك عليّ ورأفتك بي.

وإذ يكون إيجاز القِصَر تكثيفاً للّفظ وتركيزاً له على نحوٍ تكون في العبارة مثقلة بالدلالة مشبعة بالمعنى, فإنّ تلك الجمل الوجيزة فائضة المعنى قد تتمثّل في عديدٍ من صور البلاغة العربيّة كالاستعارة, والكناية, و المجازات عموماً.

ثانياً: الاعتراض

الاعتراض مبحثٌ من مباحث اللغة شملته عناية النحويين والبلاغيين أيضاً, فأبانوا حدّه وأغراضه البلاغيّة المُرتجاة, وكان اهتمام البلاغيين بهذا المبحث بالغاً, فقد تعدّدت مصطلحاته ومفاهيمه عندهم, وتنوّعت دلالاته التي سِيقَ من أجلها, فمنهم من يسمّيه الاعتراض, ومنهم من يسمّيه الالتفات[1], وآخرون يسمّونه الحشو[2], إلى غير ذلك من المسمّيات المختلفة, ولعلّ السبب في كثرة مصطلحات الاعتراض عندهم ومسمّياته؛ أنّ منهم من نظر إليه من جانبه اللغوي النحوي, ومنهم من نظر إليه من قبل المعنى والغرض البلاغي الذي سيقَ من أجله, فاهتمّ بجانبه الدلالي بطريقة بلاغيّة صرفة[3].

---

[1] – يُنظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه, 45/2.

[2] – يُنظر: المثل السائر, 40/3, ويُنظر: خزانة الأدب وغاية الأرب, ابن حجّة الحموي (ت: 837هـ), تح: عصام شقيو, 280/2, دار ومكتبة الهلال, بيروت–2004م.

[3] – يُنظر: الاعتراض في القرآن الكريم, موقعه ودلالاته في التفسير, عبد الله بن عبده أحمد المباركي, 83, رسالة ماجستير, جامعة أم القرى, كلّيّة الدعوة وأصول الدين,1429هـ.

والاعتـراض أن يُؤتى فـي أثنـاء الكـلام بجملـة أو أكثـر, لا محـلّ لهـا مـن الإعـراب لِنكتـةٍ سـوى رفـع الإبهـام, كالتنزيـه[1]مـثلاً. وقيـل إنّ الاعتـراض ((إرادة وصـف شـيئين, الأوّل منهمـا قصـداً, والثـاني بطريـق الانجـرار, ولـه تعلّـق بـالأوّل بضـربٍ مـن التأكيـد, وعنـد النحـاة: جملـة صـغرى تتخلل جملة كبرى على جهة التأكيد))[2].

ولـم يفـرّق البـاقلاني بـين الالتفـات والاعتـراض, شـأنه فـي ذلـك شـأن بعـض العلمـاء, كقدامـة بـن جعفـر – مـثلاً– الـذي سـمّى الاعتـراض التفاتـاً[3], فقـد جعـل البـاقلّاني الاعتـراض التفاتـاً فـي قـول جرير[4]: (الوافر)

مَتى كَـــانَ الخَيَـامُ بذي طُلُوحٍ, سُقِيتِ الغَيْـثَ, أيَّتُهَـــا الخِيَـــامُ

فقـال معقّبـاً: ((ومعنـى الالتفـات: أنـه اعتـرض فـي الكـلام قولـه: سُـقِيتِ الغيـث, ولـو لـم يعتـرِض لـم يكن التفاتاً, وكان الكلام منتظماً, وكان يقول: متى كان الخيام بذي طلوحٍ أيتها الخيام))[5].

والحقيقـة – فيمـا يبـدو– أنّ البـاقلاني وغيـره مـن العلمـاء لـم يخلطـوا فـي التفريـق بـين الاعتـراض والالتفـات, بـل أنّ مثـل البـاقلاني كـان يـرى – كمـا يظهـر مـن كلامـه– أنّ الالتفـات قـد يكـون غرضـاً بلاغيّـاً مـن أغـراض الاعتـراض, فيلتفـتُ المـتكلّم مـن خـلال الجملـة الاعتراضـيّة صـوب المرجعيّـة الثقافيّـة أو التاريخيّـة, أو الاجتماعيّـة للشخصـيّة أو الحادثـة؛ ذلـك أنّ الالتفـات تحـوّلٌ أسـلوبي[6], قـد يكـون متحقّقـاً فـي الاعتـراض, ولـذا قـال قدامـة فـي تعريـف الالتفـات – وهـو: ((أن يكـون الشـاعر آخـذاً فـي معنـى، فكأنـه يعترضـه إمـا شـكٌّ فيـه, أو ظـنٌّ بـأن راداً يـرد عليـه قولـه، أو

---

(1) – يُنظر: التعريفات, علي بن محمد الجرجاني (ت:816هـ), تح: محمد صدِّيق المنشاوي, 29, دار الفضيلة, ط1, القاهرة– 2004م.

(2) – البرهان في علوم القرآن, الزركشي (ت:794هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, 56/3, دار إحياء الكتب العربية, ط1, القاهرة– 1957م.

(3) – يُنظر: نقد الشعر, قدامة بن جعفر (ت:327هـ), تح: عبد المنعم خفاجي, 150, دار الكتب العلمية, بيروت, د. ت.

(4) – يُنظر: ديوان جرير, بشرح محمد بن حبيب, تح: نعمان محمد أمين طه,278/2, دار المعارف, ط3, مصر–1949م.

(5) – إعجاز القرآن, الباقلاني, تح: سيد أحمد صقر, 150, دار المعارف بمصر, ط1–1954م.

(6) – يُنظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيّة, د. حسن طبل,11, دار الفكر العربي, ط1, القاهرة – 1998م.

سـائلاً يسـأله عـن سـببه، فيعـود راجعـاً علـى مـا قدمـه، فإمـا أن يؤكـده أو يـذكر سـببه أو يحـلّ الشـك فيه))[1].

إنّ للجملـة الاعتراضـيّة خصـائص عـدّة لعـلّ مـن أجلاهـا وقوعهـا بـين كلامـين متّصـلين لفظـاً, وتكـون لهـا صـلة معنويّـة بـالكلام الـذي تفصـل بـين جزئيـه, مـع احتفاظهـا باسـتقلاليّتها بوصـفها جملـةً, عـن الكـلام الـواردة فيـه, كمـا أنّ الجملـة الاعتراضـيّة لا تـؤثّر فـي عمـل العامـل بمعمولـه إذا مـا اعترضـت بينهمـا, كـذلك فـإنّ الـواو غالبـاً مـا تسـبق الجملـة الاعتراضـية, وجـاز تعـدّد الجمـل الاعتراضية عند النحاة, فقد يُعترض بأكثر من جملة[2] .

إنّ مـا يؤكّـده علمـاء البلاغـة هـو أنّ الجملـة الاعتراضـيّة لا تجـيء إلّا لفائـدةٍ أو نكتـةٍ بلاغيّـة ظـاهرة[3], وعليـه فقـد تعـدّدت الأغـراض البلاغيّـة التـي تحضـر لأجلهـا جملـة الاعتـراض, ومـن هـذه الأغـراض: تقريـر الكـلام, وقصـد التأكيـد, وللبيـان والتوضـيح[4] وقصـد التنزيـه[5], , وغيـر ذلك من الأغراض البلاغيّة التي يدعو إليها المقام السياقي.

والاعتـراض توقّـفٌ وجيـز لتفسـير مـا أُبهِـم أو إيضـاح مـا احتـيجَ معـه إلـى إيضـاح, وجملـة الاعتـراض جملـة منفتحـة علـى معـانٍ فائضـة؛ فقـد تعـود إلـى الـوراء لإضـاءةٍ مرجعيّـة إزاء قضـيّة ذاتيـة أو اجتماعيّـة أو دينيّـة, أو لتأكيـد قضـيّةٍ مـا جـرى ذكرهـا أثنـاء الكـلام أو نحـو ذلـك, كـل ذلـك يفعلـه المـتكلّم بإشـاراتٍ (اعتراضـيّة) مـوجزة تنفـتح علـى دلالاتٍ معنويّـة كبيـرة, مـن دون أن يـدعوه الأمـر إلـى مزيـد شـرحٍ أو تطويـل, فيقتصـد ويختصـر مرامـه بتلـك الإشـارات؛ ولِـذا فالجملـة

---

[1] – نقد الشعر, قدامة بن جعفر, 150.

[2] – يُنظر: الاعتراض في القرآن الكريم, موقعه ودلالاته في التفسير, 60– 65.

[3] – يُنظر: الجملة الاعتراضية والإعجاز, محمد السعيد بن سعد, 19, مجلة الواحات للبحوث والدراسات, ع10, الجزائر–2010م.

[4] – يُنظر: م. ن, 58/3.

[5] – يُنظر: البرهان في علوم القرآن, 57/3.

الاعتراضـيّة قـد يُستوضـح بهـا مـا غمُـضَ عـن شخصـيّةٍ أو حـدثٍ أو موقـفٍ مـا, فتـؤدّي بـذلك وظيفة تنويريّة استرجاعيّة تتشكّل من خلالها مفارقة زمنيّة تعيدنا إلى الماضي[1].

وعلـى وفـق هـذا فالجملـة الاعتراضـيّة وجـهٌ آخـر مـن وجـوه الاقتصـاد اللغـويّ؛ لمـا تحملـه مـن إضـاءاتٍ مرجعيّـة تنويريّـة كـان الـنص قـد اقتصـدَ فـي مزيـدِ بسـطها, فجـاءت جملـة الاعتـراض, بعـدّها لحظـةً اسـترجاعيّة, لتبعـثَ إشـاراتٍ تختـزل فـي أثنائهـا مزيـدٍ مـن الإيحـاءات حـول الحـدث, أو الشخصـيّة ومرجعيّاتهـا المتعـدّدة, أو أيّ عنصـر آخـر مـن عناصـر السـرد. والـذي يُلحـظ فـي هـذا السـياق أنّ الجملـة الاعتراضـيّة فـي أخبـار الشـعراء, التـي قُـيّضَ لهـا أن تكـون اقتصـاداً لغويّـاً؛ تمثّـلُ حتمـاً اسـترجاعاً خارجيّـاً يعـودُ مـن خلالـهِ السـارد إلـى لحظـةٍ سـرديّةٍ سـابقة لِلحظـة السـرد الأولـى, وبـذا يُحقّـق الاعتـراض أغراضـاً ووظـائف متنوّعـة تبعـاً لِطبيعـة السـرد وعناصـره المختلفة.

ومـن أمثلـة الاعتـراض فـي أخبـار الشـعراء – وهـي كثيـرة – مـا جـاء فـي أخبـار المجنـون, عـن بعضـهم, قـال: ((... وكـان فـي بنـي عـامر ثلاثـة مجـانين؛ معـاذُ ليلـى, وهـو معـاذ بـن كُليـب أحـد بنـي عـامر بـن عُبيـد, وقـيس بـن مُعـاذ, ومهـدي بـن المُلـوّح الجعـديّ))[2], فقـد أدّت جملـة الاعتـراض (وهـو مُعـاذ بـن كُليـب أحـد بنـي عـامر بـن عُبيـد) وظيفتهـا التعريفيّـة, إذ أبانـت عـن المرجعيّـة النسـبيّة التاريخيّـة لشخصـيّة قـيس, فمثّلـت بـذلك إضـاءة مـوجزة اقتصـدت عـن التطويـل والشرح.

وإذ يكـون التعريـف مـن وظـائف الاعتـراض البلاغيّـة فـي بيـان المرجعيّـة التاريخيّـة للشخصـيّة أو الحـدث؛ فـإنّ هـذه المرجعيّـات قـد تتنـوّع دلالاتهـا تبعـاً للسـياقات الـواردة فيهـا, فقـد يكـون الاعتـراض لبيـان وإيضـاح المرجعيّـة العقائديّـة للشخصـيّة, كمـا نجـد مثـل ذلـك فـي (أخبـار السـيّد الحميـريّ), روى المرزبـاني عـن بعضـهم قـال: ((بلغنـي أنّ

[1] – وقد وقفنا في الفصل الثالث عند الاسترجاعات الخارجيّة وتمثّلاتها في الجمل الاعتراضيّة.

[2] – نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, 23.

السيّد بلغه أنّ عبد الله بن إباض رأس الإباضيّة يعيبُ على عليٍّ, وتهدّدَ السيد بأنّه يذكره عند المنصور بما يوجب القتل, وكان ابن إباض يُظهر التسنّن ويكتم مذهب الإباضيّة,...))[1].

فقد أضاءت الجملة الاعتراضيّة الخلفيّة العقائديّة لعبد الله بن إباض, وأوضحت أنّ ابن إباض كان يبغض السيّد الحميريّ ويسعى به لِجنبَةٍ عقائديّة لفتَ إليها ذلك الاعتراض البليغ, ذلك أنّ الجملة الاعتراضيّة لا تجيء إلّا لِفائدةٍ ونكتةٍ بلاغيّة ظاهرة[2].

وقد يكون الاعتراض لِبيان المرجعيّة التاريخيّة للشخصيّة, من ذلك ما جاء في (أخبار أبي نواس), قال أبو هفّان: ((حدّثني محرز بن حرب, قال: لمّا ولّى هارون الرشيد إسماعيل بن صُبيح[3], بعد البرامكة, ديوانَ الرسائل – وكان كاتبهم, وكان يسعى بهم, ويكشف عوراتهم – استخلفَ ابنه على بعض الدواوين, وقال لأبي نواس: لو دخلتَ على محمّد فحدّثتهُ وأنشدته سررتني...))[4]. فقد أوضحت الجمل الاعتراضيّة المتوالية في قوله: (وكان كاتبهم, وكان يسعى بهم, ويكشف عوراتهم), جوانبَ مرجعيّة تتعلّق بالشخصيّة, فأفصحت بذلك عن طبيعة العلاقة الرابطة بين إسماعيل والبرامكة من جهة, وسعايته بهم من جهة أخرى, الأمر الذي يختزل الكثير من الخفايا التي أراد الراوي الإشارة إليها عبر هذه الإضاءات التنويريّة.

---

(1) – أخبار السيد الحميري, 51.

(2) – يُنظر: الجملة الاعتراضية والإعجاز, 19.

(3) – هو كاتب الرشيد, وكان حاذقاً, حكيم القول, يُنظر: الإعجاز والإيجاز, الثعالبي, تح: اسكندر آصف, 111–112, ط1, المطبعة العموميّة بمصر, 1897م.

(4) – أخبار أبي نواس, المهزمي,49.

وقد يكون الاعتراض لإيضاح مناسبة قيل فيها كلامٌ ما, من ذلك ما رواه ابن منظور في أخبار أبي نواس, قال: ((قال الجاحظ: سمعت النظام يقول – وقد أنشد شعراً لأبي نواس في الخمر– كأن هذا الفتى جمع له الكلام فاختار أحسنه))[1].

فعندما يعترض الراوي بقوله: (وقد انشد شعراً لأبى نواس في الخمر)؛ فإنّه قد أوضح المناسبة التي أدلى النظّام فيها برأيه في أبي نواس وبيان شأنه ومنزلته الرفيعة.

والجمل الاعتراضيّة تكثر في أخبار الشعراء؛ لما لها من دورٍ مهم في إضاءة النص وإيضاح مرجعيّاته, وتأكيد بعض جوانبه, ذلك أنّ الاعتراض من خصوصيّات الخبر التي يُستعاض بها عن التطويل في إيضاح جوانب مهمّة منه.

وقد يكون من شأن الجملة الاعتراضيّة بيان الشخصيّة الاجتماعيّة أو الثقافيّة أو المعرفيّة, من ذلك ما جاء في (أخبار أبي تمّام) عن البحتري أنّه قال: ((كان أول أمري في الشعر، ونباهتي فيه، أنّي صرتُ إلى أبي تمام وهو بحمص، فعرضتُ عليه شعري، وكان يجلسُ فلا يبقى شاعرٌ إلّا قصده وعرض عليه شعره، فلمّا سمع شعري أقبل عليَّ, وترك سائر الناس، فلمّا تفرقوا قال: أنت أشعر من أنشدني،...))[2].

فقول الرواي: (وكان يجلسُ فلا يبقى شاعرٌ إلّا قصده وعرض عليه شعره)؛ اعتراضٌ يُنبئ عن مكانة أبي تمّام ومنزلته الأدبيّة بين الشعراء إذ كانوا يقصدونه لِيعرضوا عليه بضاعتهم الأدبيّة.

إنّ أغراض الاعتراض البلاغيّة متعدّدة ومتنوّعة بتعدّد السياقات وتنوّع المقامات الواردة فيها, كما أنّ التراكيب اللغويّة تستمدُّ روعتها وجمالها من خلال الجمل الاعتراضيّة اللافتة, التي تُبيْن عن نكتٍ ما كانت لِتكون لولا وجود الجملة الاعتراضيّة[3] التي قد تنفتح دلاليّاً, لإضاءة النص والكشف عن مرجعيّاته المختلفة.

---

[1] – أخبار أبي نواس, ابن منظور, 62/1.

[2] – أخبار أبي تمام, 66.

[3] – يُنظر: الجملة الاعتراضيّة والإعجاز, 17.

ثالثاً: الكناية

الكنايـة لفـظٌ أُريـدَ بـه لازم معنـاه مـع جـواز إرادة معنـاهُ الأصـلي[1], وهـي كمـا يعرّفهـا عبـد القـاهر الجرجـاني ((أن يريـدَ المـتكلمُ إثبـاتَ معنًـى مـن المعـاني فـلا يـذكُرُه بـاللّفظِ الموضـوعِ لـه فـي اللّغـة ولكـن يجـيءُ إلـى معنـىً هـو تاليـهِ ورِدفُـه فـي الوجـودِ فيـومئُ بـه إليـهِ ويجعلـهُ دلـيلاً عليـه))[2], وهـي وجـهٌ مـن وجـوه البلاغـة قـائمٌ علـى تـرك التصـريح بـذكر الشـيء إلـى ذكـر لازمـه, لِيُنتقَـل إلـى ذلك اللازم المتروك, كقولك: طويل النجاد, لُينتقل منه إلى ملزومه وهو طول القامة[3].

وتقـوم الكنايـة علـى الخفـاء والإضـمار مـن خـلال محاولـة المـتكلِّم إثبـات معنًـى مـن المعـاني عـن طريـق الإيمـاء أو الإلمـاح إليـه, وسـمة الخفـاء المتحقِّقـة هـي التـي تُكسِـب الكنايـة المرتبـة العاليـة فـي دُرجِ البلاغـة[4], وهـذا مـا يجعـل مـن التركيـب الكنـائيّ المعـيّن بألفـاظٍ محّـددة؛ مركـزاً إشـعاعيّاً لإنـارة زوايـا المعنـى الـذي حُملـتْ عليـه الكنايـة, وبهـذا تكـون الكنايـة صـورةً أُخـرى مـن صـور الاقتصـاد اللغـوي, إذ أدّت المعـاني الواسـعة والـوفيرة مـن خـلال تراكيـب جمليّـة مـوجزة موحيـة, ذلـك أنّ ((الكنايـة تُشـكّل المجـال الخصـب لِتوليـد المعـاني الثانيـة مـن المعـاني الأولى))[5].

ويـرى العلمـاء أنّ الكنايـة أبلـغُ مـن التصـريح وآكـد, وهـي تكسـو المعـاني ديباجـةً وجمـالاً, ولهـذا أدرجهـا بعـض العلمـاء ضـمن مبحـث الإيجـاز, وجعلوهـا نوعـاً خاصّـاً مـن إيجـاز القِصَـر؛ لكـون

---

(1) – يُنظر: الإيضاح, الخطيب القزويني, تح: الشيخ بهيج غزاوي, 301/1, دار إحياء العلوم, ط4, بيروت–1998م.

(2) – دلائل الإعجاز, 66.

(3) – يُنظر: مفتاح العلوم, 512.

(4) – يُنظر: معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني, بين النظريّة والتطبيق, د. عطيّة أحمد أبو الهيجاء, 84, دار الخليج, ط1, الأردن–2010م.

(5) – م. ن, 96.

الكلمـات القليلـة فيهـا تعطـي معنًـى واسـع الدلالـة[1], فهـي علـى حـدّ وصـف الزركشـي ((قصـدٌ للاختصار))[2].

وتتفـاوت الكنايـات فـي دلالاتهـا تبعـاً لِقصـدِ المـتكلّم, فقـد تكـون تلويحـاً أو رمـزاً أو إيمـاءً أو إشارةً؛ ومساق الحديث يحسر لك اللثام عن ذلك[3].

وقـد قسّـمَ أهـل البلاغـة الكنايـة علـى أنـواع بلحـاظ المُكنّـى عنـه, وهـي: الكنايـة عـن صـفة, وفيهـا يُصـــرّح بالموصـــوف وبالنســـبة إليـــه, ولا يُصـــرّح بالصـــفة المُكنّـــى عنهـــا, بـــل بصـــفةٍ أُخـــرى تسـتلزمها[4]. والكنايـة عـن موصـوف, وفيهـا يُصـرّحُ بالصـفة, ويُصـرّح بالنسـبة, لكـن لا يُصـرّح بالموصـوف صـاحب النسـبة, بـل يُكنّـى عنـه بمـا يسـتلزمه ويـدلّ عليـه[5]. والكنايـة عـن نسـبة الصـفة إلـى الموصـوف, وفيهـا يُصـرّح بالصـفة والموصـوف, لكـن لا يُصـرّح بنسـبة الصـفة إلـى الموصوف, بل يُكنّى عن هذه النسبة بشيءٍ يستلزمها[6].

ومـن صـور الكنايـة فـي أخبـار الشـعراء مـا جـاء فـي خبـر أبـان اللاحقـي وأبـي نـواس يـوم تهاجيـا لضـغينةٍ كانـت بينهمـا, إذ يُـذكَر أنّ أبانـاً جُعِـلَ علـى عطـاء الشـعراء فـ ((أعطـاهم علـى مـراتبهم وطبقـاتهم, فلمّـا جـاء أبـو نـواس لِقـبض جائزتـه أعطـاه درهمـين, فرفـع أبـو نـواس يـده فصـفع أبانـاً, وقال: سارقُ غَلّة أمِّه, قد بلغني أنّ أمّك كسبت عشرة دراهم فخنتها...))[7].

فقـول أبـي نـواس (سـارق غَلّـة أمـه) كنايـةٌ بليغـة, كنّـى بهـا أبـو نـواس عـن صـفةٍ قبيحـة ادّعاهـا أبـو نـواس فـي أمِّ أبـان, ذلـك أنّ الغَلّـة كـلّ مـا حُصِّـلَ مـن ريـعِ أرضٍ أو كرائهـا أو أجـرة غـلامٍ أو

---

(1) – يُنظر: الإيجاز في القرآن الكريم, 187.

(2) – البرهان في علوم القرآن, 311/2.

(3) – يُنظر: مفتاح العلوم, 513.

(4) – يُنظر: البلاغة الاصطلاحيّة, د. عبده عبد العزيز قلقيلة, 105, دار الفكر العربي, ط1, الرياض–1989.

(5) – يُنظر: م. ن, 109.

(6) – يُنظر: م. ن, 112.

(7) – أخبار أبي نواس, المهزمي, 18.

نحـو ذلـك[1], وإنّمـا أراد أبـو نـواس أن يُعـرّض عـن طريـق الكنايـة بأبـان, فجعـل لِأمّـه صـفة البغـاء الـذي تجنـي منـه غَلّتهـا دراهـم. وقـد عـرّضَ بمثـل هـذا زهيـر بـن أبـي سـلمى مـن قبـل, إذ خاطـب القوم بشأن الحرب مُعرّضاً بهم يومَ تقاتلوا بقوله[2]: (الطويل)

فتغلل لكم ما لا تغلّ لأهلها قرًى بالعراق من قفيز ودرهم!

أراد أنّهـا تغـلّ لهـم دمـاً ممـا يكرهـون, ولا تغـلُّ قـرًى بـالعراق مـن قفيـزٍ ودرهـم, مثلمـا غلّـت علـيهم دمـاء الحـروب, وهـذا تهكّـمٌ وهـزءٌ, فـإنّكم تُقتلـون وتُحمَـل إلـيكم ديّـات قـومكم فـافرحوا بهـا فهـي غَلّـة لكم, فالمضار المتولِّدة من هذه الحروب تربو على المنافع المتولّدة من قرى العراق[3].

ومـن الكنايـة أيضـاً, مـا جـاء فـي خبـر أبـي دهمـان, قيـل: ((وفـد أبـو دهمـان علـى سـعيد بـن سـلم[4] بأرمينيـة، فأطـال حجابـه ثـم أذن للنـاس إذنـاً عامـاً فـدخل فـي غمـارهم, فقـال: إنّـي والله لأعـرف أقوامـاً لـو علمـوا أن سـفَّ التـراب يقـيم مـن أود أصـلابهم لجعلـوه مُسـكةً لأرمـاقهم، إيثـاراً للتنـزه عـن عـيشٍ رقيـق الحواشـي، إنـي والله لبعيـدُ الوثبـة، بطـيءُ العطفـة، ومـا يثنينـي عليـك إلا مثـل مـا يصـرفني عنـك...))[5], فقولـه: (إنّـي والله لَبعيـد الوثبـة) كنايـة عـن همّتـه العاليـة, وإقدامـه الكبيـر, وإنّمـا قيـل فـي صـفة النمـر إنّـه بعيـد الوثبـة, فربمـا وثـب أربعـين ذراعـاً[6]. ومثـل هـذا قـول سـعيد السـالف

---

(1) – يُنظر: أساس البلاغة, الزمخشري (ت: 538هـ), تح: محمد باسل عيون السود, 708/1, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت–1998م.

(2) – يُنظر: شرح المعلقات التسع, أبو عمرو الشيباني (ت: 206هـ), تح: عبد المجيد همو, 202, مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات, ط1, بيروت–2001م.

(3) – يُنظر: شرح المعلّقات التسع, 202, ويُنظر: شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات, أبو بكر الأنباري (ت:329هـ), تح: بركات يوسف هبّود, 242–243, ط1, المكتبة العصريّة, بيروت, 2011, ويُنظر: شرح المعلّقات السبع, الزوزني (486هـ), تح: محمد عبد القادر الفاضلي, 118, مؤسسة الصادق, ط1, 2004م.

(4) – سعيد بن سلم الباهلي, تولّى أعمال أرمينية والموصل والسند وطبرستان وسجستان والجزيرة, توفي سنة (217هـ), يُنظر: الوافي بالوفيات, 140/15.

(5) – الورقة, 68.

(6) – يُنظر: نهاية الأرب في فنون الأدب, 244/9.

(بطـيء العطفـة), فإنّمـا أراد أن يكنّـي أيضـاً عـن صـلابته واسـتقامته علـى مـا هـو فيـه, إذ العطفـة يُـراد بهـا الميـل, جـاء فـي كتـاب العـين: عطفـتُ الشـيء: أملتـهُ, وانعطـفَ الشـيء: انعـاج, ورجـلٌ عطيـف الجانـب علـى غيـره, أي: لـيّن الجانـب[1], ومـن ذلـك قيـل للخَرَزة التي تؤخِّذ بها النساءُ الرجالَ: العطفَة[2]؛ لأنّها تُميلهم نحوهنّ.

ومـن الكنايـة أيضـاً مـا نجـده فيمـا رويَ عـن محمـد بـن عبـاد المهلّبـي[3] أنـه قـال: ((لمـا مـات أبـو عيسـى بـن الرشـيد دخلـت إلـى المـأمون وعلـيَّ عمـامتي, فخلعـت عمـامتي، ونبـذتها ورائـي، والخلفـاء لا تُعـزى فـي العمـائم، ودنـوتُ فقـال لـي: يـا محمـد، حـال القـدر دون الـوطر: فقلـت: يـا أميـر المـؤمنين كـل مصـيبة أخطأتـك شـوًى[4]، فجعل الله الحزن لك لا عليك))[5].

فقـول المـأمون (حـال القـدر دون الـوطر), كنايـة عـن ضـعف همّتـه وانكسـاره لفجيعتـه بـأبي عيسـى, وإنّمـا عبّـر عـن عمـق هـذا الحـزن بقولـه هـذا. والـوطر: كـل حاجـة تكـون لـك فيهـا همّـة, والجمـع أوطـار[6], فقـد حالـت المنيّـة وقـدرها عـن كـلّ همّـة مزعومة كان يتطلّع إليها المأمون في أخيه.

وممّـا تقـدّم يتّضـح لنـا أن الاقتصـاد اللغـوي سـمة العربيّـة الظـاهرة, تحقّـقَ عبـر جملـة مـن الأسـاليب, كـان مـن أهمّهـا الإيجـاز, والاعتـراض, والكنايـة, وهـو علـى كـلِّ حـال وجـهٌ مـن وجـوه بلاغـة العربيّـة, يتـأتّى لِمـن أخـذ بزمـام اللغـة وتصـاريف بلاغتهـا. وكـان

---

(1) – يُنظر: العين, 17/2.

(2) – يُنظر: الصحاح, 1405/4.

(3) – محمد بن عباد بن عباد بن حبيب بن المهلّب بن أبي صفرة, وكان قد تولّى الصلاة والإمارة في البصرة, وتوفي فيها سنة (214هـ), يُنظر: تاريخ بغداد, 175/3-177.

(4) – شوًى أي: هيّنٌ سهل, قيل: كل أمرٍ شوًى ما سلمتَ من كذا وكذا, يُنظر: جمهرة اللغة, ابن دريد (ت: 321هـ), تح: رمزي منير بعلبكي, 2/ 883, دار العلم للملايين, ط1, بيروت-1987م.

(5) – أشعار أولاد الخلفاء,90.

(6) – يُنظر: المحكم والمحيط الأعظم, 232/9.

السـياق فـي كثيـرٍ مـن الأحـايين هـو الحـاكم فـي تقـدير المحـذوف إيجـازاً, أو المـوجز قِصَـراً. وكانـت للاعتـراض أغراضـه البلاغيّـة المتنوّعـة بتنـوّع السـياقات, فكـان منهـا الايضـاح وبيـان المرجعيّـات المختلفـة, التاريخيّـة والاجتماعيّـة, المتعلِّقـة بالشخصـيّة أو الحادثـة, أو بيـان منزلـةٍ, أو إظهـار صـفة, أو إيضـاح مناسـبة. وكـذا كانـت السـياقات محـلّ توجيـهٍ للـدلالات الكنائيّـة التـي عبّـر عنهـا الأخبـاريّون عبـر لغـة الخبـر, بمـا يُعطي الخبر خصوصيّة أدبيّة أخرى قائمة على الوجازة والاقتصاد اللغوي.

الخاتمة

يمكن للبحث أن يصير إلى جملةٍ من النتائج التي توصّل إليها, نوجزها على الوجه الآتي:

- يتّضح أنّ التأليف في (أخبار الشعراء) اتّجاهٌ واسعٌ عند القُدماء, فقد بكّروا في الإلتفات إليه, وصنّفوا إزاء ذلك عشرات الكتب الأخباريّة, وقد تبيّن أنّ الذاتيّة والموضوعيّة عاملان رئيسان في التأليف الخبري, صنّفَ على إثرهما العلماء الأوائل عشرات المصنّفات الخبريّة؛ رغبةً في تحقيق الذات, أو إعماماً للفائدة, ونشراً للعلم, أو انتصاراً لشاعرٍ, أو ميلاً نحو خليفةٍ أو وزير. ومن الملاحظ أيضاً أنّ إهداء العلماء بعضَ مصنّفاتهم إلى الولاة والأمراء والوزراء – مع وجود الدافع الذاتي أو الموضوعي– قد يُقصدُ من ورائه ضمان انتشار تلك المؤلّفات القيّمة, التي يضيقُ بمؤلّفيها الإكثار من انتساخها, أو الترويج لها في الأقطار.
- توزّعَ دورُ المؤلّف في كتب أخبار الشعراء على ثلاثةِ محاور, الأوّل رواية الأخبار, وهو وإن كان اتّجاهاً عامّاً يتحقّقُ في عموم المسرود الخبري؛ فإنّنا نجد بعض من ألّفَ في أخبار الشعراء قد اقتصرَ عليه واكتفى به دون سواه, والثاني تبويب الأخبار على فصولٍ أو أقسامٍ أو أبواب, والثالث التعليق على الأخبار, وهو نشاطٌ عمدَ إليه جملة من مؤلّفي كتب أخبار الشعراء؛ لأسبابٍ لعلّ منها حرصهم على سلامة المروي في بعض الأحيان, وأداءً للأمانة الروائيّة؛ فراحوا يوردون الأخبار كما هي بأسانيدها, ثم يُدلونَ بدلوهم معلقين على صحّة خبرٍ أو ركاكةِ لفظٍ, أو اختلاف روايةٍ, أو بيانِ معنًى, أو توجيه إعراب, وقد كان التعليق على الأخبار أيضاً ركيزةً من ركائز المفاضلة والموازنةِ والمقارنة بين الشعر, أو بين الشعراء.
- اتّخذ الخبرُ أنماطاً مختلفة من جهة تشكّله البنائي, تبعاً لحالته الإفراديّة والتركيبيّة؛ فعلى مستوى الإفراد نجد أنّ عوامل عدّة توافرت فيه أدّت إلى هذا التشكّل البنائي منها ما اتّصفَ به الخبر من الوجازة والاختزال, ومنها أيضاً وظيفة الخبر, التعريفيّة (السرديّة), أو الوصفيّة التصنيفيّة.

وعلى مستوى التركيب فإنّنا نجد أنّ تراكميّة الوحدات الخبريّة تُعطي الخبر تركيباً قد يمنحه سمتاً حكائيّاً, وقد يعمل هذا التراكب أو التراكم على توسيع دائرة الأحداث, وما يُرافق ذلك من ظهور شخصيّات جديدة أو تنوّعٍ في الأمكنة أو الأزمنة, قد تنهض تراكميّة الأخبار على وفق نظام التتابع لّلحظات السرديّة المتوالية, أو على وفق بنية النظم التي تنشأ من تضافر عدّة لحظات سرديّة منفصلة, يجمع بينها السياقُ المخصوص للخبر, أو على وفق نظام التكرار الذي تُعاد بموجبه رواية الخبر بأكثر من رواية فتُعاد بذلك أحداثه كلّيّاً أو جزئيّاً.

وقد يتّخذُ التركيب الخبري صورة (الإجمال والتفصيل), إذ يُروى الخبر مجملاً, ثمّ يُروى بصورةٍ أخرى تُفصِّلُ بعض الأحداث محافظةً على المضمون, على الرغم من اختلاف صياغتها اللغويّة.

وقد يكون الجامع الموضوعي مدعاةً أُخرى للتركيب الخبري؛ ذلك بأنْ يُروى خبران أو أكثر تحت عنوانٍ رئيس تُساقُ بإزائه الأخبار, فيكون ذلك العنوان الرئيس جامعها الموضوعي.

- يتّضحُ لنا أنّ قسماً كبيراً من متون أخبار الشعراء قد تعالق مع الأشعار, الأمر الذي يجعلُ منها وحدةً عضويّةً يصعبُ معها فصل تلك المتون عن الأشعار التي سِيقتْ إزاءها, إذ يصيرُ الشعر عندها جزءاً من الحركة السرديّة, وهذا ما يمثّلُ خصوصيّةً أدبيّة أخرى من خصوصيّات الخبر.
- تشكّل الخبر فنيّاً على وفق مستويين, الأوّل: الخبر الواقعي, والآخر: الخبر غير الواقعي, وقد شكّل الخبر الواقعي المألوف النسبة الأكثر اطّراداً في أخبار الشعراء؛ ذلك أنّ الواقعيّة أصلٌ سعى مجمل السرد القديم إلى تكريسه, حتّى نجدَ أنّ بعض المتون الخبريّة قد انغلق على هذه الواقعيّة. وتبيّنَ أنّ عواملَ عِدّة أسهمت في تكريس هذه الواقعيّة في الأخبار عموماً, منها وظيفة الخبر السرديّة التوثيقيّة, أو الموضوعيّة التي تتمثّل أحياناً بدافع الانتصار

والاحتجاج كما في (أخبار أبي تمّام). وقد تحقّقت الصفة غير الواقعيّة في الأخبار عبر صورٍ مختلفة, كان منها المفارقة القائمة على الجمعِ بين النقيضين على مستوى الفعل السلوكي, أو موقف الذات ممّا يُحيطُ بها, وتعاطيها مع الفعل الحدثي, أو مستوى المفاهيم والتصوّرات.

والكرامات – أيضاً– عاملٌ آخر من عوامل تكوين الطابع غير المألوف في أخبار الشعراء, وقد كثرت تلك الكرامات في أخبار الحلّاج المتصوّف, وكانت محطّ اعتقادٍ وإيمانٍ عند المتصوّفة. وكانت المنامات أو الرؤيا الحُلميّة – إلى جانب ذلك – مساهماً آخرَ في بلورة التشكّل الفنّي غير المألوف في أخبار الشعراء, من خلال ما تحمله تلك المنامات من نبوءاتٍ يُستبشرُ بها, وإخبارٍ عن أمورٍ غيبيّة. وقد تُسهم المبالغات, أو التزيّد الروائي في تكوين صورة التشكّل غير الواقعي في هذه الأخبار.

- تضافرت عدّة عوامل لإعطاء جملة من الأخبار مسحة تخييليّة, قد ترقى بها صوب الخرفنة والأسطرة الخبريّة؛ فقد يكون الرواة من المساهمين في إضفاء المسحة الأسطوريّة على الأخبار بما يُضيفونه من أحداث, أو مبالغات تؤسطر الخبر, أو قد يكون مردُّ غير المعقوليّة في الأخبار راجعاً إلى التراكميّة الزمنيّة, إذ يُسهم التعاقب الزمني والنقل الشفاهي الاجتماعي في إعطاء بعض الأخبار صبغة خياليّة تتجاوز المألوف اليومي, أو المألوف العقلي. كذلك إنّ القبول الاجتماعي, في بعض الأمكنة والأزمنة, قد يسمح في انتشار الأخبار غير الواقعيّة.
- تشكّلَ السرد الخبري في أخبار الشعراء على وفق الأسلوبين السرديين الذاتي والموضوعي, وفي الوقت الذي يكون فيه السرد الموضوعي غالباً في هذه الأخبار؛ فإنّ تداخل الأسلوبين السرديين أمرٌ شائعٌ في هذه المتون.
- تقلّ الاستباقات الزمنيّة, وكذلك الاسترجاعات الداخليّة في بعض المتون الخبريّة, وتضمحلُّ في بعضها الآخر؛ ذلك أنّ السرد التقليدي القائم على مبدأ السببيّة مهيمنٌ بصورةٍ عامّة على السرد القديم, ولا سيما سرد الأخبار. وقد تتّخذُ الاستباقات الزمنيّة التي توافرت

عليها بعض الأخبار؛ صورةَ الرؤيا الحُلميّة التي تُمثّل أحياناً نبوءةً مستقبليّة تتنبّأ بها شخصيّةٌ ما في أثناء السرد.

- كثرت الاسترجاعات الخارجيّة في أخبار الشعراء؛ لِما لها من دورٍ كبير في إضاءة النصّ الذي يتسم بالوجازة والاقتصاد غالباً, وكثيراً ما تتخذ هذه الاسترجاعات الخارجيّة صورة الجملة الاعتراضيّة التي من شأنها إضاءة حدثٍ ما, أو تأدية وظيفة إفهاميّة, أو وظيفة استشهاديّة تعضيديّة.
- اتّخذَ الحوار الداخلي, بعدّه تقانة من تقانات إبطاء السرد, صفةَ البوح الذاتي والاعتراف الشخصي, وقد يتّخذُ في بعض مواضعه صورة المناجاة والتوسّل.

وإذ يكون الحوار الخارجيّ من تقانات إبطاء السرد أيضاً؛ فإنّه قد أُدّيَ من خلال صيغٍ فعليّةٍ يُفتتحُ بها حديث المتحاورين, مثل: (قالَ– قلتُ), (قال– قالَ له), (قلنا– فقال), ونحو ذلك.

- لم يكن التواتر أو التكرار, بعدّه تقانة زمنيّة, شائعاً في السرد الخبري؛ لِما اتّصفت به الأخبار من اختصارٍ وإيجاز, وإن حضرَ فإنّما توجبه عدّة أمور, من أهمّها التحرّز الروائي؛ إذ يحتاط الراوي في بعض الأخبار, فيرويها بصورها المختلفة, أو قد يُوجب ذلك التكرار وظيفة الخبر الاستشهاديّة التعضيديّة.
- يمكن رصد صورتين من الأمكنة في أخبار الشعراء, إحداهما: المكان الأليف, والأخرى: المكان غير الأليف, فأمّا المكان الأليف فقد ينبئ عن البيئة الثقافيّة التي تنشأ فيها الشخصيّة, أو طابع الشخصيّة السلوكي, وأمّا المكان غير الأليف فقد تمثّل بصورٍ مكانيّة متعددة كانت مثار خوفٍ أو دهشة, نحو القبر, والجبل المثير للدهشة والاستغراب.
- كانت الشخصيّة من حيث وجودها على صورتين, إحداهما الشخصيّة الواقعيّة, والأخرى الشخصيّة غير الواقعيّة. والشخصيّة الواقعيّة هي الشخصيّة المنتمية إلى الواقع المألوف من خليفةٍ, أو وزيرٍ, أو والٍ, أو شاعرٍ, أو شيخٍ, وما إلى ذلك, فيما تكون الشخصيّة غير

الواقعيّة مثاراً للدهشة والاستغراب بفضل فعلها السلوكي الخارق لقوانين الطبيعة, أو قد تكون الشخصيّة غير الواقعيّة, واقعيّةً في أصل وجودها غير أنّها اكتسبت صفةً غير مألوفة بفعل سلوكها المثير, على نحو ما نجده في شخصيّة الحلّاج.

- بُنيَ الحدث على وفق أنساقٍ بنائيّة مختلفة, نحو النسق المتتابع, والنسق المتداخل, والنسق الدائري, ونسق التضمين. وكان النسق المتتابع من أكثر الأنساق شيوعاً في المتون الخبريّة؛ لطبيعة السرد الخبري القائمة على مبدأ السببيّة, وإذ يُحقِّق نسق التضمين حضوراً ظاهراً؛ فإنّ ذلك راجعٌ لأسبابٍ منها وحدة الشخصيّة, أو تقارب المواضيع, كما يُلحظ أنّ التضمين الخبري منشأٌ للتركيب في عموم الأخبار.
- تباينت الدلالات اللغويّة لألفاظ السند الخبري تبعاً لتنوّع الأسانيد صياغةً وبناءً, وفي الوقت الذي اتّبعَ فيه الأخباريّون أهل الحديث ورواته؛ فإنّهم قد عبّروا في بعض الأحيان عن خصوصيّةٍ أدبيّة ظهرت من خلال ألفاظٍ سنديّة مخصوصة, نحو (ألفاظ الاختيار) التي أعربت عن ترجيح الأخباريين الذوقي, وتخيّرهم الأدبي, و(ألفاظ الإنشاء) التي أعربت عن اجتراح الرواة لبعض الأخبار وخلقهم لها بناءً على مواقفَ ومشاهداتٍ خاصّة بهم. وقد تنوّعت الدلالات اللغويّة لألفاظ المتن الخبري أيضاً تبعاً لِتنوّع المتون الخبرية, إذا كشفت أحياناً عن أوصافٍ ذاتيّة, أو تصنيفيّة خُصّ بها الشعراء اعتماداً على ما تمتّع به العلماء الرواة من ذوقٍ نقديّ, وكانت تلك الأوصاف في جُلّها ألقاباً اصطلاحيّة كشفت عن تقييمٍ نقديّ أسفرَ عن اتساع الأفق النقد والذوقي للرواة المصنّفين. وقد دلّت ألفاظ المتن على مرجعيّات الخبر الزمانيّة والمكانية, من خلال ما حملته من إشاراتٍ دلاليّة وسياقيّة متعاضدة.
- أعربَ الخبرُ عن ميله إلى الإيجاز والاختزال, وقد اتّسمَ بالاقتصاد اللغوي, إذ تحقّقَ هذا الاقتصاد عبر أساليب بلاغيّة متعدّدة, كان من أهمّها الإيجاز, والاعتراض, والكناية, وهو على كلّ حال وجهٌ من وجوه بلاغة العربيّة, يتأتّى لمن أخذ بزمام اللغة وتصاريف بلاغتها, وكان السياقُ في الغالب حاكماً في تقدير المحذوف إيجازاً, أو الموجز قِصَراً. وقد لبّى

الاعتــراض – أيضــاً – أغراضــاً بلاغيّــةً متنوّعــة بتنــوّع الســياقات, نحــو الإيضــاح, وبيــان المرجعيّــات المختلفــة, التاريخيّــة والاجتماعيّــة, أو بيــان منزلــة, أو إظهــار صــفة, أو إيضــاح مناسبة, وكذا فقد كانت السياقات محلَّ توجيهٍ للدلالات الكنائيّة المتنوّعة؛ وبذا يكون الاقتصاد اللغويّ خصوصيّةً أدبيّةً أخرى من خصوصيّات الخبر.

المصادر :

- القرآن الكريم.
- الإبانة في اللغة العربيّة, أبو منذر سلمة بن مسلم الصُحاري, العوتبي (ت:511هـ), تح: د.عبد الكريم خليفة, وآخرين, وزارة التراث القومي والثقافة , ط1, عُمان-1999م.
- أبو الطيب المتنبي وأخباره, الثعالبي, تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, مطبعة التوفيق الأدبي, ط2, مصر-1925م.
- إحياء علوم الدين, الغزالي (ت:505), دار الشعب, القاهرة- د.ت.
- أخبار أبي تمّام, للصولي (ت:335هـ), تح: خليل محمود عساكر, محمد عبدُه عزام, نظير الإسلام الهندي, لجنة التأليف والترجمة والنشر, مصر- 1973م.
- أخبار أبي نواس, المهزمي (ت:257هـ), تح: عبد الستار أحمد فرّاج, دار مصر للطباعة, القاهرة-1953م.
- أخبار أبي نواس, المهزمي, تح: فرج الحوار, منشورات الجمل, ط1, بيروت- 2011م .
- أخبار أبي نواس, لابن منظور (ت:711هـ), تح: محمد عبد الرسول إبراهيم, عباس الشربيني, مطبعة الاعتماد, ط1, مصر-1924م.
- أخبار البحتري, للصولي , تح: د.صالح الأشتر, مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق, ط1, دمشق- 1958م.
- أخبار الحلاج, لعلي بن أنجب الساعي البغدادي (ت:674هـ), تح: موفق فوزي الجبر, دار الطليعة الجديدة, ط2, دمشق-1997م.
- أخبار السيّد الحميري, للمرزباني (ت:385هـ), محمد هادي الأميني, مطبعة النعمان, ط1, النجف-1965م.

- أخبار القضاة, وكيع البغدادي (ت:306هـ), تح: عبد العزيز مصطفى المراغي, المكتبة التجارية الكبرى, ط1,القاهرة-1947.
- أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء, للملك المنصور, محمد بن عمر الأيوبي (ت:617هـ), تح: ناظم رشيد, دار الشؤون الثقافية العامة, ط1, بغداد- 2001م.
- أخبار سيبويه المصري, ابن زولاق المصري (ت:807هـ), تح: محمد إبراهيم سعد, حسين الدين, مكتبة الأبحاث العلميّة, ط1, مصر-1933م.
- أخبار شعراء الشيعة, للمرزباني (ت:385هـ), تح: محمد هادي الأميني, شركة الكتبي للطباعة والنشر والتوزيع, ط2, بيروت-1993م.
- أساس البلاغة, الزمخشري (ت: 538هـ), تح: محمد باسل عيون السود, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت- 1998م.
- الأشباه والنظائر في النحو, جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ), تح: د.عبد العال سالم مكرّم, مؤسّسة الرسالة, ط1, بيروت-1985م.
- إعجاز القرآن, الباقلاني (ت:403هـ), تح: سيد أحمد صقر, دار المعارف بمصر, ط1-1954م.
- الإعجاز والإيجاز, الثعالبي, تح: اسكندر آصف, ط1, المطبعة العموميّة بمصر, 1897م.
- الأغاني, أبو الفرج الاصفهاني (ت:356هـ), تح: إحسان عبّاس, و د.إبراهيم السّعافين, والأستاذ بكر عبّاس, دار صادر, ط3, بيروت-2008م.
- الأمالي, أبو علي القالي(ت:356هـ), دار الكتب العلمية , بيروت, 1978م.
- الإمتاع والمؤانسة, أبو حيّان التوحيدي (ت:400هـ), تح: أحمد أمين, وأحمد الزين, دار ومكتبة الحياة للطباعة والنشر والتوزيع, مصر-1942.
- الأمثال, أبو الخير الهاشمي (ت:400هـ), دار سعد الدين, ط1, دمشق-1423هـ.

- الأمثال, أبو عبيد القاسم بن سلّام الهروي البغدادي (ت: 224هـ), تح: عبد المجيد قطامش, دار المأمون للتراث, ط1, دمشق-1980.
- إنباه الرواة على أنباه النحاة, علي بن يوسف القفطي (ت:646هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر العربي, ط1, القاهرة-1982.
- الأنساب, أبو سعد السمعاني, تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي, دار الجنان, ط1 , لبنان- 1988.
- أنوار الربيع في أنواع البديع, ابن معصوم المدني (1120هـ), تح: شاكر هادي شكر, مطبعة النعمان, ط1, النجف -1969م.
- الأوراق, قسم أخبار الشعراء, للصولي (ت:335هـ), تح:ج.هيورث دن, مطبعة الصاوي, ط1, القاهرة-1934م.
- الأوراق, قسم أشعار أولاد الخلفاء, للصولي (ت:335هـ), تح:ج. هيورث دن, مطبعة الصاوي, ط1, القاهرة-1936م.
- الإيضاح, الخطيب القزويني , تح: الشيخ بهيج غزاوي, دار إحياء العلوم,ط4, بيروت-1998م.
- البرهان في علوم القرآن, الزركشي (ت:794ه), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, مكتبة دار التراث, ط1- 1957م.
- البصائر والذخائر, أبو حيان التوحيدي(ت: نحو 400هـ), ت:د.وداد القاضي, دار صادر, ط1, بيروت- 1988م.
- بغية الطلب في تاريخ حلب, كمال الدين بن العديم (660هـ), تح: د.سهيل زكار, دار الفكر, ط1, بيروت- 1996م.
- بُغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس, أبو جعفر الضبي (599هـ), دار الكتاب العربي, ط1, القاهرة- 1989م.

- بُغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة, السيوطي (ت:911هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر, ط2, بيروت- 1979م.
- البلغة في تراجم أئمّة النحو واللغة, الفيروز آبادي (ت:817هـ), تح: محمد المصري, دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع, ط1, مصر-2000م.
- بيان إعجاز القرآن, أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت:388), ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, تح: محمد خلف الله أحمد, د. محمد زغلول سلام, دار المعارف, ط5, مصر- 2008م.
- البيان والتبيين, الجاحظ (ت:255هـ), تح:عبد السلام هارون, مكتبة الخانجي, ط7, القاهرة- 1998م.
- تاج العروس من جواهر القاموس, محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزَّبيدي (ت:1205ه), مجموعة محقّقين, دار الهداية, ط1, الكويت-1984.
- تاج اللغة وصحاح العربيَة, أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري(ت:393هـ), تح: أحمد عبد الغفور عطار, دار العلم للملايين, ط4,بيروت,1987م.
- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام, شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت:478ه), تح: عمر عبد السلام القدميري, دار الكتاب العربي, ط2, بيروت-1993م.
- تاريخ بغداد الخطيب البغدادي (ت:463هـ), تح: د. بشار عواد معروف, دار الغرب الإسلامي , ط1, بيروت-2002 م
- تاريخ دمشق, ابن عساكر (ت:571هـ), ت: عمرو بن غرامة العمروي, دار الفكر, بيروت-1995م.
- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي, السيوطي, تح: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد, دار العاصمة , ط1, الرياض-2003م.

- تعبير الرؤيا, ابن قتيبة الدنيوري (ت:276هـ), تح: إبراهيم صالح, دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع, ط1, بيروت- 2001م.
- التعريف بآداب التأليف, السيوطي, تح: مرزوق علي إبراهيم, مكتبة التراث الإسلامي, ط1, مصر-1989م.
- التعريفات, علي بن محمد الجرجاني (ت:816ه), تح: محمد صدِّيق المنشاوي, دار الفضيلة, ط1, القاهرة- 2004م.
- تهذيب اللغة, الأزهري(ت:370هـ), تح: محمد عوض مرعب, دار إحياء التراث العربي, ط1, بيروت, 2007م.
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس, أبو عبد الله بن أبي نصر الحميدي (ت:488هـ), دار الكتب المصريّة, ط1, القاهرة -1966م.
- الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي, أبو الفرج المُعاض بن زكريا بن يحيى النهرواني (ت:390هـ) , تح: عبد الكريم سامي النجدي, دار الكتب العلميّة, بيروت, ط1- 2005م.
- خزانة الأدب وغاية الأرب, ابن حجّة الحموي (ت: 837ه), تح: عصام شقيو, دار ومكتبة الهلال, بيروت-2004م.
- الخصائص, ابن جني (ت:392هـ), تح: محمد علي النجار, ط5, دارالكتب المصرية, مصر- 2010م.
- دلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني(ت:474هـ)، تح: أبو فهر، محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، ط3, القاهرة-1992م.
- ديوان ابن المعتز, دار صادر,ط1, بيروت-1961م.
- ديوان أبي تمّام بشرح الخطيب التبريزي, تح: محمد عبدُ عزّام, ط4, دار المعارف, القاهرة- 1982م.

- ديوان البُحتري, تح: حسن كامل الصيرفي, دار المعارف, ط3, مصر-1977م.
- ديوان الحسن بن هانئ الحكمي, تح: ايفالد فاغنر, غريغور شولر, دار النشر, برلين-1972م.
- ديوان السيد الحميري: شرحه وضبطه وقدم له, ضياء حسين الأعلمي, منشورات مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت- 1999م.
- ديوان النابغة الذبياني, بشرح الحضرمي (ت:609هـ), تح: د.علي الهروط, مؤتة - 1992م.
- ديوان جرير, بشرح محمد بن حبيب, تح: نعمان محمد أمين طه, دار المعارف, ط3, مصر-1949م.
- ديوان حميد بن ثور الهلالي, ت: د.محمد شفيق البيطار, سلسلة التراث العربي, ط1, الكويت- 2002م.
- ديوان ذي الرُّمّة بشرح التبريزي, تح: مجيد طراد, دار الكتاب العربي, ط2, القاهرة-1996م.
- ديوان ذي الرُّمّة, رواية ثعلب بشرح الإمام أبي نصر الباهلي, تح: د. عبد القدّوس أبو صالح, مؤسّسة الإيمان للتوزيع والنشر والطباعة, ط1, بيروت- 1982م.
- ديوان عُلية بنت المهدي, تح: رحاب عكاوي, دار الفكر العربي للطباعة والنشر, ط1, القاهرة-2004م.
- ديوان مجنون ليلى, بجمع الوالبي, تح: جلال الدين الحلبي, مطبعة مصطفى البابي الحلبي, مصر,1939م.
- ديوان مجنون ليلى, بجمع الوالبي, نشرة مكتبة الآداب, القاهرة -1988 .
- ديوان مسلم, صريع الغواني, تح: حسن البنا, المكتبة العلامية, ط1, مصر- 1303هـ.

- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة, أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني (ت:542هـ), تح: إحسان عباس, الدار العربية للكتاب، ط1, القاهرة- 1978م.
- رسائل الجاحظ, عمرو بن بحر الجاحظ (ت:255هـ), تح: عبد السلام هارون, دار الجليل, ط1, بيروت-1991م.
- الزاهر في معاني كلمات الناس، أبو بكر الأنباري (ت: 328هـ), تح: د. حاتم صالح الضامن, مؤسسة الرسالة, ط1, بيروت-1992.
- سمط اللآلي في شرح أمالي القالي, أبو عبيد الله البكري (487هـ), تح: عبد العزيز الميمني, مطبعة لجنة التأليف والنشر, ط1, القاهرة- 1936م.
- سير أعلام النبلاء, الذهبي (المتوفى: 748هـ), دار الحديث, القاهرة, ط9, -2006م.
- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليّات, أبو بكر الأنباري (ت:329هـ), تح: بركات يوسف هبّود, المكتبة العصريّة, ط1, بيروت- 2011م.
- شرح المعلقات التسع, أبو عمرو الشيباني (ت: 206هـ), تح: عبد المجيد همو, مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات, ط1, بيروت-2001م.
- شرح المعلّقات السبع, الزوزني (486هـ), تح: محمد عبد القادر الفاضلي, مؤسسة الصادق, ط1, 2004م.
- شرح المفصّل للزمخشري, ابن يعيش (ت: 643هـ), تح: د.اميل بديع يعقوب, دار الكتب العلميّة , ط1, بيروت, 2001م.
- شعر دعبل الخزاعي (148هـ - 246هـ), د. عبد الكريم الأشتر, انتشارات المكتبة الحيدرية, ط1, 1427هـ.
- الشعر والشعراء, ابن قتيبة الدنيوري, تح: أحمد محمّد شاكر, دار الحديث, ط1, بيروت-2006م.

- طبقات الأولياء, ابن الملقن سراج الدين الشافعي المصري (ت: 804هـ), تح: نور الدين شريبه, مكتبة الخانجي، ط2, القاهرة – 1994م.
- طبقات الشافعية الكبرى , السبكي (ت: 771هـ), ت: د. محمود محمد الطناحي, د. عبد الفتاح محمد الحلو, هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2, 1413هـ.
- طبقات الشافعيين, ابن كثير (ت:774هـ), تح: د.أحمد عمر هاشم, د. محمد زينهم, مكتبة الثقافة الدينية, ط1, مصر- 1993هـ.
- طبقات الشعراء, ابن المعتز (ت:296هـ), تح: عبد الستار أحمد فراج, ط3, دار المعارف, مصر- 1976م.
- طبقات الصوفية, أبو عبد الرحمن السلمي (ت: 412هـ), تح: مصطفى عبد القادر عطا, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت-1998م.
- طبقات الفقهاء, أبو اسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي (ت: 476هـ), هذبهُ: محمد بن مكرم بن منظور (ت: 711هـ), ت: إحسان عباس, ط1, دار الرائد العربي، بيروت, لبنان- 1970م.
- طبقات النحويين واللغويين, أبو بكر الأشبيلي (ت:379هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, ط2, دار المعارف, القاهرة-1984م.
- طبقات فحول الشعراء, ابن سلّام الجمحيّ (231هـ), تح: محمود محمد شاكر, دار المدني, ط3, القاهرة-1980م.
- الطراز, للإمام يحيى بن حمزة العلويّ اليمني (ت: 705هـ), تح: د.عبد الحميد هنداوي, المكتبة العصريّة, ط1, بيروت- 2002م.
- العقد الفريد, ابن عبد ربّه الأندلسيّ(ت: 328هـ), دار الكتب العلميّة, ط1, بيروت- 1404هـ.

- علوم الحديث (المعروف بمقدمة ابن الصلاح), أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن المعروف بابن الصلاح, تح: نور الدين عتر, دار الفكر, ط1, 1986م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده, أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي(ت:463هـ), تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الجيل, ط5, بيروت-1981م.
- العين, الفراهيدي(ت:170هـ), تح: د.مهدي المخزومي, د.إبراهيم السامرائي, دار ومكتبة الهلال, ط1, مصر-1999م.
- عيون الأخبار, ابن قتيبة الدنيوري (ت:276هـ), دار الكتب والوثائق القومية, ط2, 1996م.
- الفاء الفصيحة ،محمد بن أسعد ، جلال الدين الدّاوني(ت:928هـ)، تح: د. طه محسن، تموز ، طباعة، نشر، توزيع، ط1، دمشق-2011م
- فحولة الشعراء, الأصمعيّ (ت:216هـ), تح: ش. تورّي, دار الكتاب الجديد, ط2, بيروت-1980م.
- الفروق اللغوية, أبو هلال العسكري(ت:395هـ), تح: محمد إبراهيم سليم, دار العلم للثقافة والنشر والتوزيع, ط1, القاهرة-1998م.
- الفهرست, ابن النديم (ت: 438هـ), تح: إبراهيم رمضان, دار المعرفة, ط2, بيروت,لبنان-1997م.
- فوات الوفيات, صلاح الدين , محمد بن شاكر بن أحمد (ت:764هـ), تح: إحسان عباس, ط1, دار صادر, بيروت- 1974م.
- الكامل في اللغة والأدب, أبو العباس المبرد (ت:285هـ), تح: محمد أبو الفضل إبراهيم, دار الفكر العربيّ, ط3, القاهرة-1997م.

- كتاب الاختيارين, الأخفش الأصغر (ت: 315هـ), تح: د.فخر الدين قباوة , مؤسّسة الرسالة, ط2-1984م.
- كتاب الصناعتين, الكتابة والشعر, أبو هلال العسكري(ت:395ه), تح: علي البجاوي, ومحمد أبو الفضل إبراهيم, ط1, دار إحياء الكتب العربيّة, القاهرة-1952م.
- الكشاف عن غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله الزمخشري, تح: عادل أحمد عبد الموجد, علي محمد عوض، مكتبة العبيكان,ط1, الرياض- 1998م.
- الكفاية في علم الرواية, الخطيب البغدادي (ت:463هـ), تح: أحمد عمر هاشم, دار الكتاب العربي, ط1, بيروت- 1985م.
- الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة, نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت: 1061ه),ت: خليل المنصور, دار الكتب العلمية، بيروت - ط1,بيروت-1997م.
- لسان الميزان, العسقلاني(ت: 852هـ), تح: دائرة المعارف النظامية الهندية, مؤسسة الأعلمي, ط2, بيروت-1971م.
- المتنبّي وما له وما عليه, للثعالبي (429هـ), تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, مكتبة الحسين التجاريّة, القاهرة, د.ت.
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر, ضياء الدين بن الأثير(ت:637ه), تح: د.أحمد الحوفي, د. بدوي طبانة, دار نهضة مصر للطباعة والنشر, ط2, مصر- 1973.
- المحاضرات والمحاورات, السيوطي, دار الغرب الاسلامي, ط1, بيروت-1424ه.
- المحكم والمحيط الأعظم, إبن سيده (ت:458هـ), تح: عبد الحميد هنداوي, ط1, دار الكتب العلمية, بيروت- 2000 م.
- المخصص, ابن سيده(ت:456هـ), تح: خليل إبراهيم الجفال, دار إحياء التراث العربي, ط1, بيروت-1996م.

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يُعتبر من حوادث الزمان, عفيف الدين اليافعي (768هـ), تح: خليل منصور, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت–1997م.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها, السيوطي, تح: فؤاد علي منصور, دار الكتب العلميّة, ط1, بيروت–1998م.
- المصون في الأدب, أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري (ت:382هـ), تح: عبد السلام هارون, مطبعة حكومة الكويت, ط2– 1984م.
- معجم اصطلاحات الصوفيّة, عبد الرزاق الكاشاني (ت:730هـ), تح: د.عبد العال شاهين, دار المنار للطبع والنشر والتوزيع, ط1, مصر–1992م.
- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب), ياقوت الحموي (ت:626هـ), تح: إحسان عباس, دار الغرب الإسلامي,ط1, بيروت–1993م.
- معجم البلدان, ياقوت الحموي (ت: 626هـ), دار صادر، بيروت, ط2–1995م.
- معجم الشعراء, الإمام أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت : 384 هـ), تح: د. ف . كرنكو , مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، ط2, بيروت – لبنان,1982م.
- معجم مقاييس اللغة ,ابن فارس(ت:395هـ) , تح:عبد السلام هارون, دار الفكر,ط1, بيروت–1979م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, ابن هشام الأنصاري(ت:761هـ), تح: د.مازن مبارك, محمد علي حمد الله, دار الفكر, ط5, بيروت– 1979م.
- مفتاح العلوم ، السكاكي (ت:626هـ) ، تح: د. عبدالحميد هنداوي، دار الكتب العملية، ط1، بيروت–2000م.
- مفرج الكروب في أخبار بني أيّوب, جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت:697هـ), تح: د.حسنين محمد ربيع, مركز تحقيق التراث, ط1, القاهرة– 1975م.

- المكافأة وحسن العقبى, ابن الداية(ت:340هـ), تح: محمود محمد شاكر, دار الكتب العلمية, ط1, بيروت- 1359هـ.
- منازل الأحباب ومنازه الألباب, شهاب الدين محمود بن عمر بن سلمان الحلبي (ت:725هـ), تح: د.محمد الديباجي, دار صادر, ط1, بيروت-2000م
- المنامات, لابن أبي الدنيا(ت:281هـ), تح: مجدي السيّد إبراهيم, مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع,ط1, القاهرة-1989م.
- منهاج البلغاء وسراج الأدباء, القرطاجنّي (ت:684هـ), تح:محمد الحبيب بن الخوجة, دار الغرب الإسلامي,ط1, بيروت-1981م.
- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء, المرزباني, تح: علي محمد بجاوي, دار نهضة مصر, ط1, مصر-1965م.
- نزهة الألبّاء في طبقات الأدباء, أبو البركات الأنباري (ت:577هـ), تح: إبراهيم السامرائي, مكتبة المنار, ط3, الأردن-1985م.
- نزهة المسامر في أخبار مجنون بني عامر, لابن المِبرد يوسف بن الحسن الحنبلي (ت:909هـ), تح: د. محمد التونجي, عالم الكتب, ط1, بيروت-1994م.
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب, الشيخ أحمد بن محمد المقرّي (ت:1041هـ), تح: إحسان عبّاس, دار صادر, ط1, بيروت-1997
- نقد الشعر, قدامة بن جعفر (ت:327هـ), تح: محمد عبد المنعم خفاجي, دار الكتب العلميّة, بيروت- د.ت.
- النكت في إعجاز القرآن, أبو الحسن علي بن عيسى الرماني, ضمن كتاب ثلاث رسائل في إعجاز القرآن, تح: محمد خلف الله أحمد, د.محمد زغلول سلام, دار المعارف, ط5, 2008م.

- نهاية الأرب في فنون الأدب, شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري (ت:733هـ), دار الكتب والوثائق القوميّة,ط1, القاهرة-1423هـ .
- الوافي بالوفيات, الصفدي (ت: 764هـ), تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى, دار إحياء التراث, بيروت- 2000م.
- الورقة, إبن الجراح (ت: 296هـ), تح: د.عبد الوهاب عزام, عبد الستار أحمد فراج, دار المعارف, ط3, مصر- 1986م.
- وفيات الأعيان, ابن خلكان البرمكي الإربلي(ت:681هـ), تح: إحسان عباس, دار صادر, ط1 بيروت- 1977م.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر, للثعالبي, تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, مكتبة الحسين التجاريّة, ط1, القاهرة-1947.
- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر, للثعالبي, تح: مفيد محمد قميحه, دار الكتب العلميّة, ط1, بيروت-1983م.

المراجع:

- آلام الحلّاج, لويس ماسينون, ترجمة: الحسين مصطفى حلّاج, قَدمُس للنشر والتوزيع, ط1, دمشق- 2004م.
- أبو نواس, الحسن بن هانئ, عبّاس محمود العقّاد, منشورات المكتبة الصريّة, ط1, صيدا-1971.
- أبو نواس, قصّة حياته وشعره, عبد الرحمن صدقي, منشورات لجنة ترجمة دائرة المعارف الإسلاميّة, ط1, القاهرة- 1944م.
- الأربعون في أسباب التأليف وأسرار التصنيف, د.زيد الرماني, مدار الوطن للنشر, ط1, الرياض-2003م.

- أساليب بلاغيّة, الفصاحة, البلاغة, المعاني, د.أحمد مطلوب, وكالة المطبوعات, ط1, الكويت, 1980.
- الأسطورة والنظريّات الميثولوجيّة في الغرب, ترجمة: عادل عامل, دار المأمون للترجمة والنشر, ط1, بغداد-2005م.
- أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنيّة, د. حسن طبل, ط1, دار الفكر العربي, القاهرة – 1998م.
- الإشارة الجماليّة في المثل القرآنيّ, د.عشتار داود محمّد, منشورات اتحاد الكتاب العرب, ط1, دمشق- 2005م.
- الأعلام, للزركلي (ت: 1396هـ), دار العلم للملايين, ط15, بيروت-2002 م.
- الاقتصاد اللغويّ في صياغة المفرد, د. فخر الدين قباوة, الشركة المصريّة العالميّة – لونجمان , ط1, مصر-2001م.
- ألف ليلة وليلة, تحليل سيميائي تفكيكيّ لحكاية حمّال بغداد, عبد الملك مرتاض, ديوان المطبوعات الجامعيّة, ط1, الجزائر- 1993م.
- انفتاح النص الروائي, النص والسياق, د.سعيد يقطين, المركز الثقافي العربي, الدار البيضاء, ط3, المغرب-2006م.
- أنماط الشخصيّة المؤسطرة في القصّة العراقيّة الحديثة, د.فرج ياسين, دار الشؤون الثقافية العامّة, ط1, بغداد-2010م.
- بحوث ودراسات في تراثنا اللغوي والنحوي, د. فاخر الياسري, دار الحامد للنشر والتوزيع, ط1, عمان-2011م.
- البلاغة الاصطلاحيّة, د. عبده عبد العزيز قلقيلة, دار الفكر العربي, ط1, الرياض- 1989م.

- البلاغة العربيّة, قراءة أخرى, د. محمد عبد المطلب, الشركة المصريّة العالميّة للنشر- لونجمان, ط2-2007م.
- بلاغة العقل العربيّ, تجلّيات المثاقفة في التراث النقدي, محمد بن سعد الدكان, المركز الثقافي العربي- لبنان, الدار البيضاء- المغرب, ط1- 2014م.
- بلاغة الوفرة والندرة, مبحث في الإيجاز والإطناب, نور الهدى باديس, المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر, ط1, بيروت- 2008م.
- البلاغة والأسلوبية ، د. محمد عبد المطلب،الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان،ط3، مصر-1994م.
- البلاغة والسرد والسلطة في الإمتاع والمؤانسة, د.هاشم مشبال, دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع, ط1, عمّان- 2015م.
- بناء الرواية, دراسة مقارنة في "ثلاثيّة " نجيب محفوظ, د.سيزا قاسم, مكتبة الأسرة, ط1, القاهرة-2004م.
- البناء الفني في الرواية العربية في العراق, الوصف وبناء المكان, شجاع مسلم العاني, دار الشؤون الثقافيّة العامّة, ط1, بغداد-2000م.
- البناء الفني في القصّة القصيرة في العراق من 1990 – 2000م, د.حسنين غازي لطيف, دار الشؤون الثقافية العامة, ط1, بغداد – 2011.
- البناء الفني لرواية الحرب في العراق, دراسة لنظم السرد والبناء في الرواية العراقيّة المعاصرة, عبد الله إبراهيم, دار الشؤون الثقافيّة العامة, ط1, بغداد -1988م.
- بناء المفارقة, دراسة تطبيقيّة في أدب ابن زيدون نموذجاً, د.أحمد عادل المولى, مكتبة الآداب, ط1, القاهرة- 2009.
- بناء النص التراثي, د. فدوى ماطى _ دوجلاس, ط1, الهيئة المصرية العامة للكتاب,1985.

- بنية الحكاية في بخلاء الجاحظ, في ضوء منهجَي بروب وغريماس, عدي عدنان محمد, ط1, دار الشؤون الثقافيّة العامّة, بغداد,2013م.
- بنية السرد في القصص الصوفيّ, المكونات والوظائف والتقنيّات, د.ناهضة ستار, اتحاد الكتاب العرب, ط1, دمشق-2003م.
- البنية السرديّة في كتاب الإمتاع والمؤانسة, ميساء سليمان الإبراهيم, منشورات الهيئة العامّة السوريّة للكتاب, ط1, دمشق-2011م.
- بنية الشكل الروائي (الفضاء, الزمن, الشخصيّة), حسن بحراوي, المركز الثقافي العربيّ, ط1, بيروت- 1990.
- بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي, د. حميد لحميداني, المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع, ط1-1991م.
- تاريخ آداب العرب, مصطفى صادق الرافعيّ, دار الكتب العلميّة, ط1, بيروت - 2000م.
- تاريخ الأدب العربي, العصر الجاهلي, د.شوقي ضيف, دار المعارف, القاهرة- 2000م.
- التجريب في القصة العراقيّة القصيرة, حقبة الستينات, حسين عيّال عبد علي, دار الشؤون الثقافيّة العامة, ط1, بغداد-2008م.
- تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النصّ, د.عبد القادر شرشار, منشورات اتحاد الكتاب العرب, ط1, دمشق-2006م.
- تحليل الخطاب الروائي, الزمن- السرد- التبئير, د. سعيد يقطين, المركز الثقافي العربي- لبنان,ط4, الدار البيضاء- المغرب, 2005م.
- التخييل القصصي, الشعريّة المعاصرة, شلوميت كنعان, ترجمة: لحسن احمامة, دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر, ط1, دمشق-2010.

- تقنيّات السرد الروائي في ضوء المنهج البنيويّ, يمنى العيد, ط2, دار الفارابي, لبنان- 1999م.
- تقنيّات السرد من منظور النقد الروائيّ, أشواق عدنان شاكر النعيميّ, دار الجواهري, ط1, بغداد- 2014م.
- التوالد السردي: قراءة في بعض أنساق النص التراثي, سعيد جبّار, جذور للنشر , ط1, الرباط – 2006.
- ثلاثيّة الراووق, الرؤية والبناء (دراسة في الأدب الروائي عند عبد الخالق الركابي), قيس كاظم الجنابيّ) ، دار الشؤون الثقافيّة العامة, ط1, بغداد-2000م.
- جماليات السرد العربي القديم, من العنوان إلى الرؤيا, قيس كاظم الجنابي, الدار المنهجية, ط1, الأردن- 2016م.
- جماليّات النثر العربي-الفني, طراد الكبيسي, الموسوعة الصغيرة(442), دار الشؤون الثقافيّة العامة, بغداد-2000م.
- حديث الأربعاء, طه حسين, دار المعارف, ط13, مصر-1974م.
- الحكاية الخرافية, فردريش فون ديرلاين, ترجمة: د. نبيلة إبراهيم, دار القلم, ط4, القاهرة- 1973م.
- الحكاية في التراث العربي, يوسف الشاروني, المجلس الأعلى للثقافة, ط1, مصر- 2008م.
- الخبر في الأدب العربي, دراسة في السردية العربية. د.محمد القاضي, دار الغرب الاسلامي, ط1, بيروت,1998م.
- الخبر في السرد العربي (الثوابت والمتغيّرات), سعيد جبار, شركة المدارس للنشر والتوزيع, ط1, المغرب- 2004م.

- الخبر والحكاية, التشكّل الدلالي في الامتاع والمؤانسة لأبي حيّن التوحيدي, د.بشرى قانت, رؤية للنشر والتوزيع, ط1, القاهرة-2014م.
- خطاب الحكاية, (بحث في المنهج) جيرار جنيت، ترجمة: محمد معتصم, وآخران, المجلس الأعلى للثقافة, ط2, مصر - 1997م.
- دراسات في الشعر العربيّ, محمد إبراهيم أبو سنة, سلسلة (إقرأ) دار المعارف, ط2,القاهرة- 1982.
- الزمن في الرواية العربيّة, د.مها القصراوي, المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر, ط1, بيروت-2004م.
- سرد الأمثال, دراسة في البنية السرديّة لكتب الأمثال العربية مع عناية بكتاب المفضّل الضبي (أمثال العرب), د.لؤي حمزة عباس, منشورات اتحاد الكتاب العرب, ط1, دمشق-2003م.
- السرد العربي القديم, الأنواع والوظائف والبنيات, إبراهيم صحراوي,الدار العربيّة للعلوم-ناشرون,ط1, بيروت- 2008م.
- السرد العربي, مفاهيم وتجليات, د. سعيد يقطين, منشورات اختلاف, ط1, المغرب-2012م.
- السرد في مقامات الهمذاني, أيمن بكر, الهيئة المصريّة العامّة للكتّاب, ط1, القاهرة-1998م.
- السرد والتاريخ الأسطوي في السيرة الشعبيّة, د. قيس كاظم الجنابي, دار الشؤون الثقافيّة العامّة, ط1, بغداد-2016م.
- سرديّة الخبر العربي القديم, تمثلات العقل في أخبار الحكم والباه والنساء, عقيل عبد الحسين, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط1, بيروت- 2015م.

- السرديّة العربيّة الحديثة, الأبنية السردية والدلالية, د.عبد الله إبراهيم, المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر, ط1, بيروت- 2013م.
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية, محمد بن محمد بن عمر بن علي بن سالم مخلوف (ت:1360هـ), تحقيق وتعليق: عبد المجيد خيالي, دار الكتب العلمية ط1, لبنان - 2003م.
- الشعريّة, تزفيطان طودوروف, ترجمة: شكر المبخوت, رجاء بن سلامة, دار طوبقال للنشر, ط1,المغرب-1987م.
- طبقات أعلام الشيعة, الشيخ آغا بزرك الطهراني (ت:1389هـ), تح: علي تقي فنروي, دار الكتاب العربي, ط1-1971م.
- عتبات "جيرار جنيت من النص إلى المناص", عبد الحق بلعابد, الدار العربيّة للعلوم-ناشرون, ط1, بيروت- 2008م.
- العلاقات بين النصوص في التأليف العربي, دراسة تفارع النصوص في التأليف العربي, د.كمال عرفات نبهان, العربي للنشر والتأليف, القاهرة-1993م.
- علبة السرد, النظريّة السردية: من التقليد إلى التأسيس, د.إبراهيم جيران, دار الكتاب الجديد, ط1, بيروت- 2013م.
- علم المصطلح, أسسه النظريّة وتطبيقاته العمليّة, د. علي القاسميّ, مكتبة لبنان, ناشرون, ط1, بيروت- 2008م .
- علوم الحديث ومصطلحه, د.صبحي الصالح, دار العلم للملايين, ط15, بيروت-2009م.
- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا, إبراهيم جنداري, دار الشؤون الثقافيّة العامّة, ط1, بغداد- 2001م.

- الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري, د.ركان الصفدي, منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب, وزارة الثقافة, ط1, دمشق-2011.
- في النص الروائي العربيّ, د.إبراهيم جنداري, تموز- طباعة ونشر وتوزيع, ط1,دمشق-2010م.
- في النص القرآني و أساليب تعبيره، د. زهير غازي زاهد، دار صفاء للنشر والتوزيع، ط1, الأردن-2012م.
- في معرفة النص, دراسات في النقد الأدبيّ, د.حكمت صبّاغ الخطيب (يمنى العيد), منشورات دار الآفاق الجديدة, ط2, بيروت-1984م.
- في نظريّة الرواية, بحث في تقنيّات السرد, د.عبد الملك مرتاض, المركز الثقافي العربي, ط4, بيروت- 2005م.
- قال الراوي, البنيات الحكائيّة في السيرة الشعبيّة,سعيد يقطين, المركز الثقافي العربي,ط1, بيروت-1997م.
- قاموس السرديّات, جيرالد برنس, ترجمة: السيد إمام, ميريت للنشر والمعلومات, ط1, القاهرة - 2003م.
- قضايا السرد القديم في النقد الأدبيّ (دراسة نظريّة تطبيقيّة حول بعض النماذج السرديّة), د.حصة أحمد الدوسريّ, إصدارات نادي الإحساء الأدبيّ, ط1, المملكة العربية السعوديّة-2011م.
- القضايا النقديّة في النثر الصوفي حتى القرن السابع الهجريّ, د. وضحى يونس, منشورات اتحاد الكتّاب العرب, دمشق-2006م.
- الكرامة الصوفيّة والأسطورة والحُلم, القطاع اللاواعي في الذات العربيّة , د.علي زيعور, دار الأندلس, ط2, بيروت-1984م.

- الكلام والخبر, مقدمة في السرد العربي, د. سعيد يقطين, المركز الثقافي العربي, ط1, بيروت–1997.
- مدخل إلى نظريّة القصّة, تحليلاً وتطبيقاً, سمير المرزوقي, جميل شاكر, دار الشؤون الثقافيّة العامة – الدار التونسية, ط1, بغداد–1986م.
- مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخيّة, د.ناصر الدين الأسد, دار المعارف,ط5, القاهرة– 1978م.
- معجم السرديّات, محمد القاضي وآخرين, الرابطة الوطنيّة للناشرين المستقلّين, ط1, بيروت– 2010م.
- معجم الصواب اللغوي, د.أحمد مختار عمر, وفريقٌ من العمل, عالم الكتب, ط1, القاهرة– 2008م.
- معجم الصوفيّة, ممدوح الزوبي, دار الجليل, ط1, بيروت–2004م.
- معجم ألفاظ الصوفيّة, د.حسن الشرقاوي, ط1, مؤسسة مختار للنشر والتوزيع, القاهرة– 1987م.
- معجم اللغة العربيّة المعاصرة, د.أحمد مختار عمر, وفريقٌ من العمل, عالم الكتب, ط1, القاهرة – 2008م.
- معجم المؤلفين, عمر رضا كحالة, دار إحياء التراث العربي, بيروت – 1957م.
- معجم رجال الحديث, وتفصيل طبقات الرواة, السيد الخوئي, مؤسسة الإمام الخوئي الاسلامية, ط5, لندن– 1992م.
- معجم مصطلحات الصوفيّة, د.عبد المنعم الحفيني, دار المسيرة, ط2, بيروت– 1987م.
- معجم مصطلحات النقد العربي القديم, د.أحمد مطلوب, مكتبة لبنان ناشرون , ط1, بيروت–2001م.

- معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني, بين النظريّة والتطبيق, د.عطيّة أحمد أبو الهيجاء, دار الخليج, ط1, الأردن-2010م.
- المفارقة القرآنيّة, دراسة في بنية الدلالة, د. محمّد العبد, مكتبة الآداب,ط2, القاهرة-2006.
- المفارقة في شعر الروّاد, قيس الخفاجي, دار الأرقم للطباعة والنشر, ط1, بابل-2007م.
- المنهج البلاغي في قراءة النص الشعري, د.مزاحم مطر حسين, دار الينابيع, ط1, الأردن-2010م.
- منهج التأليف عند العلماء العرب, د.مصطفى الشكعه, دار العلم للملايين, ط6, بيروت-1991م.
- موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها, د.محمد عجينة, دار الفارابي, ط1, بيروت-1994م.
- موسوعة السرد العربي, د. عبد الله إبراهيم, المؤسّسة العربيّة للدراسات والنشر,ط1, بيروت-2005م.
- موسوعة مصطلحات التصوّف الإسلامي, د.رفيق العجم, مكتبة لبنان, ناشرون, ط1, بيروت- 1999م.
- النثر الفني عند أبي حيّان التوحيدي, د.فائز طه عمر, دار الشؤون الثقافيّة العامة, ط1,بغداد-2000م.
- النثر الفني في القرن الرابع, زكي مبارك, مطبعة دار الكتب المصريّة بالقاهرة, ط1-1934م.
- نظريّة الأدب, رينيه ويليك, أوستن وارين, ترجمة: محيي الدين صبحي, المؤسسة العربية للدراسات والنشر, ط3, بيروت-1972م.

- نظريّة المنهج الشكليّ, نصوص الشكلانيين الروس, توماتشفسكي, ترجمة: إبراهيم الخطيب, مؤسّسة الأبحاث العربيّة, ط1, بيروت – 1982م.
- النقد المنهجي عند العرب, ومنهج النقد في اللغة و الأدب, د.محمد مندور, دار نهضة مصر, ط3, القاهرة –2005م.
- الواقع الفلسطيني في الرواية, دراسة نقدية في أدب غسان كنفاني وجبرا ابراهيم جبرا, د.كريم المسعوديّ, دار تموز, ط2, دمشق– 2014م.

الرسائل والأطاريح:

- آليات بناء الخبر في السرد العربي القديم – دراسة في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة– , بهاء عناد حميد الغزّي, رسالة ماجستير, جامعة البصرة, كلية التربيّة, 2012م.
- أبو بكر الصولي وجهوده النقديّة, علي محمد مسلم الحواتمة, رسالة ماجستير, جامعة الشرق الأوسط, الأردن–2011م.
- أدبيّة الخطاب في المثل السائر لابن الأثير, مولود بفورة, أطروحة دكتوراه, جامعة الجزائر, كلّيّة الآداب واللغات,2006م.
- استراتيجيّة الخطاب في أخبار الثقلاء, صفيّة حمادة, رسالة ماجستير, الجمهوريّة الجزائريّة, جامعة مولود عمري– تيزي وزو, 2015م.
- الاعتراض في القرآن الكريم, موقعه ودلالاته في التفسير, عبد الله بن عبده أحمد المباركي, رسالة ماجستير, جامعة أم القرى, كلّيّة الدعوة وأصول الدين,1429هـ.
- الإيجاز في القرآن الكريم, الحاج بكي, رسالة ماجستير, جامعة أبي بكر بلقايد, كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة, الجزائر–2001م.
- بلاغة الإيجاز في الشعرية العربية، يوسف بديدة، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر–باتنة، الجزائر–2009م.

- البنيـة السـرديّة فـي الروايـة السـعوديّة (دراسـة فـي نمـاذج مـن الروايـة السـعوديّة), نـوره بنـت محمد المري, رسالة ماجستير, جامعة أم القرى, كلية اللغة العربية, 2008م.
- البنيـة السـرديّة فـي شـعر نـزار قبـاني, انتصـار جويـد عيـدان, رسـالة ماجسـتير, جامعـة بغـداد, كلّيّة التربية للبنات, 2002م.
- البنيـة السـرديّة فـي كتـاب الأغـاني لأبـي الفـرج الأصـبهاني, ميّـادة عبـد الأميـر كـريم العـامري, رسالة ماجستير, جامعة ذي قار, كلّيّة التربيّة, 2011م.
- الجانـب الأسـطوري فـي أخبـار شـعراء المعلّقـات, عبـد اللطيـف بـن علـي القريشـي, رسـالة ماجستير, جامعة الملك سعود, 2005م.
- الخبـر فـي آثـار ابـن الجـوزي (ت: 597هـ)- دراسـة سـردية-, تيشـكو عثمـان عـارف, أطروحة دكتوراه, جامعة السليمانية, قسم اللغة العربيّة,2015م.
- دور الأسـطورة الدينيّـة فـي بنـاء النظـام الاجتمـاعي, فضـيلة الكبيـر, رسـالة ماجسـتير, الجمهوريّة الجزائريّة, جامعة الحاج خضر – باتنة , كليّة العلوم الإسلاميّة , 2009.
- الـذات الناقـدة فـي النقـد العربـيّ القـديم, ظـافر الشـاهري, أُطروحـة دكتـوراه, جامعـة الملـك سعود, الرياض- 1430هـ .
- روايـة الكرنـك لنجيـب محفـوظ, مقاربـة فـي هندسـة الفضـاء, سـهيلة دهيمـي, رسـالة ماجسـتير, جامعة محمد بو ضياف-المسيلة, كلية الآداب واللغات, الجزائر-2015م.
- السـرد عنـد الجـاحظ (الـبخلاء نموذجـاً), فاديـة مـروان الونسـة, أطروحـة دكتـوراه, جامعـة الموصل, كلية الآداب- 2004م.
- سـرديّة الخبـر العجـائبيّ, دراسـة فـي كتـاب أخبـار الزمـان للمسـعوديّ, أحمـد قاسـم حميـد, رسالة ماجستير, جامعة البصرة, كلّيّة التربية, 2011م.
- سـمات الاقتصـاد اللغـوي فـي العربيّـة, دراسـة وصـفيّة تحليليّـة, وردة غـديري, رسـالة ماجسـتير, جامعة الحاج لخضر – باتنة, كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة, الجزائر- 2003م.

- صياغة الخبر وبناء القصّة في كتاب مصارع العشّاق لابن السرّاج البغدادي, رسالة ماجستير, بختة هواشرية, المركز الجامعي بالبويرة, الجزائر– 2012م.
- العجائبيّ والغرائبيّ في الروض الأُنُف, جاسم شاهين, أطروحة دكتوراه, جامعة القادسيّة, كلّيّة التربية – 2013م.
- العجائبيّة في أدب الرحلات, رحلة ابن فضلان, أنموذجاً, علاوي الخامسة, رسالة ماجستير, الجمهوريّة الجزائريّة جامعة منتوري– قسطنطينيّة,2005م.
- فن الخبر في كتاب لطف التدبير, دراسة وظائفيّة, إشراق سامي عبد النبي, أُطروحة دكتوراه, جامعة البصرة, كليّة الآداب–2006م.
- القضايا النقديّة في كتاب "الموشح" للمرزباني, سمير عبوش, رسالة ماجستير, جامعة مولود عمري, الجزائر, 2012م.
- المقدمات النقديّة في الشعريّة القديمة, دراسة وتحليل, نبيلة أعبش, رسالة ماجستير, الجمهوريّة الجزائريّة, جامعة العقيد الحاج لخضر – نباتة, كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة,2010م.
- المكان في شعر ابن زيدون, ساهرة عليوي حسن العامريّ, رسالة ماجستير, جامعة بابل, كلّيّة التربية,2008م.
- النقد الأدبي ومصادره في كتاب الموشّح للمرزباني, سعاد بنت فريح بن صالح الثقفي, أُطروحة دكتوراه, جامعة أمّ القرى, السعوديّة–2009م.
- النقد اللغوي في القرن الرابع الهجري, فريدة بولكعيبات, رسالة ماجستير, جامعة منتوري, الجزائر–2009م.

الدوريات:

- أبو هفّان, حياته وشعر وبقايا كتابه (الأربعة في أخبار الشعراء), تح:هلال ناجي, مجلّة المورد (8), ع4, بغداد– 1979م.

- أثر علماء الحديث في منهج البحث الأدبي, أحمد جاسم النجدي, مجلة المورد, المجلد (7), ع2, بغداد-1978م.
- الاستهلال السردي في كتاب أخبار النساء لابن قيّم الجوزيّة, د.نادية الونسة , مجلّة جامعة تكريت للعلوم, المجلّد 18, العدد (5), تمّوز, 2011م.
- أنماط السرد في تراثنا العربي, نصر صابر, مجلّة جامعة النجاح للأبحاث (العلوم الإنسانيّة), المجلّد21, ع(2), فلسطين- 2007م.
- أنماط المكان وتكوين العالم الروائي (دراسة في أربع روايات من روايات طه حامد شبيب), د.سرحان جفات سلمان, مجلة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة, المجلد الثامن, ع3-4, 2005م.
- براعة الاستهلال في صناعة العنوان, د.محمود الهميسي, مجلة الموقف الأدبي, ع313, دمشق-1997م.
- بناء الحدث في شعر نازك الملائكة (مقاربة نصّيّة), نجوى محمد جمعة, مجلّة آداب البصرة, ع44-2007م.
- بناء الشخصيّة المركزيّة في رواية "صمت الفراشات", فؤاد عزّام, مجلّة المجمع (مجمع القاسميّ للغة العربيّة) ع8, فلسطين-2014م.
- البنية السرديّة والخطاب السردي في الرواية, د.سحر شبيب, مجلّة دراسات في اللغة العربيّة وآدابها,ع14, دمشق-2013م.
- تحوّلات السرد العجائبي في الخطاب القصصيّ العربيّ المعاصر, أبو المعاطي خيري الرمادي, بحث منشور في ضمن إصدارات (وحدة السرديّات) في جامعة الملك سعود بعنوان: (التشكّل والمعنى في الخطاب السردي), مؤسّسة الانتشار العربي, ط1, بيروت-2013م.

- تحولات السرد العربي من التذكيري الاعتباري إلى العجائبي الغرائبي, إبراهيم صحراوي, بحث منشور في ضمن إصدارات (وحدة السرديّات) في جامعة الملك سعود بعنوان: (التشكّل والمعنى في الخطاب السردي), مؤسّسة الانتشار العربي, ط1, بيروت- 2013م.
- الجملة الاعتراضية والإعجاز, محمد السعيد بن سعد, مجلة الواحات للبحوث والدراسات, ع10, الجزائر-2010م.
- السرديّة العربية – من التواصل إلى التفاعل – ,عبد الله إبراهيم, بحث منشور في ضمن إصدارات (وحدة السرديّات) في جامعة الملك سعود بعنوان: (التشكّل والمعنى في الخطاب السردي), مؤسّسة الانتشار العربي, ط1, بيروت- 2013م.
- الشهرة معياراً في كتب الاختيارات الشعريّة, صبا عبد الستار, مجلّة كلّيّة التربية الأساسيّة للعلوم التربويّة والإنسانيّة, جامعة بابل, ع18, كانون الأوّل – 2014م.
- عتبات النصّ الأدبي, مقاربة سيميائيّة, بخولة بن الدين, مجلة سمات, المجلد1, ع1، جامعة البحرين-2013م.
- العنوان في الشعر العراقي المعاصر- أنماطه ووظائفه, د.ضياء راضي ثامر, مجلة جامعة القادسيّة في الآداب والعلوم التربويّة, المجلد (9), ع2, 2010م.
- فن الخبر في تراثنا القصصي, شكري عيّاد, مجلّة فصول, المجلّد الثاني , ع4, سبتمبر, مصر-1982م.
- لغة القص في التراث العربي القديم, د. نبيلة إبراهيم، مجلة فصول, المجلد الثاني, ع2, مارس, مصر-1982م.
- اللغة في (تجليات الروح) للكاتب محمد نصار, د.عبد الرحيم حمدان, مجلّة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانيّة), المجلد السادس عشر, ع2, فلسطين,2008م.

- نصوص من كتاب (طبقات الشعراء) لدعبل الخزاعي, محمد جبار المعيبد, , مجلة المورد, المجلد السادس, ع2, بغداد- 1977م.
- نظرات نقديّة في كتاب منازل الأحباب ومنازه الألباب, أ.عباس هاني الجراخ, مجلة العرب, ج11-12, الجماديان, السعودية-2005م.

The Abstract:

Paying attention to the averral in our contemporary studies was imperatively demanded due to the capacity of the Arab written prose which was abundant with the diverse cognitive and literary spaces which leaves the door open for the academic research and survey of knowledge.

And in recognition to the value of this Arab heritage and its cognitive richness, Studies of the averral - as being a narrative genre- have rolled recently and most of these studies were interested in the elements of the narrative formation of the averral depending on the diversity of the studied narrative texts.

The hoarding of the bag of prose heritage with abundant set of narrative texts which have not been tested by a research made us study them to clarify the art of averral from the authorship and technical formation sides and monitor the elements of its narrative construction and trace its narrative language and the accompanying semantic and linguistic phenomena, so our research entitled (**The art of averral in the books of the poets' averrals**) was divided in to four chapters; the first chapter (The averral and the authorship in the averrals of the poets) in its general framework was a theoretical preface and was distributed into three sections; in the first section we dealt with the concept of the averral in the language and terminology and we followed the researchers' views of the averral and their concept of it, then we went towards talking about the ancient authorship in the averrals of the poets and we have counted seventy narrative texts to settle on twelve revised ones, then the focus of our talk in the second section was about the motives of narrative authorship and we found out subjective and objective motives and what is taking both depending on the different investigated texts and the motives of their authors. Whereas the third section of this chapter focused on the role of the author in the books of poets' averrals and that role was of three facets; the first was the narration of the averrals since some of the authors were limited in narration only, and the second was the classification of the averrals, so a team of researchers had divided their narrative books into chapters or (babs) and so on. The third facet was the commentary on the averrals as some of those narrative authors used to follow some of their narrated avrrals with literary or linguistic commentaries to explain the meaning of a linguistic expression or account for a syntactic case or correct a literary novel and so on which we stopped at.

The second chapter was entitled (the formations of the averrals) explaining the structural and technical formations of the averrals to be in two sections; the first section was about the structural formation in which we find the averrals in the studied texts structurally divided into two kinds; single averrals and compound ones. Whereas the second section was the technical formation through which we have noticed that the averrals in the books of the poets' averrals were formed into two types; one is the realistic familiar averrals which was the most common and the most broader, and the other averrals were the unrealistic and un familiar ones and we explain their types and models in details.

In the third chapter we talked about (the elements of the narration) and we noticed that the narration in

the books of the poets averrals was formed according to the two narrative styles; the subjective and the objective motives, the objective narrative was the most common in the narrative texts of the poets' averrals. Though the overlap between the two modes in the narrative construction of the averral was present in these texts where we stopped to clarify it in the introduction of this chapter. The elements of narration; place, time, character and event have collaborated to form the construction of the narrative averral, since they are so staggered and interconnected elements that cannot be separated except for the sake of academic analytic sorting, and those elements were divided into four sections; in the first section we tackled (the time) as an essential element of the narrative elements and the largest umbrella which all other elements of narration are under its dominance. since the (time) is parallel to the movement of the narration, so it overshadows the rest of the other elements of narration and it follows techniques according to which the fabric of narration is constructed and the most important of these techniques used in the averral as a narrative genre is the chronological order in terms of analepsis and anticipation and the movement of narration in terms of slowing and accelerating. And we stopped in the second section at (the place) which constitutes another pillar of the narrative pillars, and due to the nature of the narrative construction in the averrals of the poets it is possible to monitor two types of places; the familiar and the unfamiliar places. The focus of talk in the third section was about the (character) and it was studied in terms of two things; firstly, in terms of the role and it was divided into two facets; one is the major character and the other is the minor character. secondly, in terms of the existence and it was divided into two types; the realistic character and the unrealistic character.

The (event) was the focus of study in the fourth section of this chapter, and through the study of our narrative texts we found out certain formats in accordance with which the event was constructed, and we stopped at the most frequent ones in these texts, and they were four patterns; the first of them was the sequential pattern. The second of them was the interpolated pattern. The third of them was the inclusion pattern. The fourth of them was the circular pattern.

The end of the research destination was in the fourth chapter which was entitled (The language of narration) and through which we have tried to consider the language of narration and it was in two sections; in the first section we dealt with the semantics of the narrative words in the texts and the chain of transmission, as the linguistic connotations of words were varied depending on the diversity of the formulation and performance of the averrals. While the averral was inclined towards brevity and shorthand, so, it was characterized by the linguistic economy. Thus, the focus of attention in the second section of this chapter was (the linguistic economy in the averrals) which has been achieved through rhetorical methods, among the plainest of which were; brevity, parenthesis and metonymy to reach the conclusion of this research which included a set of results the most important of them are the following; - It is clear that the

subjectivity and objectivity are key factors in the narrative authorship and because of their impact, the old scientists have written dozens of narrative workbooks as a desire for self-fulfillment or for the sake of interest or publishing of knowledge or supporting a poet or as inclination towards a caliph or a minister. It is also noticeable that the dedication of scientists of some their works to the governors, princes and ministers in addition to the subjective and objective motives may be intended to ensure the spreading of those valuable works which their authors cannot afford to get more and more photocopies of them or cannot promote them in the countries.

-The author's role in the books of the poets' averrals is divided up among three axes; the first is the narration of the averrals, though this was a general trend achieved in most of the narrative averrals, yet we find some authors who wrote in the averrals of the poets were confined themselves to it by no on else. The second is the classification of the averrals into chapters or sections or babs. The third is the commentary on the averrals and this has been done intentionally by many authors of the books of the poets averrals for several reasons among which perhaps is their concern for the safety of the narrated texts sometimes or performance of the secretariat of the narrator, so they started narrating the same texts of averrals as they are, then they provide their commentaries on the correctness of averrals or weakness of an expression or difference of a novel or explaining the meaning of an expression or assuming for a syntactic case -as well as the commentary on the averrals has been a pillar of differentiation, preference and comparison among poets or among poetry.

-The averrals took different types of its structural formation depending on its being single and synthetic, on the singular level we find several factors which had led to this structural conformation among which is the characterization of the averrals by brevity and shorthand as well as the narrative defining function or the descriptive classificatory function.

On the synthesis level, we find that the accumulative story units give a synthesis to the averrals which grant it a narrative sign and this overlap or accumulation may widen the circle of events and what accompanies that of the appearance of new characters or a diversity of places or times and also the accumulation of averrals may rely according to the system of the sequence of narrative moments or according to the structure of systems that arises from the convergence of several separate narrative moments combined with special context of the averrals or according to the recurrence system whereby the narration of the averrals is repeated more than once, so the events are repeated wholly or partially.

-Technically speaking, the averrals are formed on two levels; the first is the realistic averral and the other is the unrealistic averral. The realistic averrals have been the most recurrent ones in the averrals of the poets since the realism of the averrals has been devoted in the overall old narrative texts to the extent that we find some of the narrative texts were confined to this realism. It was found that several factors had

contributed in the realism of the overall averalls among which was the documentary narrative function of the averrals or the objectivity which is represented sometimes out of supporting or out of poetic citation as in (Abi –Temmam's averrals).

-The unrealistic characteristic of averrals has been achieved through different ways among which is the irony that was based on paradox in behavior or self –attitude towards what surrounds it and its dealing with the event or on the level of concepts and perceptions.

-The anticipations as well as the internal analepses have been a few in number in some narrative texts and diminished in some other texts since the traditional narration which was based on the principle of causation has been generally dominant in the old narration and particularly the narration of the averrals and the anticipations in some naverrals might have taken the image of dream-like vision which represents a futuristic prophecy predicted by a character during the narration.

-The averrals of the poets have been abounded with many external analepses because of their significant role in shedding light on the text which has been frequently characterized by brevity and economy, and these externals analepses have often taken the form of the parenthesis which would light up an event or perform explanatory or literary testimony supporting functions.

-The frequency or recurrence as being a time technique has not been common in the narrative because of the brevity and shorthand of the averrals and there are several compelling reasons for this among which is the narrative caution, the narrator may be careful in some averrals, so he narrates them in different ways or this frequency may be required due to the supporting literary citation function of the averrals.

-We can monitor two types of places in the averrals of the poets; one is the familiar place and the other is the unfamiliar one. As far as the familiar place is concerned it might foretell the cultural environment where the character grows up or foretell the character's behaviour. As for the unfamiliar place, it has been represented by multiple spatial images which were causing fear or astonishment towards the grave and the surprising astonishing mountain.

-The presence of character has been of two types; one is the realistic character and the other is the unrealistic one. The realistic character is the one which belongs to the familiar reality as a caliph or a minister or a governor or a Sheikh or a poet and so on. Whereas the unrealistic character may cause astonishment and surprise due to his\ her extraordinary supernatural behavior, or it may be a realistic character out of existence, but it has acquired unfamiliar characteristic because of its exiting behavior as we can find in the character of Al-Hallaj.

-The event was built on different structural formats such as the sequential format, the interrelated format, the inclusion format and the circular format. The sequential format was the most common in the narrative texts because of the nature of the narrative which is based on the principle of causation and the remarkable

presence of the inclusion format was due to some reasons among which is the unity of the character or the convergence of topics. Moreover, we can notice the inclusion format was an origin for the compounding in the overall averrals.

-The linguistic connotations of the words of narrative chain of transmission have varied depending on the diversity of the construction and formation of the chain of transmission. Though the story tellers have followed the narrators of tradition, yet they sometimes expressed a special literary characteristic which appeared through using special words for the chain of transmission such as the (words of selection) which have expressed their preference according to taste and their literary choice as well as (the words of fabrication) which showed that some narrators had fabricated some averrals according to their own views and attitudes.

-The linguistic connotations of the words of narrative texts varied depending on the diversity of the narrative texts, they may sometimes reveal subjective or classificatory descriptions addressed to poets because of their critical taste and most of those descriptions were terminology titles revealed critical assessment resulted in the broad critical view and the taste of the narrative authors.

-Because the averrals were inclined to brevity and shorthand, so they were characterized by linguistic economy which was been achieved through several rhetorical styles, the most significant of which were the brevity, parenthesis and metonymy and any way, this is one facet of the Arabic rhetoric for those skilled scientists of language and rhetoric, and the context in most cases determined the ellipsis for the sake of brevity or the shorthand of the précis. Moreover, the parenthesis has achieved diverse rhetorical purposes depending on the diversity of contexts such as clarification, the statement of different historical and social authorities or as a reference to appreciation or showing of a characteristic or a clarification of an occasion. And the contexts were also assuming for the diverse metonymy semantics and hence, the linguistic economy has been another literary characteristic of the averral.

Ali Jabur Abbood

The Republic of Iraq
The Ministry of Higher Education
and Scientific Research
University of Qadisiya
Faculty of Education
the department of Arabic language

The art of averral in the books of the poets' averrals

Message presented by the student

Ali Jaber Abboud

To the Council of the College of Education - University of Qadisiya

It is part of a master's degree in Arabic language and literature requirements

Supervised by
Prof. Dr
Sarhan jafat Salman

1438 **2017**